

2020-2021

اللغة العربية

كتاب النصوص



المف
10

اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ

كِتَابُ النُّصُوصِ

الصف العاشر

الطبعة الخامسة 1441 - 1442 هـ / 2020 - 2021 م



«يجب أن يكون الكتابُ فأسًا للبحر المتجمّد فينا»
(كافكا)

عزيزي الطالب،

هذا كتابٌ صُمِّمَ ليكون رفيقًا لك وصديقًا؛ ستجد فيه النصوص المقرّرة في كتاب التطبيقات اللغويّة، ونصوصًا أخرى رديفة، في كلّ فنٍّ من فنون القول: القرآن الكريم، والحديث الشريف، والنصوص الأدبيّة، ونصوص الرّأي، والنصوص المعلوماتيّة. وهو دعوةٌ منّا لتكون القراءة طقسًا من طقوس حياتك اليوميّة، تجد لها متسعًا من الوقت، فتخلو فيه بكتابٍ تقرأه بحريّة، وتبحر في عوالمه بهدوء وسلام.

إنّ التحرّر من نمط الحياة المقيّدة بالدروس المقرّرة والاختبارات إلى الحياة المنفتحة على الثقافة والمعرفة بكلّ أشكالها وألوانها هو الذي سيمنحك أدوات نجاح راسخة وممتدة ومتنامية، وهو الذي سينير بصيرتك لترى الحياة أكبر بكثير من مجرد مدرسة وصفٍّ ودرس. إنّنا نحثك على أن تجعل القراءة في هذا الكتاب وكتبٍ أخرى وقتًا تقتطعه من يومك، ولو كان قصيرًا، ونشجّعك على أن تجعل لقراءتك في هذا الكتاب والكتب الأخرى صدى في حياتك، فتحدّث عنها مع أصدقائك وعائلتك، وتكتب عنها على صفحاتك الشخصية في مواقع التواصل الاجتماعيّ؛ فكلُّ هذا سيسهم إسهامًا ملموسًا في بناء شخصيتك، وتعزيز ثقتك بنفسك، وتزويدك بمفاتيح النجاح الدائم المستمر.

عزيزي الطالب،

إنّ القراءة، وقراءة الأدب على وجه الخصوص، تساعد المرء على أن يكون أكثر فهمًا للحياة والناس، وأوسع أفقًا، وإنّ هذا النوع من القراءة هو الذي يجعل الإنسان أكثر تواضعًا وتسامحًا وذكاءً. إنّ كلّ قصة أو رواية تقرأها هي بمثابة بوابة تُفتح لك لتُبصّر الحياة بتفاصيلها الصغيرة، تلك التي قد لا ننتبه لها ونحن نمارس واجباتنا اليومية، ونغدو ونروح مع الغادين والرائحين. إنّ هذه البوابة هي التي تجعلك تستقرّ في قلوب الكثيرين من الناس، أولئك الذين تُكتب عنهم القصص، وتحكي حكاياتهم الروايات، فتعرف ما لم تكن تعرف، وتدرك ما لم يكن خطر لك على بال.

عزيزي الطالب،

إنّ قراءة الأدب تشبه الدخول في مرآة سحرية كبيرة، تكشف لك وجوها لا نهاية لها للحياة، لفعل الزمان في الإنسان، وللإنسان في ضعفه وقوّته، في صدقه وكذبه، في عزّه وذله، في أنانيّته وظلمه، في رفته وقسوته في أحزانه وأفراحه، وآلامه وأحلامه. وكلما انفتح كتابٌ بين يديّ قارئٍ في مكانٍ ما، في زمانٍ ما، استطالت مرآة سحرية أمامه ليرى ما لم يكن يرى، ويكشف ما كان سيقى محجوبًا للأبد لولا لحظة تبصّر قادته إلى أن يُمسك بين يديه قصة أو رواية ستجعله بعد أن يقلب الصّفحة الأخيرة فيها يزداد يقينًا أنّ الخلود لا يكون إلا للخير والحق والجمال.

نرجو لك رحلة ممتعة ومفيدة مع اللغة العربية.

الفهرس

- 9 * القرآن الكريم والحديث الشريف
- 11 « القرآن الكريم »
- 13 « أحاديث شريفة »
- 15 * النصوص الأدبية
- 17 - الشعر
- 19 « الشعر الجاهلي »
- 23 ◊ إذا المرء لم يدنس - السموأل بن عدياء
- 24 ◊ قال طرفة بن العبد
- 25 « الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي »
- 29 ◊ بان الخليل - جرير بن عطية
- 30 ◊ قالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا
- 31 « الشعر في العصر العباسي »
- 35 ◊ حلل الربيع - ابن وكيع التنيسي
- 36 ◊ قال البحتري يصف الربيع

ملاحظة:

النصوص المعالجة في كتاب (التطبيقات اللغوية) تجد عناوينها مظلة باللون الرمادي.



- 37..... « الشَّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْحَدِيثُ
- 41..... ◊ أنا مَنْ بَدَلُ بِالصَّحْبِ الْكِتَابَا - أَحْمَدُ شَوْقِي
- 42..... ◊ لَا تَطْرُقِ الْبَابَ - لِلشَّاعِرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَبْدِ الْوَاحِدِ
- 43..... ◊ سِفْرُ أَيُّوبَ - بَدْرُ شَاكِرِ السِّيَّابِ
- 45..... « الْحَرَكَةُ الشَّعْرِيَّةُ فِي دَوْلَةِ الْإِمَارَاتِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَّحِدَةِ
- 47..... ◊ شَيْخُ الْعَرَبِ - لِلشَّاعِرِ مُحَمَّدِ خَلِيفَةِ حَاضِرِ الْمَهِيرِي
- 48..... ◊ وَطَنُ الْعِطْرِ - لِلشَّاعِرِ عَلِيِّ الشَّعَالِي
- 49..... ◊ إِمَارَاتُ الْوَفَاءِ - لِلشَّاعِرِ نَاصِرِ الْبَكْرِ الزَّعَابِي
- 50..... ◊ خَوَاطِرُ دَوْحَةٍ - لِلشَّاعِرِ الدَّكْتُورِ شَهَابِ غَانِمِ
- 51..... ◊ هُنَا فِي الْخَلِيجِ - لِلشَّاعِرَةِ صَالِحَةِ عَيْيدِ غَابِشِ
- 52..... ◊ إِمَارَاتُ الْإِبْتِكَارِ وَالسَّلَامِ - لِلشَّاعِرِ نَايِفِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَرِيسِ
- 53..... « شِعْرٌ عَالَمِيٌّ
- 57..... - الْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ
- 59..... « الْقِصَّةُ الْقَصِيرَةُ
- 63..... ◊ الْخَبْزُ - (فولفجانج بورشيرت)
- 66..... ◊ مِصْبَاحُ الْحَمَامِ - لَطِيفَةُ الْحَاجِّ
- 67..... ◊ زَعْتَرٌ وَزَنْجَبِيلٌ - د. سَعَادُ الْعَرِيمِي
- 71..... ◊ الْكَرْتُونَةُ - نَايِفُ النَّوَّائِسَةِ
- 75..... ◊ الشَّاعِرُ النَّمْرُ - (تاكاشيما تون)
- 83..... ◊ الشَّقَاءُ - (أنطون تشيخوف)
- 90..... ◊ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ عِنْدَ الْجِسْرِ - (إرنست همنجواي)
- 95..... ◊ الْعَابِرُونَ فَوْقَ شَطَايَاهُمْ - عَبْدِ الْعَزِيزِ الْفَارَسِي
- 99..... ◊ بَقْعَةُ زَيْتٍ - مَرِيَمُ السَّاعَدِي
- 103..... - أَدَبُ السَّيْرِ وَالرَّحَلَاتِ
- 105..... « السَّيْرَةُ الْأَدَبِيَّةُ

- 107..... اسمُها تجربةٌ - (أرسكين كالدويل)
- 110..... الأيام - طه حسين
- 114..... ذكرياتٌ مدرسيّةٌ - عبدُ القادرِ المازني

* نصوصُ الرَّأي

- المَقالاتُ

- 123..... المقالةُ
- 126..... العتابُ صابونُ القلوبِ! - ميخائيل نعيمة
- 129..... الدُّولُ بينَ الابتكارِ أو الاندثارِ - صاحبُ السَّموّ الشَّيخُ محمدُ بنُ راشدٍ آلِ مكتومٍ
- 133..... (الفيس بوك) والعقلُ الجمعيُّ - د. موزة أحمد راشد العبّار
- 136..... الطَّبيعةُ مدرسةٌ دائمةٌ - رشدي المعلوف
- 138..... كيفَ أنقذتني الكتابةُ - سلطان العميمي

- الأعمدةُ الصَّحفيّةُ

- 143..... العمودُ الصَّحفيُّ
- 145..... شَعْرَةٌ يراها العالمُ - مهرةُ بنتُ أحمدَ
- 146..... متى تَخْتَفِي ظاهِرَةُ (السَّيلْفِي) - أحمدُ الحديديُّ
- 147..... اعترافاتٌ في عامِ القراءةِ - عبدُ الله الشُّويخُ
- 149..... كاتبٌ وراءَ كاتبٍ وراءَ كاتبٍ - خالد السَّويدي

* النّصوصُ المَعْلوماتيّةُ

- 153..... النّصوصُ المَعْلوماتيّةُ
- 156..... التَّسَوُّقُ الإلكترونيُّ
- 161..... الأملُ والطَّموحُ
- 163..... كَيْفِيَّةُ تَقْدِيرِ الذَّاتِ - عائشة نوفل
- 166..... تاريخُ الأعدادِ
- 168..... القِطَاعَاتُ السَّبْعَةُ الأكثرُ استفادَةً مِنَ الذِّكَاةِ الاصطناعيِّ في المُستقبلِ - (أدريان بريدجوتر)

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْحَدِيثُ الشَّرِيفُ

القرآن الكريم

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلْنَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَل لَّحَنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يُؤْتِلُنَا إِنَّا كُنَّا طُغْيَانٌ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبَّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

(سورة القلم)

أحاديث شريفة

حديث "حَسَنُ الْخُلُقِ"

* عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا. وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا». (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ)

عن أنس بن مالك قال:

* كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطِفُ لِحِيَّتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ قَدْ عَلَّقَ نَعْلَيْهِ بِيَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ: «إِنِّي لَا حَيْثُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتُ»، قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ أَنَسُ: وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا»، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ، وَكَدْتُ أَنْ أَحْتَفِرَ عَمَلَهُ قُلْتُ: «يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي عَصَبٌ وَلَا هَجْرٌ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَارٍ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ الْمَرَارَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَوِيَ إِلَيْكَ؛ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرْكَ تَعْمَلْ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟»، فَقَالَ: «مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ». فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: «مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ»، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ وَهِيَ الَّتِي لَا تُطَاقُ».

(ابن كثير)



النصوص الأدبية



الشعر



الشعر الجاهلي

الشعر الجاهلي هو الشعر العربي الذي قيل قبل الإسلام، وقد تميز العرب عن سواهم من الأمم الأخرى بصفاء القريحة وملاءمتهم بين بيتهم وخيالهم وتأملهم، فكانوا أشعر الأمم. فالبادية بيئة الشعر الجاهلي، ولذلك كان الشعر مرآة لهذه الحياة البدوية القاسية الخشنة، يصف الأطلال والديار والانتجاع والظعن والفلاة والحيوان والمعارك وآبار المياه.

لقد كان الشعر ديوان حُكم العرب وعلومهم، وسجل وقائعهم وسيرهم، ومادة حوارهم، يرتجلونه؛ ليعبروا عما يختلج في صدورهم من عواطف وهموم. والشعر الجاهلي شعر غنائي ذاتي يصور نفسية الشاعر وأحاسيسه، سواء أكان يتغزل أم يفخر أم يمدح أم يهجو أم يرثي أم يعاتب أم يعتذر أم يصف. لقد كان الشعر يُنشد إنشادًا أو يُغنى غناءً، فالغناء كان أساس تعلم الشعر.

وتظهر موسيقى الغناء في وزن القصيدة وحرف رويها (قافيتها) الموحد؛ فإن كان حرف الروي (القافية) في القصيدة (الباء) تسمى القصيدة (بائية)، وإن كان حرف الروي في القصيدة (الدال) تسمى القصيدة (دالية)، وإن كان حرف الروي في القصيدة (نونًا) تسمى القصيدة (نونية)، كما تظهر الموسيقى في التصريع في مطلع القصيدة، والتصريع هو اتفاق آخر جزء من صدر البيت وآخر جزء من عجزه في الوزن والتقفية، كقول علقمة بن عبدة التميمي:

طحا بك قلب في الحسان طروب بُعيد الشبابِ عصرَ حان مشيبُ

وتظهر الموسيقى أيضًا في التقطيع الصوتي للأبيات، كقول امرئ القيس في معلقته يصف فرسه:

مَكْرٌ، مَفَرٌ، مُقْبِلٌ، مُدْبِرٌ، مَعَا كَجُلْمٍ دَصَخٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

وقد تبوأ الشاعر الجاهلي مكانة مرموقة في عصره فكان لسان قبيلته، كما لعبت الأسواق الموسمية الكبرى دورًا مهمًا في التعريف بالشعراء ونقل أشعارهم بين القبائل الأخرى.

فالأسواق لم تكن للبيع والشراء فحسب، بل كانت -أيضاً- للخطابة والشعر، ومن أهم هذه الأسواق: سوق عكاظ، وهي سوق في صحراء بين نخلة والطائف شرق مكة، وكانت تستمر عشرين يوماً، وسوق ذي المجاز قرب يَبْع، وَيَبْعُ تُعْرُ مدينة الرسول ﷺ، وسوق مَجَنَّة قرب مكة.

ويذهب المؤرخون إلى أن التَّابِغَةُ الذُّبْيَانِي كان من المُحَكِّمِينَ، تقام له في هذه الأسواق قُبَّةٌ، يذهب إليها الشعراء؛ ليعرضوا شعرهم عليه، فمن أشاد به ذاع صيته وتناقلت شعره الرُّكبان.

والشعر الجاهلي شعر مرويٍّ، لم يُدَوَّنْ إلا في أوائل القرن الثاني للهجرة، وهذا ما يفسر ضياع أغلبه. فالكثير من رواته ذهبت بهم حروب الفتح، وأوفر هذه القصائد حظاً من الحفظ هي المعلقة أو المذهبات، وقد عدَّت المعلقات من أفضل ما وصلنا من العصر الجاهلي. ويزعم أغلب المؤرخين أنها سبع قصائد اختارتها العرب فكتبتها بماء الذهب، ثُمَّ علَّقَتها على الكعبة إعجاباً بها، وأصحابها هم: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سُلمى، وطرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، وعنترة بن شداد، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة.

وتتناول القصيدة الجاهلية مجموعة من الموضوعات والعواطف المختلفة في بناء ينقسم إلى ثلاثة أقسام، إذ يستهل الشاعر القسم الأول بالبكاء على الديار القديمة (الوقوف على الأطلال) التي رحل عنها، وترك فيها ذكرياته، وهو بكاء يُرَدُّ إلى شاعر سبق امرؤ القيس هو ابن خدام، كان أول من بكى على الأطلال، كما جاء في ديوان امرئ القيس:

عوجا على الطلل المُحِيل لَعَلْنَا نبكي الديار كما بكى ابن خِدام

والتَّغَزُّلُ بالمحوبة، أي التَّشْيِيب، وهو ينقسم إلى قسمين: غزل عفيف، يدور حول بثِّ الشوق واللوعة، وغزل حسي، يصف جمال المرأة: شعرها وعنقها وجبينها وعينها وأسنانها وطولها.. كما يصف ثيابها وزينتها وعفتها، ومن الغزل العفيف يمكن أن نستشهد بما قاله عنترة بن شداد في ابنة عمه عبلة:

سَأُضْمِرُ وَجَدِي فِي فَوَادِي وَأُكْتِمُ وَأُسْهَرُ لَيْلِي وَالْعَوَاذِلُ نَوْمُ
وَأَطْمَعُ مِنْ دَهْرِي بِمَا لَا أَنَالُهُ وَأُلْزِمُ مِنْهُ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

ثُمَّ يَنْتَقِلُ الشَّاعِرُ إِلَى وَصْفِ طُعْنِهَا، أَيْ تَرْحَالِهَا مَعَ قَبِيلَتِهَا إِلَى مَكَانٍ آخَرَ بَحْثًا عَنِ الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ، كَقَوْلِ الْمُثَقَّبِ الْعَبْدِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ:

لِمَنْ طُعْنٌ تَطَّلَعَ مِنْ ضُبَيْبٍ فَمَا خَرَجَتْ مِنَ الْوَادِي لِحِينِ
يُشَبِّهَنَّ السَّفِينَ وَهَنْ بَخْتٍ عُرَاضَاتُ الْأَبَاهِرِ وَالشُّؤُونِ

والقسم الثاني هو الرحلة، يصف فيه الشاعر رحلته ووسيلة تنقله، وكل ما تقع عليه عيناه في الصحراء من حيوان وزواحف وطير، والمصاعب التي تعترضه، والفلاة التي يقطعها ليبين شجاعته وبأسه. يقول طرفة بن العبد واصفًا ناقته وسرعتها:

وَإِنِّي لَأَمْضِي الْهَمَّ عِنْدَ اخْتِضَارِهِ بَعُوجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَعْتَدِي
أُمُومٍ كَأَلْوَحِ الْإِرَانِ نَصَاتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجِدِ
تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعْتُ وَظِيْفًا وَظِيْفًا فَوْقَ مَوْرِ مُعَبَّدِ

والقسم الثالث هو الغرض الرئيس في القصيدة، وهو إما فخر أو مدح أو رثاء أو هجاء أو عتاب أو اعتذار أو حكمة.

فالفخر فخر بالقبيلة وبالنفس، وهو من مقومات الحياة القبليّة، يفخر فيه الشاعر بالنسب والشجاعة والكرم والإسراع إلى معونة الآخرين، كقول عنترة بن شداد:

لَا تَضْحَكِي مِنِّي عُيْلَةٌ وَاعْجَبِي مِنِّي إِذَا التَفَّتْ عَلَيَّ جِيُوشُ
وَرَأَيْتِ رَمَحِي فِي الْقُلُوبِ مُحَكَّمًا وَعَلَيْهِ مِنْ فَيْضِ الدِّمَاءِ نَقُوشُ

والمدح هو ثناء على الممدوح وفضائله ومآثره، ويغلب على أهل البادية كما نرى ذلك عند امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى، ومدح للتكسب يغلب على أهل الحضر كما نرى عند النابغة الذبياني والأعشى. يقول امرؤ القيس مادحًا بني تميم لما أجاروه:

كَأَنِّي إِذْ نَزَلْتُ عَلَى الْمُعَلَّى نَزَلْتُ عَلَى الْبَوَازِيخِ مِنْ شَمَامِ
فَمَا مَلِكُ الْعِرَاقِ عَلَى الْمُعَلَّى بِمُقْتَدِرٍ وَلَا مَلِكُ الشَّامِ

والرثاء هو مديح الميت، يصف فيه الشاعر الجاهلي المرثي بجميع الصفات التي يصف بها الممدوح، ومثال ذلك رثاء الخنساء لأخيها صخر:

بَكَتْ عَيْنِي، وَعَاوَدَهَا قَذَاهَا بَعَوَّارٍ فَمَا تَقْضِي كَرَاهَا
عَلَى صَخْرٍ، وَأَيَّ فَتًى كَصَخْرٍ إِذَا مَا النَّابُ لَمْ تَرَأْمَ طَلَاهَا

والهجاء عكس المدح يوصف فيه المهجّو وقبيلته بضعة النسب والجبن والبخل.

يقول النابغة الذبياني هاجياً عامر بن الطفيل:

فَإِنْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنْ مَطِيَّةَ الْجَهْلِ السَّبَابُ
فَكُنْ كَأَبِيكَ أَوْ كَأَبِي بَرَاءٍ تَصَادَفَكَ الْحُكُومَةُ وَ الصَّوَابُ

والحكمة، فهي قول موجز مشهور، يتضمن معنى مسلماً به، ويعبر عن خلاصة تجارب صاحبها في الحياة. يقول شاعر الحكمة زهير بن أبي سلمى:

وَمَنْ لَا يُصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْسَمٍ

إذا المرء لم يندس* السموأل بن عدياء

فَكُلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
فَلَيْسَ إِلى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ¹
شَبَابُ تَسَامَى لِلْعُلا وَكُهوْلُ
عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
مَنْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ² وَهُوَ كَلِيلُ
إِلى النَّجْمِ فَرَعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ
وَلَا طُلٌّ مِنْنا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ
إِنَّا أَطَابَتْ حَمَلَنَا وَفُحوْلُ
لَوَقَتْ إِلى خَيْرِ الْبُطُونِ نُزُولُ
كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ
لَهَا غَرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ
فَلَيْسَ سِوَاءَ عَالِمٍ وَجُهوْلُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللَّؤْمِ عَرَضُهُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَمِيمَهَا
تَعَيَّرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ
وَمَا مَاتَ مِنْنا سَيِّدٌ حَتَفَ أَنْفُهُ³
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا
صَفَوْنَا فَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا
عَلَوْنَا إِلى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا
فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُنِّ مَا فِي نَصَابِنَا
وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُونَا
سَلِيَ إِنْ جَهِلَتِ النَّاسُ عَنَّا وَعَنْهُمْ

(1) ما العاطفة المسيطرة
على الشاعر في هذا
البيت؟ وما المعنى
الضمني في قوله «إِنَّ
الكرام قليل»؟

(2) ما معنى الطرف؟

(3) ما معنى «حتف
أنفه»؟

(*) ديوانا عروة بن الورد والسموأل، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص 90.

قال طرفة بن العبد

وإن كنت في حاجة مُرسلاً
وإن ناصح منك يوماً دنا
وإن باب أمر عليك التوى
وذو الحق لا تنتقص حقه
ولا تذكر الدهر في مجلس
ونص الحديث إلى أهله
ولا تحرصن فرب امرئ
وكم من فتى ساقط عقله
وآخر تحسبه أنوكاً
لبست الليالي فأفنيني
فأرسل حكيمًا ولا توصه
فلا تنأ عنه ولا تُقصه
فشاور لبيبًا ولا تعصه
فإن القطيعة في نقصه
حديثًا إذا أنت لم تُخصه
فإن الوثيقة في نصه
حريص مضاع على حرصه
وقد يُعجب الناس من شخصه
ويأتيك بالأمر من قصه
وسر بلني الدهر في قُصه¹

(1) الديوان ص 51، والتوى: صعب، ولم تحصه: لم تعمل له حسابًا، والأنوك: الجاهل، وفصّه: أصله، وسر بلني: ألبسني سربالاً، أي قميصاً.

الشعر في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي

ظَلَّ الشعر في عهد الرسول ﷺ جاهلياً في شكله¹، ف شعر طبقة المخضرمين التي عاشت في الجاهلية، وأدركت الإسلام ككعب بن زهير، والحطيئة، ومعن بن أوس، والنابغة الجعدي استمرازا للمذهب الجاهلي، ولم يتأثر شعرها بالإسلام إلا في بعض موضوعاته. وبعد أن دانت قريش وسائر العرب للدين الجديد قلَّ الهجاء المقذع والمدح المبالغ فيه والغزل الصريح والفخر بالخمرة وبالثار؛ لأن الرسول ﷺ نهى عن الشعر الذي يثير الأحقاد والعصبيات، أو يشجّع على ارتكاب الفاحشة.

وقد انتهج الخلفاء الراشدون نهج الرسول ﷺ؛ فقد روي أن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حبس الشاعر الحطيئة حين أقذع في هجائه للزبرقان بن بدر، ولما طلب منه الحطيئة العفو؛ لأن حبسه حال دون الاهتمام بأولاده، عفا عنه، وخلى سبيله على ألا يهجو أحداً من المسلمين. يقول الحطيئة:

مَآذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحٍ بِذِي مَرَحٍ	زُغِبَ الْحَوَاصِلُ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرُ
غَيَّبَتْ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلَمَةٍ	فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَاعُمُرُ
أَنْتَ الْأَمِينُ الَّذِي مِنْ بَعْدِ صَاحِبِهِ	أَلْقَتْ إِلَيْكَ مَقَالِيدَ النَّهْيِ الْبَشَرُ

وكثر الرثاء للشهداء، والتمدح بالإسلام، فظهر فن شعري جديد، يسمّى البديعيات، وهي قصائد نظمت في مديح الرسول الكريم ﷺ. ومن رواد هذا الفن الشاعر حسان بن ثابت الملقب بشاعر الرسول ﷺ، كان يمدحه، ويردّ عنه هجاء المشركين، من أمثال: عبد الله بن الزبيري، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وقد كثرت في شعره التعابير الإسلامية والاقتباس من القرآن الكريم، يقول حسان بن ثابت في إحدى بديعياته:

أَغَرُّ، عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمٌ مِنْ اللَّهِ مَشْهُودٌ يَلُوحُ، وَيُشْهَدُ

(1) - راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ط 4، (بيروت: دار العلم للملايين، 1981)

- راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)

وَضَمَّ إِلَهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذَّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنْ اسْمِهِ لِيَجْلَّهُ فذو العرشِ محمودٌ، وهذا مُحَمَّدُ
نَبِيِّ أَتَانَا بَعْدَ يَأْسٍ وَفَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، والأوثانُ في الأرضِ تُعْبَدُ

كما اشتهر كعب بن زهير بلاميته «بانث سعاد» التي أعلن فيها إسلامه، وطلب فيها رضا الرسول ﷺ وعفوه، فعفا عنه الرسول ﷺ وأهداه بردته، فما زالت في أهله حتى اشتراها معاوية منهم، وتوارثها الخلفاء الأمويون فالعباسيون حتى آلت مع الخلافة إلى بني عثمان. يقول كعب بن زهير:

وَقَالَ كُلُّ خَلِيلٍ كُنْتُ أَمْلُهُ لَا أَهْيَنَّاكَ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولُ
فَقُلْتُ خَلَوْا سَبِيلِي لَا أَبَا لَكُمْ فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
كُلُّ ابْنٍ أَنْتَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَذَبَاءَ مَحْمُولُ

أمّا في العصر الأموي فقد عادت بعض أغراض الشعر التي نهى عنها الرسول ﷺ - كالنقائض - وهي قصيدة «يردُّ بها شاعرٌ على قصيدةٍ لخصمٍ له فينقضُ معانيها عليه، يقلبُ فخرَ خصمه هجاءً، وينسبُ الفخرَ الصحيحَ إلى نفسه هو. وتكونُ النقيضةُ عادةً من بحرِ قصيدةِ الخصم، وعلى رويها»، وقد ارتبطت هذه النقائضُ بالصراعاتِ السياسيةِ بين الأحزابِ المتنازعةِ على الخلافةِ ومناصريها، فكانت وقودَ العصبيةِ، ولسانَ هذه الأحزابِ، يفتخرُ الشاعرُ فيها بنفسه وبقومه وبفضائلهم، كالكرمِ والشجاعةِ والوفاءِ بالعهدِ، والانتصارِ في الحروبِ التي خاضوها، والدِّفاعِ عن العِرضِ، ثمَّ ينقُبُ عن مثالبِ خصمه وقومه من بُخلٍ وجُبْنٍ وفسقٍ وبَغْيٍ وطُغيانٍ، ومن أشهر شعراء هذا الفن جريرٌ، والأخطلُ، والفرزدق.

يقول الفرزدق في جرير وفي والده عطية البائس الهاجع في حظائر الأغنام، كما يصفه:

قال ابنُ صَانِعَةِ الزُّرُوبِ لِقَوْمِهِ: لَا أَسْتَطِيعُ رَوَاسِيَ الْأَعْلَامِ
إِنِّي وَجَدْتُ أَبِي بَنَى لِي بَيْتَهُ فِي دَوْحَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالْحُكَّامِ
وَتَرَى عَطِيَّةَ ضَارِبًا بِفَنَائِهِ رَبَّقَيْنِ بَيْنَ حَظَائِرِ الْأَغْنَامِ

فيرد جرير ناقضاً قصيدة الفرزدق بأخرى:

خلق الفرزدقُ سوءةً في مالكٍ ولخلفِ ضبّةٍ كان شرّاً غلامٍ
مهلاً فرزدقُ! إن قومك فيهم خورُ القلوبِ وخفّةُ الأحلامِ

بالإضافة إلى الثّقاضِ، ازدهر الغزلُ في العصرِ الأمويِّ بعد أن هُذّبَ في عصرِ صدرِ الإسلامِ الأوّلِ، وبعد أن كان تشبيهاً بالديار، وبُكاءً على الأطلالِ، أصبح فناً مستقلاً بذاته، يُصوّرُ مشاعرَ الحبِّ التي سكّبتها المجتمعُ الجديدُ في نفوسِ الشعراء. فبعد أن تحضّرتْ مَكّةُ والمدينةُ، وغرِقنا في البَذخِ والتّرفِ نتيجةِ الفُتوحاتِ الإسلاميّةِ، و جلبِ الرّقيقِ الأجنبيِّ، وتعليمهِ الغناءَ والموسيقى، رقيت الأذواق، فلان الغزلُ، ورَقَّ.

وانقسم الغزلُ إلى: غَزَلِ عُذْرِيٍّ، وَغَزَلِ صَرِيحٍ. والغَزَلُ العُذْرِيُّ نِسْبَةٌ إلى رائدِهِ جميلِ بنِ مَعمرِ العُذْرِي (مجنون بئينة)، وهو غَزَلٌ عَفِيفٌ طاهرٌ نقيٌّ، من رواده: قيس بن الملوّح (مجنون ليلي)، وقيس بن ذريح (مجنون لبنى)، وكثير عزة (مجنون عزة)، وذو الرمة (مجنون مية)، وعروة بن حزام (مجنون عفراء)، وتوبة بن الحمير (مجنون ليلي الأخيلىة). فالشاعر العذري يقصر حبه وشعره على معشوقة واحدة، يرى فيها سعادته وشقاءه، لا يني يتغنى بها مُتَذَلِّلاً مُتَضَرِّعاً يَصوِّرُ فيها كَلْفَهُ وَعَذَابَهُ وَحُبَّهُ الَّذِي لا يتغير مع مرور الزمن. يقول جميل في بئينة:

لا تحسبي أني هجرْتُكِ طائِعاً حَدَثُ، لَعَمْرُكَ، رَائِعٌ أَنْ تُهْجِرِي
ولتبكيني الباكياتُ، وإنْ أَبَحْ يوماً، بسرِّكِ مُعلنًا، لم أعذر
يهواكِ - ما عشتُ - الفؤادُ، فإنْ أُمْتُ يتبعُ صدايَ صداكِ بين الأقبِرِ

ومن رواد الغزلِ الصّريحِ (الإباحيِّ الحسيِّ) عمر بن أبي ربيعة، والأحوص، والعرجي، ولا يلتزم فيه الشّاعر بحب امرأة واحدة، بل يتبع الجمال أينما كان، فيتغزل بأكثر من امرأة، ويصف مفاتنها ومغامراته معها، وقد يصف مجموعة من النساء. وقد رُوِيَ أن عمر بن ربيعة كان يتعرض للحواج، فيشرب بالحرائر الجميلات، ويصفهن طائفات محرّمات، فزهدت الأسر في أداء الفريضة خشية منه، مما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز ينفية إلى (دهلك)

إحدى جزر البحر الأحمر بين بلاد اليمن والحبشة، ولم يعد إلا بعد أن أقسم أن يتوب.
يقول في إحدى قصائده:

يقصدُ النَّاسُ للطَّوَّافِ احتساباً وذنوبي مجموعةٌ في الطَّوَّافِ

بأن الخليط * جرير بن عطية

وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا

بِالدَّارِ دَارًا، وَلَا الْجِرَانِ جِرَانَا

مُرُوعًا² مِنْ حِذَارِ الْبَيْنِ مَحْزَانَا

أَوْ تَسْمَعِينَ إِلَى ذِي الْعَرْشِ شَكْوَانَا

يَدْعُو إِلَى اللَّهِ إِسْرَارًا وَإِعْلَانَا

أَسْبَابُ دُنْيَاكَ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا

لِلْحَبْلِ صُرْمًا وَلَا لِلْعَهْدِ نِسْيَانَا

أَمْ طَالَ حَتَّى حَسِبْتَ النِّجْمَ حَيْرَانَا؟

قَتَلْنَا⁴، ثُمَّ لَمْ يُحْيِنَ قَتْلَانَا

وَهُنَّ أَوْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

وَحَبَّذَا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا

تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانَا

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُوِّعْتُ مَا بَانَا

(1) ما نوع الفعل حي؟ حي¹ المَنَازِلِ إِذْ لَا نَبْتَغِي بَدَلًا

قَدْ كُنْتُ فِي أَثَرِ الْأَظْعَانِ ذَا طَرَبٍ

لَوْ تَعْلَمِينَ الَّذِي نَلْقَى أَوَيْتَ لَنَا

كَصَاحِبِ الْمَوْجِ إِذْ مَالَتْ سَفِينَتُهُ³

لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا انْقَطَعَتْ

مَا أَحْدَثَ الدَّهْرُ مِمَّا تَعْلَمِينَ لَكُمْ

أَبْدَلَ اللَّيْلِ؛ لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ

يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِهِ

يَا حَبَّذَا⁵ جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ

وَحَبَّذَا نَفَحَاتُ مِنْ يَمَانِيَةٍ

(3) ما معنى «مالت سفينته»؟

(5) ابحث عن معنى "حبذا".

(2) ما وزن مرُوع؟ وهل هي اسم فاعل أم اسم مفعول؟

(4) حدّد اسم «إن» وخبرها.

قالت الخنساء ترثي أخاها صخرًا

وَأَنْدَبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ	يُذَكِّرُنِي طُلُوعِ الشَّمْسِ صَخْرًا
عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي	وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي
أُعْزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّأْسِي	وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي، وَلَكِنْ
أُفَارِقَ مُهْجَتِي، وَيَشُقُّ رَمْسِي	فَلَا وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ حَتَّى
أَبِي حَسَّانَ لِدَاتِي وَأُنْسِي	فَقَدْ وَدَّعْتُ يَوْمَ فِرَاقِ صَخْرٍ
أَيُّصْبِحُ فِي الصَّرِيحِ وَفِيهِ يُمْسِي؟	فِيَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَلَهْفَ أُمِّي

الشعر في العصر العباسي

يبدأ العصر العباسي بسقوط الدولة الأموية في الشام سنة 132 هـ/ 749 م، وقيام دولة بني العباس في الكوفة (العراق)، وينتهي سياسياً بسقوط بغداد في يد (هولاكو) التتري سنة 656 هـ/ 1258 م.¹

ويعتد عصر الدولة العباسية عصر الإسلام الذهبي الذي بلغت فيه الدولة الإسلامية أوج ازدهارها الفكري، فنقلت العلوم الأجنبية، وتنوعت الآداب العربية وتطورت. وخلافاً للدولة الأموية التي كانت عربية خالصة متعصبة للعرب لغةً وأدباً، قاعدتها دمشق على حدود بادية العرب، اضطبغت الدولة العباسية بصبغة فارسية؛ لأن الفُرس هم الذين أيدوها، فجعلت قاعدتها بغداد أقرب الأمصار إلى بلادهم، فتأثر العرب بعادات الفرس وتقاليدهم ولغتهم، وتمازجوا معهم بالتزاوج والتناسل، وأشرك الخلفاء الموالى (المسلمين من غير العرب) في سياسة الدولة من فُرسٍ وأتراك وسريان وروم وبربر فضعفت العصبية، وتعددت الفرق، وتكاثر الجواري والغلمان، والتأنق في الطعام واللباس، والتنافس في البناء والتشيد، كل هذا كان له أثر بيّن في اللغة العربية وآدابها.

وسمّي الشعر العباسي شعراً مُولَداً لأن أكثر الشعراء كانوا مولّدين (من أبوين أحدهما عربي والآخر غير عربي) ولأن الشعر لم يكن عربياً خالصاً في معانيه وأسلوبه كما سمّي شعراً مُحدثاً لأن الشعراء كانوا جُددًا أو متأخرين.

تأثر الشعر بالحياة الحضريّة الجديدة مبنًى ومعنىً وغرضاً ووزناً، فعلى مستوى المبنى، هُجرت الكلمات الغريبة فأصبحت التراكيب واضحة سهلة، وكثر استخدام البديع، وتُرك الابتداء بذكر الأطلال إلى وصف القصور والرياض والخمور والغزل والإغراق في المدح والهجاء. يقول البحري واصفاً قصر الخليفة المتوكل:

وكأنّ حيطان الزجاج بجوّه لُججٌ يمجن على جنوب سواحل

(1) - راجع أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، ط 8 (بيروت: دار المعرفة، 2004)
- راجع عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي: العصور العباسية حتى القرن الرابع هجري، ط 4 (بيروت)، دار العلم للملايين، (1981)

فَتَرَى الْعُيُونَ يَجْلُنَ فِي ذِي رَوْقٍ مُتَلَهِّبِ الْعَالِي أُنَيْقِ السَّافِلِ
لبست من الذهب الصقييل سقوفه نوراً يضيء على الظلام الحافل

أمّا على مستوى المعنى، فقد تولدت المعاني الحضريّة، واقتبست الأفكار الفلسفية؛ إذ أكثر شعراء هذا العصر من المؤلّدين، وهذا يعلّل وفرة المعاني الجديدة في شعر بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية وابن الرومي. وكان لنقل العرب علوم اليونان وغيرهم تأثير في شعر أبي تمام والمتنبي وأبي العلاء المعري وغيرهم بما دخله من آراء علمية وأفكار فلسفية وسياسية.

أمّا أغراض الشعر فقد بقيت، واستمرت؛ فالفخر والمديح والغزل والرثاء والحكمة والوصف والزهد أغراضٌ قديمةٌ منذ العصر الجاهلي، إلا أن الفخر القبلي القديم تضاعف، وحلّ محله الفخر بالنفس.

يقول أبو الطيب المتنبي:

لا بقومي شُرُفْتُ بَلْ شُرُفُوا بِي وبنفسي فخرْتُ لا بجدودي
وبهم فخرُ كلِّ مَنْ نطق الضّا دَ وَعَوِذُ الجاني وَعَوِثُ الطّريدِ
إِنْ أَكُنْ مُعْجَبًا فَعُجِبْ عَجِيبٍ لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ
أَنَا تَرَبُّبُ النَّدَى وَرَبُّ الْقَوَافِي وَسِمَامُ الْعِدَى وَغَيْظُ الْحَسُودِ
أَنَا فِي أُمَّةٍ تَدَارَكَهَا اللَّهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ

كما انتشرت في المديح معاني الشجاعة والكرم وشرف الأصل، وأضيفت إليه المقدرة في لعب الشطرنج مثلاً، كما نرى ذلك عند ابن الرومي عندما يخاطب صاحبه أبا القاسم التوزي الشطرنجي الذي نبغ في لعب الشطرنج:

وَأَرَى أَنَّ رُفْعَةَ الْأَدَمِ الْأَحْ مَرِ أَرْضٍ عَلَلَتْهَا بِدِمَاءِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتُ تَلْعَبُ بِالشُّطِّ رَنْجٍ لَكِنْ بَأَنْفَسِ اللَّعْبَاءِ

أَنْتَ جَدِيهَا وَعَيْرُكَ مَنْ يَدُ
لَكَ مَكْرٌ يَدُبُّ فِي الْقَوْمِ أَخْفَى
عَبُّ إِنَّ الرِّجَالَ غَيْرَ النِّسَاءِ
مِنْ دَيِّبِ الْغَدَاءِ فِي الْأَعْضَاءِ
أَوْ دَيِّبِ الْمَلَالِ فِي مُسْتَهَامِيهِ
سَنَ إِلَى غَايَةٍ مِنَ الْبَغْضَاءِ

ورق الاعتذار، واتسع فيه العتاب الرقيق الذي نراه عند البحترى في عتابه للوزير الفتح بن خاقان:

فَدَيْنَاكَ مِنْ أَيِّ خَطْبٍ عَرَا
وَأَنْ كَانَ رَأْيُكَ قَدْ حَالَ فِي
وَنَائِبَةٍ أَوْشَكْتَ أَنْ تَنُوبَا
فَلَقَّيْتَنِي بَعْدَ بَشْرٍ قُطُوبَا
تَ، وَمَا كُنْتَ أَعْهَدَ ظَنِّي كَذُوبَا
أَكْذَبُ ظَنِّي بَأَنْ قَدْ سَخِطُ
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ
أَذُمُّ الزَّمَانَ، وَأَشْكُو الْخُطُوبَا

وكثر الزهد والحكمة، وأصبحا فنيين يعالجهما مجموعة من الشعراء في قصائد أو مقطعات. يقول أبو العتاهية:

يَا أَيُّهَا الْحَيُّ الَّذِي هُوَ مَيِّتٌ
أَمَّا الْمَشِيبُ فَقَدْ كَسَاكَ رِدَاؤُهُ
أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ بِالتَّعَلُّلِ وَالْمُنَى
وَابْتَزَّ عَنْ كَفِّكَ أَثْوَابَ الصَّبَا
خَالَفَ هَوَاكَ إِذَا دَعَاكَ لِرَبِيبَةٍ
عَلِمَ الْمَحَجَّةَ بَيْنَ لِمُرِيدِهِ وَأَرَى
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِهَالِكٍ وَنَجَاتِهِ
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمُحِبِّهِ وَنَجَاتِهِ

وأصبح الطَّرْدُ (وصف الصيد) باباً مستقلاً بذاته، ولم يقتصر على الصيد فقط، بل تناول كل ما يتعلق بالحيوان، حتى وصف «قتال الديكة»، يقول أبو نواس واصفاً كلب صيد له اسمه (سرياح):

مُنَجَّدٍ يَأْشُرُ لِلصَّيَاحِ
مَا الْبَرْقُ فِي ذِي عَارِضٍ لِمَاحِ

وَلَا انْقِضَا ضِ الْكَوْكَبِ الْمُنْصَاحِ	وَلَا انْبِتَاتُ الْحَوَائِبِ الْمُنْدَاحِ
حِينَ دَنَا مِنْ رَاحَةِ الْمُتَّاحِ	أَجْدُ فِي الشَّرْعَةِ مِنْ سِرِّيَّاحِ
يَكَادُ عِنْدَ ثَمَلِ الْمِرَاحِ	يَطِيرُ فِي الْجَوِّ بِلا جِنَاحِ
إِذَا سَمَا الْحَائِلُ لِلْأَشْبَاحِ	يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ شَبَا الرِّمَاحِ

وأما على مستوى الوزن، فقد ابتدعت أوزان أخرى، كالمستطيل والممتد، وهما عكس الطويل والمديد، والموشح والزجل، والدوبيت والمواليا، ونُظمت المُقطَّعات (أبيات معدودة في أغراض محدودة).

ولما انفرط عقد الخلافة، وكثرت الدويلات العربية وغير العربية، باستقلال الولاة في فارس والشام ومصر والمغرب، وجد الشعر في غير بغداد تشجيعاً، فازداد ابتكاراً وانتشاراً، فالأمراء مثل الخلفاء يُقَرَّبون الشعراء، ويعضدونهم.

وما إن انتهى القرن الخامس للهجرة حتى ذهب جمال الشعر، وفقد تأثيره في النفوس لذهاب المعضدين له من البويهيين والسلاجقة وكثرة الفتن والصراعات، فغاب التوليد والإبداع، وكثر تقليد معاني الأقدمين واستخدام المحسنات البديعية والمبالغة في المدح للتكسب واستدراجاً للأكف حتى قيل: «أعذب الشعر أكذبه».

حُلُّ الرِّبْعِ * ابن وكيع التَّنيسي

فُرِشَ الْفَضَاءُ بِأَحْمَرٍ وَبِأَصْفَرٍ
حُلُّ تَعْدُّ إِذَا اجْتَهَدْتَ مُقَصِّرًا
هَـذِي الرِّيَاضُ كَأَنَّهُنَّ عَرَائِسُ
سِرُّ أَسْرَ بِهِ السَّحَابُ فِي الثَّرَى
وَالسَّرُّ تَنْبِيهِ الرِّيحُ لَوَاعِبًا
كَالْجُنْدِ فِي خُضْرِ الْمَلَابِسِ حَاوِلُوا
زَمَنٌ مَتَى أَبْصَرْتَهُ وَكَفَفْتَ عَنْ
وَافِي عَلَى أَثَرِ الشِّتَاءِ كَأَنَّهُ
فَكَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَجْهَهُ مُهْدَدٍ
وَرَدُّ كَوَجْنَةٍ كَاعِبٍ قَدْ مَوَزَحَتْ
فَكَأَنَّمَا النَّارَنْجُ فِي أَغْصَانِهِ
وَكَأَنَّ زَهَرَ الْبَاقِلَاءِ دَرَاهِمٌ
وَكَأَنَّهُ مِنْ فَوْقِ خُضْرِ عُصُونِهِ
وَكَأَنَّمَا الْأَتْرَنْجُ أَكْوُسُ عَسَجِدٍ
وَالنَّرْجِسُ الرِّيَّانُ بَيْنَ رِيَاضِهِ
وَالْجُلَّنَارُ يُرِيكَ فِي أَثَوَابِهِ

وَبَدَتْ لَنَا حُلُّ الرِّبْعِ الْمُزْهِرِ
فِي وَصْفِهَا وَتَكُونُ غَيْرَ مُقَصِّرِ
يَخْتَلِنَ بَيْنَ تَمَائِلٍ وَتَبَخُّرِ
فَأَذَاعَهُ فَأَذَاعَ أَحْسَنَ مَنْظَرِ
مِنْ فَوْقِ جَدُولِ مَائِهِ الْمُتَفَجِّرِ
أَمْرًا فَبَيْنَ مُقْلَصٍ وَمُشْمَرِ
خَلَعَ الْعِذَارَ بِحُسْنِهِ لَمْ تُعْذَرِ
إِقْبَالَ حَظٍّ بَعْدَ حَظٍّ مُدْبِرِ
وَكَأَنَّ هَذَا جَاءَ وَجْهَهُ مُبَشِّرِ
فَتَرَاجَعْتُ خَجَلِي بِفَرْطِ تَحِيرِ
أَكْرُ خُرْطَنَ مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ
قَدْ ضُمَّخْتُ أَوْسَاطُهَا بِالْعَنْبَرِ
يَرْنُو بِمُقْلَةٍ أَقْبَلِ أَوْ أَحْوَرِ
وَلَهَا مَقَابِضُ مِنْ حَرِيرٍ أَخْضَرِ
يَرْنُو بِعَيْنِ الْبَاهِتِ الْمُتَحَيِّرِ
نَوَعَيْنِ بَيْنَ مُرْعَفٍ وَمُعْصَفِرِ

(*) ديوان ابن وكيع التَّنيسي، جمع وتحقيق: حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة، ص 63-64.

قال البُحْثَرِيُّ يَصِفُ الرَّبِيعَ

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا
وَقَدْ نَبَهَ النَّيْرُوزُ فِي غَلَسِ الدُّجَى
يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدى، فَكَأَنَّهُ
وَمِنْ شَجَرٍ رَدَّ الرَّبِيعُ لِبَاسَهُ
أَحْلَى، فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً
وَرَقَّ نَسِيمُ الرِّيحِ حَتَّى حَسِبْتَهُ
مِنْ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا
يُبْتُ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مُكْتَمًا
عَلَيْهِ، كَمَا نَشَرَتْ وَشْيًا مُنَمَّنًا
وَكَانَ قَذَى لِلْعَيْنِ إِذْ كَانَ مُحْرَمًا
يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحْبَةِ نَعْمًا

الشعر العربي الحديث

الأدب العربي الحديث¹ هو الأدب الذي ظهر تاريخياً فيما يُطلَق عليه العصر الحديث، هذا العصر الذي يصعب تحديده حسب الحقب أو الحوادث التاريخية، فالعصر العثماني انتهى في بعض الأقطار العربية بعد الحرب العالمية الأولى عام 1918م، ولم يكن له وجود في أقطار عربية قبل ذلك بقرون. وقد أُولى بعض الدارسين أهمية للحملة الفرنسية عام 1798 - 1801 على مصر وبلاد الشام، وهي حملة استعمارية جلبت معها بعض العناصر الثقافية من مثل المطبعة والصحيفة والمرصد والمكتبة والمسرح والعلماء، وهو ما نبّه الناس في مصر إلى تخلف الواقع وضرورة الانفتاح على العصر، وبناء جيش قوي، شرع في تأسيسه محمد علي، بعد أن سيطر على الحكم بعد جلاء الحملة الفرنسية.

ومن أجل بناء جيش قوي أرسل محمد علي البعثات إلى إيطاليا وفرنسا، وكان رفاعة الطهطاوي مرشداً دينياً لطلاب البعثة الرابعة إلى فرنسا، أفاد من هذه الرحلة في ترجمة المعارف المختلفة، وتعرف الفرق بين واقع المصريين وواقع الغربيين. وقد اهتم الخديوي إسماعيل بالحركة العلمية، فأنشأ مدارس للعلوم والهندسة والطب والحرب، واستأنف إرسال البعثات إلى أوروبا، وأسس نظارة المدارس، وعهد إليها أمر التعليم، وأنشأ المكتبة الخديوية، وبنى مدرسة المعلمين، وبسط يد المؤلفين، فنزح إليها الأجانب من أدباء وعلماء، فكان اختلاط هؤلاء بالمصريين سبباً في نهوض اللغة والأدب.

ومهما يكن من أمر فإن الحياة الثقافية والأدبية أفادت على نحو غير مباشر من هذه الحركة العلمية التي صاحبت إنشاء المدارس المختلفة العامة والمتخصصة لخدمة الجيش، فكان أن ظهرت تيارات فكرية وثقافية مختلفة كان أهمها تيار إحياء التراث لمواجهة النماذج الأدبية والفكرية الغربية، وبدا ذلك واضحاً في الشعر؛ إذ مال الشعراء إلى إحياء النماذج التراثية في العصرين الأموي والعباسي، وبرز من الشعراء الإحيائيين نخبة في أقطار الوطن العربي على رأسهم محمود سامي البارودي، وضمت هذه النخبة أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم، و خليل مطران، وإبراهيم اليازجي، والزهاوي، والرصافي في العراق، والأمير عبد القادر الجزائري،

(1) تاريخ الأدب الحديث، أحمد حسن الزيات، دار المعرفة، بيروت، ط8، 2004، ص: 415

وأبو مسلم البهلاني في عُمان.

وتلا ذلك جيل ظلّ متعلقًا بأهداب الكلاسيكية، ممن سموا بالكلاسيكيين الجدد، من مثل الجواهري، وعمر أبو ريشة، وعزيز أباظة، وإبراهيم طوقان، ومصطفى وهبي التل، وبدوي الجبل، إلى جانب شعراء العصبة الأندلسية، وهم شعراء المهجر الجنوبي.

وقد بدت ملامح الحركة الرومانتيكية في شعر خليل مطران الذي بدأ يضيق بالتقليد مع أن كثيرًا من شعره لا يفارق بناء القصيدة الإحيائية.

وقد نزعت جماعة الديوان المؤلفة من عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري منزعًا (رومنطقيًا) وأعجبت باللون الغنائي الذاتي واللغة العصرية البسيطة، وقد دعت في «الديوان» الذي صدر منه جزءان، شارك فيهما العقاد والمازني سنة 1921 إلى الصدق في الإحساس والتعبير، ونقدوا المدرسة الكلاسيكية الجديدة، وخاصة أحمد شوقي، وحافظ إبراهيم نقدًا لاذعًا. يقول عباس محمود العقاد في تقديمه لديوان عبد القادر المازني: «فمن كان يعيش بفكره ونفسه في غير هذا العصر، فما هو من أبنائه، وليست خواطر نفسه من خواطره».

وقد التقت جماعة الديوان مع الرابطة القلمية في مبادئها وفي مفهومها للشعر، وبدا الجانب الرومانتيكي واضحًا في خصائص الشعر لديها، على نحو ما ظهر في العلاقة بين العقاد وميخائيل نعيمة. ومن أعلام الرابطة القلمية: جبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ونسيب عريضة، وإيليا أبو ماضي، وأمين الريحاني، وقد تأسست الرابطة القلمية سنة 1920 واتخذت من نيويورك مقرًا لها، فثارت على الصور الشعرية القديمة، واستخدمت صورًا رومنطيقية جديدة، ومضامين حديثة، وتأثرت بالطبيعة والحرية.

هيمنت (الرومانتيكية) على الساحة الأدبية في الأقطار العربية خلال الثلاثينات والأربعينات، وقد ظهرت ملامح الحركة (الرومانتيكية) بوضوح شديد في «جماعة أبولو» التي أسسها أحمد زكي أبو شادي، وانضم إليها أعلام (الرومانتيكية) في الوطن العربي من مثل: علي محمود طه، وإبراهيم ناجي، وأبو القاسم الشابي، وأنور العطار. وكانت مجلة أبولو (1932-1934) قد أحدثت نهضة شعرية على مستوى الشكل والمضمون، وظهرت فيها ملامح التحول في تعدد القوافي، وفي التجديد في المعجم والصورة والإيقاع.

وكان من الطبيعي أن يفجر الشعراء الشباب عواطفهم (الرومانتيكية) في شكل جديد هو شكل الشعر الجديد، أو قصيدة التفعيلة؛ لأسباب فنية واجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية بعد الحرب العالمية الثانية متأثرين بمنجزات (الرومانتيكية) والرمزية اللتين شاعتا في مرحلة ما بين الحربين العالميتين، مما مهد الطريق لحركة الشعر الجديد أو شعر التفعيلة الذي بدأ شكلياً في اختيار التفعيلة بدل البيت الشعري، ثم اتجه وجهة واقعية، قبل أن تتعدد أشكاله وصوره. ومن رواد هذه المدرسة: نازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، ونزار قباني، وصلاح عبد الصبور، وقد غلب على الشعر الحديث قصيدة التفعيلة التي أصبح لها أعلامها الكبار في وقتنا الراهن.

أنا من بدّل بالصّحب الكتاب*
أحمد شوقي

أنا من بدّل بالصّحب الصّحابة	لَمْ أَجِدْ لِي وَافِيًّا إِلَّا الْكِتَابَا
صاحبٌ إن عبتَه أو لم تعب	لَيْسَ بِالوَاحِدِ لِلصَّاحِبِ عَابَا
كلّما أخلقتُه جدّني	وَكَسَانِي مِنْ حُلَى الْفَضْلِ ثِيَابَا
صُحْبَةً لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رِيْبَةً	وَوَدَادٌ لَمْ يُكَلِّفْنِي عِتَابَا
رُبَّ لَيْلٍ لَمْ نُقْصِرْ فِيهِ عَنْ	سَمَرٍ طَالَ عَلَى الصَّمْتِ وَطَابَا
إن يجدني يتحدّث أو يجد	مَلَلًا يَطْوِي الْأَحَادِيثَ اقْتِضَابَا
تجد الكُتب على النّقد كما	تَجِدُ الْإِخْوَانَ صِدْقًا وَكِذَابَا
فتخيرها كما تختارُه	وَادْخُرْ فِي الصَّحْبِ وَالْكِتَابِ اللَّبَابَا
صالح الإخوان يبغيك التقى	وَرَشِيدُ الْكِتَابِ يَبْغِيكَ الصَّوَابَا

(*) أحمد شوقي أمير الشعراء، الشّوقيات، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ج2، ص407.

لا تَطْرُقِ البابَ للشاعر عبد الرزاق عبد الواحد

1. لا تَطْرُقِ البابَ، تَدْرِي أَنَّهُمْ رَحَلُوا
2. أَدْرِي سَتَذْهَبُ،... تَسْتَقْصِي نَوَافِذَهُمْ
3. تُرَاقِبُ الزَّادَ،... هَلْ نَامُوا وَمَا أَكَلُوا
4. وَفِيكَ أَلْفُ ابْتِهَالٍ لَوْ نَسُوهُ لَكِنِّي
- خُذِ الْمَفَاتِيحَ، وَافْتَحْ أَيُّهَا الرَّجُلُ
- كَمَا ذَابَتْ،... وَتَسْعَى حَيْثُمَا دَخَلُوا
- وَتُطْفِئُ النُّورَ... لَوْ... لَوْ... مَرَّةً فَعَلُوا!
- بِهِمْ عَيُونُكَ قَبْلَ النَّوْمِ تَكْتَحِلُ!

5. لا تَطْرُقِ البابَ،... كَانُوا حِينَ تَطْرُقُهَا
6. وَيَضْحَكُونَ، وَقَدْ تَقْسُو فَتَشْتِمُهُمْ
7. حَتَّى إِذَا فَتَحُوهَا، وَالتَّقَيْتَ بِهِمْ
- لا يَنْزِلُونَ إِلَيْهَا،... كُنْتَ تَنْفَعِلُ
- وَأَنْتَ فِي السَّرِّ مَشْبُوبُ الْهَوَى جَذِلُ
- كَادَتْ دُمُوعُكَ فَرَطَ الْحُبِّ تَنْهَمِلُ

8. لا تَطْرُقِ البابَ... مِنْ يَوْمَيْنِ تَطْرُقُهَا
9. سَتُبْصِرُ الْعُرْفَ الْبُكْمَاءَ مُطْفَأَةً
10. قُمْصَانُهُمْ... كُتِبَ فِي الرَّفِّ... أَشْرَطَةٌ
11. كَانَتْ أَعَزَّ عَلَيْهِمْ مِنْ نَوَاطِرِهِمْ
12. وَسَوْفَ تَلْقَى لُقَى... كَمْ شَاكِسُوكَ لَكِنِّي
13. خُذْهَا،... لِمَاذَا إِذْنُ تَبْكِي، وَتَلْتُمُهَا؟
- لَكِنَّهُمْ يَا غَزِيرَ الشَّيْبِ مَا نَزَلُوا!
- أَصْوَاؤُهَا... وَبَقَايَاهُمْ بِهَا هَمَلُ
- عَلَى الْأَسْرَةِ عَافُوهَا، وَمَا سَأَلُوا
- وَهَا عَلَيْهَا سُرُوبُ النَّمْلِ تَنْتَقِلُ
- تَبْقَى لَهُمْ، ثُمَّ عَافُوهُنَّ، وَارْتَحَلُوا
- كَانَتْ أَعَزَّ مُنَاهُمْ هَذِهِ الْقُبُلُ!

14. يَا أَدْمَعَ الْعَيْنِ!... مَنْ مِنْكُمْ يُشَاطِرُنِي
15. هَا بَيْتِي الْوَاسِعُ الْفَضْفَاضُ يَنْظُرُ لِي
16. كَأَنَّ صَوْتًا يُنَادِينِي، وَأَسْمَعُهُ
- هَذَا الْمَسَاءَ، وَبَدْرُ الْحُزْنِ يَكْتَمِلُ؟
- وَكُلُّ بَابٍ بِهِ مِزْلَاجُهَا عَجَلُ
- يَا حَارِسَ الدَّارِ... أَهْلُ الدَّارِ لَنْ يَصِلُوا

سِفْرُ أَيُّوبَ بدر شاكر السياب

لك الحمد مهما استطال البلاء
ومهما استبدَّ الألم،
لك الحمد، إن الرزايا عطاء
وإن المصيبات بعض الكرم.
ألم تُعطني أنت هذا الظلام
وأعطيتني أنت هذا السحر؟
فهل تشكر الأرض قطر المطر
وتغضب إن لم يجدها الغمام؟
شهور طوال وهذي الجراح
تمزق جنبي مثل المدى
ولا يهدأ الداء عند الصباح
ولا يمسح الليل أو جاعه بالردى.
ولكنَّ أيُّوب إن صاح صاح:
«لك الحمد، إن الرزايا ندى،
وإنَّ الجراح هدايا الحبيب
أضُمَّ إلى الصدر باقاتها
هداياك في خافقي لا تغيب،
هداياك مقبولة. هاتها!»

أشدّ جراحي وأهتف

بالعائدين:

«ألا فانظروا واحسدوني،

فهذى هدايا حبيبي

وإن مسّت النار حرّ الجبين

توهمتها قُبلة منك مجبولة من لهيب.

جميل هو السّهدُ أرعى سماك

بعينيّ حتى تغيب النجوم

ويلمس شبّاك داري سنّاك.

جميل هو الليل: أصداء بوم

وأبواق سيارة من بعيد

وآهاتُ مرضى، وأمّ تُعيد

أساطير آبائها للوليد.

وغابات ليل السّهاد، الغيوم

تحجّب وجه السماء

وتجلوه تحت القمر.

وإن صاح أيوب كان النداء:

«لك الحمد يا رامياً بالقدر

ويا كاتباً، بعد ذاك، الشّفاء!»

الحركة الشعرية في دولة الإمارات العربية المتحدة

إذا أردنا أن نؤرخ للشعر الحديث في دولة الإمارات العربية المتحدة، فإننا نجد صعوبة في تحديد بواكيره، أو بداياته؛ ذلك أن ما وصلنا من الشعر الحديث -حتى الآن- لا يكاد يتجاوز مرحلة العشرينيات، وما بعدها، أما ما قبل ذلك فلا نكاد نعثر على نصوص شعرية نستطيع أن نتخذها مطلقاً لتأريخ الشعر الحديث في هذه المنطقة، ولذلك فإن الدراسات التي تناولت رواد الشعر الحديث في الإمارات تنطلق -عادة- من الشاعر «سالم بن علي العويس» الذي عاش في الفترة الممتدة ما بين نهاية القرن التاسع عشر، ونهاية القرن العشرين بوصفه الرائد الأول لهذا الشعر الحديث، وبوصفه الشاعر الإحيائي الذي كان يكتب بطريقة متميزة تنأى عن مجازاة الأساليب التي كانت مغرقة في المحسنات البديعية، والتي كانت تركز على الإخوانيات، والمناسبات، والألغاز.

وكل الشعراء والأدباء الذين يذكرون مع الشاعر «سالم بن علي العويس»، من أمثال: محمد بن ثاني بن قطامي، وخلفان بن مصبح، ومبارك بن حمد العقيلي، وأحمد بن سلطان بن سليم، ومبارك بن سيف النأخي، وسعيد الهاملي، وأحمد بن خليفة، وعلي بن قمبر، يعدون من معاصريه، أو ممن عاشوا في فترة قريبة من عصره...

أما الشعراء الذين عاشوا قبل هؤلاء فإننا لا نعرف عنهم شيئاً، وإذا لم نجد نصوصاً شعرية تؤكد هذا التواصل والاستمرار، فإن ذلك يرجع أساساً إلى غياب وسائل الطباعة التي لم تدخل إلى منطقة الخليج إلا في فترة متأخرة¹.

وقد عُرف أوائل شعراء الإمارات باسم «جماعة الحيرة» نسبة إلى منطقة «الحيرة» في مدينة الشارقة، وهم: صقر بن سلطان القاسمي، وخلفان بن مصبح، وسالم بن علي العويس، وأخوه سلطان بن علي العويس.

وكانت القصائد الشعرية لهؤلاء الشعراء تحتفظ بانحيازها الكامل في الالتزام بالشكل العمودي، مع محاولة التجديد في المعنى، كما تشهد لهم بمستوى متقدم من الوعي

(1) أدب الخليج العربي الحديث والمعاصر، أ.د. الرشيد بوشعي، منشورات دار العالم العربي، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2011

والقدرة على الإبداع، وتعدّد محاور الخطاب الشعريّ واتّجاهاته وجوانبه وجدانيّاً، ووطنياً، وقومياً.

وجيلُ الشعراء الأوائل في الإمارات اعتمدَ على تثقيف ذاتهِ بوسائلٍ مُختلفةٍ، وذلك من خلالِ مُتابعةِ الصُّحفِ والمجلاّت التي كانت تصلُ إلى المنطقةِ بطريقةٍ غيرِ مُنظمةٍ، ومن خلالِ الإذاعات، أو من خلالِ الكتبِ في المكتباتِ الخاصّةِ لدى الميسورينَ والمُثقفينَ من أبناءِ المنطقةِ.

ومعَ تطوّرِ التّعليمِ في المجتمعِ الإماراتيّ، ودخولِ الصحافةِ والطباعةِ في مرحلةِ السّتينيات من القرنِ الماضي حدثتْ تحولاتٌ في مجالِ الشعرِ، وبرزتْ قصيدةُ التّفعيةِ كشكلٍ جديدٍ في تجاربِ الشّاعرِ الدّكتور «أحمد أمين المدني» -رحمهُ الله- بالإضافةِ إلى كتابةِ القصيدةِ العموديّةِ، وحملتْ تجربةُ الشّاعرِ «المدني» رؤيةً جديدةً للشّعرِ والعالمِ والأدواتِ التّعبيريّةِ والفنيّةِ.

وفي مرحلةِ السّبعينياتِ ظهرتْ كوكبةٌ جديدةٌ من الشعراءِ المُحافظينَ والمُجدّدينَ الذين كتبوا في نموذجي القصيدةِ: العموديّ والتّفعيةِ، مثل: مانع سعيد العتيبة، وشهاب غانم، وحبيب الصّايغ، كما امتدَّ عُصرُ المُحافظةِ في تجاربِ الشعراءِ: سلطان خليفة الحبّور، وحمد بوشهاب، وعارف الشّيوخ، ...

وفي مطلعِ الثّمانينياتِ ظهرتْ في الإماراتِ أصواتٌ شعريّةٌ كثيرةٌ، تنتمي إلى كلا التّيّارينَ، ومنهم: عارف الخاجة، وأحمد راشد ثاني، وميسون صقر، وحصة عبدالله، وكلثم عبدالله، وكريم معتوق، وإبراهيم محمد إبراهيم، وإبراهيم الهاشمي، ...

وبعدَ هذهِ الفترةِ اتّسعتْ دائرةُ الإبداعِ الشعريّ في الإماراتِ، وأصبحتْ جديرةً بالمُلاحظةِ والرّصدِ والتّوثيقِ والدّراسةِ، حتّى غدّتْ كأنّها صورةٌ مُصغّرةٌ عن الحركةِ الشعريّةِ في الوطنِ العربيّ، بل وفي العالمِ أيضاً، ممّا يعني أنّ الحركةِ الشعريّةِ الإماراتيّةِ أفرزتْ مُنتجاً شعريّاً أسهمَ في بلورةِ أدبٍ عربيٍّ مُتميّزٍ ومُتفاعلٍ معَ الجوانبِ المُختلفةِ لحدائِةِ القصيدةِ فكريّاً وفنياً، ممّا جعلهُ يُشكّلُ رافداً قوياً من روافدِ الأصالةِ الثّقافيّةِ لأُمّتِنّا.

شيخ العرب للشاعر محمد خليفة حاضر المهيري

ما للرمال؟ بطاحها خضراء
 فهل استعارت حلة من سندس
 طبع الطبيعة أنها إن أخصبت
 وسجية الكرماء أن أكفهم
 ورمالنا منذ صافحت يد (زايد)
 رجل خطاه خضوبة، أتى مشى
 في ربع قرن شاد ما شاد الورى
 نعم الإمارات التي نعت بما
 شيخ العروبة (زايد) أرسى لنا
 فتن الحضارة حين سبق ركبها
 عقل كنور الشمس يبصر بالهدى
 (فأبو خليفة) سورة العدل الذي
 إن رمت مرحمة رعتك ظلاله
 وإذا استعنت به أغاثك قبل أن
 من ظن أن الجود فيه سجية
 لله أنت (أبو خليفة) لم تزل
 اتصلت من لونها الصحراء؟
 فإذا الفيافي جنة فيحاء؟
 ماجت على جنباتها النعماء
 تُعطي، فيعدي سييها المعطاء
 (سأل النصارى بها وقام الماء)
 فالجود خلف ركابه مشاء
 في القرن، نعم القائد البناء
 أعلى، فأدنى صرحها الجوزاء
 أسس الحضارة فكره الوضاء
 فإذا الحضارة في الركاب حداء
 ما ليس يبصر بالنهاى العلماء
 يحمى به الغرباء والقرباء
 وترحلت عن ربك البرحاء
 يفنى الصدى وتلفه الأمداء
 ما خاب لكن فاتة الإحصاء
 ترنو إلى عليائك العلياء

وطنُ العِطر للشاعرِ علي الشَّعالي

زَمَزَمْتَ صَابَ الْبَحْرِ قَطْرًا	وَأَحَلَّتْ رَمْلَ الْأَرْضِ تَبْرًا
وَحَلَبْتَ أَلْبَابَ الْعَوَا	لِمِ مُشْرِقًا حُبًّا وَسِحْرًا
وطني... أَيَا سُحْبًا تَرُشُ	شُ الْجَوِّ وَالْأَرْضَيْنِ عِطْرًا
يَا وَاحِدَةً فِي حِضْنِهَا	تَتَهَامَسُ النَّخْلَاتُ شِعْرًا
وَقَصِيدَةً تَتَنَفَّسُ الرِّيّ	رِيحَانٌ وَالتَّغْرِيدُ يُسْرًا
الْمَاءُ أَنْتَ، غَرَسْتَ صَرْ	حًا فِي الصَّحَارَى فَاسْتَقَرَّا
الْفَرْعُ فِي الْعُلْيَاءِ ظِلٌّ	لَ يُقَيِّتُنَا وُدًّا وَتَمْرًا
وَالظِّلُّ وَجْهُكَ.. وَالنَّسِي	مُ الْبَرْدُ كُفُّكَ حِينَ مَرَّا

إماراتُ الوفاء للشاعرِ ناصرِ البكر الزعابي

إلى الأمجادِ يا وطني	جنودُكَ ترسمُ النِّصرا
رجالك أشعلوا أملي	وزفوا رايةَ البُشرى
شهيدُ المجدِ يا أمي	وسامُ الفرحةِ الكبرى
إلى جنّاتِ بارئه	بنفحِ زادنا عطرا
بلادِ الخيرِ يا أبتى	لها أرواحُنا تتّرى
إماراتُ الوفا تبقى	مدارَ القلبِ والمَجرى
بحقِّ اللهِ أقسمنا	وجرحُ الحرِّ لا يبرى
سنفديها إماراتي	فصبرا إخوتي صبرا

خَواطِرُ دَوْحَةٍ للشاعر الدكتور شهاب غانم

يَأْوِي لِظِلَالِي رَجُلٌ مُرْهَقٌ،
يُغْمِضُ جَفْنَيْهِ، وَيَنَامُ،
يَسْتَعْرِقُ فِي الْأَحْلَامِ،
يَنْدَاخُ عَلَى الْكَوْنِ سُكُونٌ مُطْلَقٌ،
وَيَلْفُ الْكَوْنَ ظَلَامٌ

فَتَحْطُ قِصَائِدُ حُبِّ فِيهَا،
أَوْ بَعْضُ رَسَائِلِ أَشْوَاقِ،
أَوْ أُمْسِي فِي مِدْفَأَةٍ حَطْبًا لِلْإِحْرَاقِ،
فَأَبْتُ الدَّفْءَ الدَّفَاقِ،
وَأَحْسُ بِأَنْي حَتَّى فِي لَحْظَةٍ إِعْدَامِي
مَخْلُوقٌ خَلَّاقٌ...

يَبْزُغُ خَيْطُ شَفَقِي فِي الْمَشْرِقِ،
تَأْوِي الْأَطْيَارُ إِلَى أَغْصَانِي، وَتُرْقِزُ،
وَتَهْبُ عَلَى أَوْرَاقِي الْأَنْسَامِ،
يَمْتَرِجُ الْعِطْرُ الْفَاغِمُ بِالْأَنْغَامِ،
وَجْهٌ مُتَعَشٍّ يَفْتَحُ فِي بَطْنِ عَيْنَيْهِ،
كَالْبَيْضَةِ تَنْشَقُ،
تَنْسَلُ الْفَرَحَةُ مِنْ جَفْنَيْهِ،
وَتَمُدُّ الْبَسْمَةَ أَجْنَحَةً،
وَتَحْطُ عَلَى شَفَتَيْهِ

حِينَ تَجِفُّ بِأَغْصَانِي الْأَوْرَاقِ،
وَيُودِّعُنِي ظِلِّي الْوَارِفُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ
بَاقٌ،

يَضْرِبُ مِنِّي الْحَطَّابُونَ السَّاقِ،
لَكِنِّي قَدْ أَغْدُو مَقْعَدُ بُسْتَانِ،
أَوْ نَافِذَةً يَتَسَرَّبُ مِنْهَا الْإِشْرَاقِ،
أَوْ تُصْنَعُ مِنْ خَشْبِي الْأَوْرَاقِ،

هنا في الخليج* للشاعرة صالحة عبيد غابش

هنا في الخليج
سبقى الشروق بحجم المحبة
وطير السلام يسبح ربه
ويهزم سيف المقاتل أنياب كل دخيل
ويأوي إلى دفء أرض
كعاطفة الأم ربه
ويبدأ شط الخليج كتابة تاريخه من
جديد

هنا في الخليج،
شروق بحجم المحبة
وأرض كعاطفة الأم ربه
وفجر هديل يداعب سربه
بأغنية للسلام
**
أهدي مياه الخليج ورحلة صيف
وبحارة جعلوا اليأس طيف؟!
تُرفرف فيهم عزائم
وجاء الشتاء يدق نوافذ كل الفصول
ويغلق باب الرحيل
ويشتاق ليل الرمال إلى أغنيات الرجال،
ويشدو النخيل

هنا في الخليج
صخور أفاقت على وقع موج غريب
يراود أحلامها
يمد إلى أمنها أذرعه
فأشرع إنساننا روحه
ليُردي الذي جاء كي يصصره

(*) ديوان «بانظار الشمس»، صالحة غابش، منشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، ط 1، 1992، ص: 17 - 25

إماراتُ الابتكار والسلام* للشاعر نايف عبدالله الهريس

إماراتُ المودّة والسلامِ	لها هيأتُ أنفاسَ الغرامِ
يُسافرُ في محبّتها فؤادي	ويحملُها كتاجِ المجدِ هامي
بها قد هبّ الأباءُ عهداً	من النُعمى كأنفاسِ الغمامِ
وَعَرَّدَ الاتِّحادُ بها لترسو	على شُطآنِها سُفنُ السَّلامِ
لقد خَطَّتْ بها الأحقابُ مجدّاً	بِنُضِّ الشَّعبِ من سامٍ وحامِ
ينابيعُ البطولةِ في رُباها	تفيضُ من الرُّويسِ إلى المدامِ
وإنْ نادَتْ حياضُ البذلِ يوماً	تسابقُ مُفتدوها للزَّحامِ
لها يحيي شهابُ المجدِ هاماً	فقد حَفِظَتْ تراتيلَ الحُسامِ
لقد ورثَ الشَّبابُ بها نشيداً	توهَّجَ منذُ أجدادِ كِرامِ
يقولُ لها: ألا عِمتِ بخيرِ	أيا بيتَ الأسودِ على الدَّوامِ
حصونُك نحنُ يا عِطرَ الأمانِ	ونُعمى زايدٍ بذرِ التَّمامِ
إماراتي بها يشدو ابتكارٌ	ومسبارٌ به أَمَلُ التَّسامي
لها أذكيَّتُ آمالي وروحي	لِتُشرقَ في أمانِها العِظامِ
وأخلَصْتُ الولاءَ لها لأحيا	وتَحيا حُرَّةً بينَ الأنامِ
إماراتي سيشدو بابتهاجِ	لها قلبي؛ لتكبرَ في غرامي
قطافُ الأمنياتِ لَهُ عَبيزٌ	يُريحُ الصِّدرَ في الوطنِ الهُمَامِ

(*) ديوان «لا تسألني»، نايف عبدالله الهريس، الغرير للطباعة والنشر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط 1، 2016

شعر عالمي

في قلبي
(توماس كارفر)

(1)

كان فخورًا بطفلته الصغيرة.
رافقها في يومها الأول إلى المدرسة.
تعلقت بروحه على طول الطريق،
سارا معًا في ظل غيمة من الهدوء والحزن.
- حين أراد المغادرة قالت له:
«أبي أرجوك ألا تذهب
لا تتركني هنا وحيدة».

(2)

في يوم زفافها، رقصت معه.
وبكى حين ذهبت بعيدًا.
كانت تردد «يجب أن أذهب الآن يا أبي»
كانت تهمس له:
«ذكرياتك في قلبي باقية».

(3)

في المشفى،
جلستُ إلى جانب سريرهِ، حزينه ومخدولة!
قبَلْتُ رأسه،
حاولت إخفاء حزنها، دموعها، خيبتها دون جدوى!
تمنت أن تمنع الموت في تلك اللحظة.
نظرت إليه وقالت:
أرجوك أن تبقى يا أبي، أنا ما زلت في قلبك وذكرياتك.
عندما تذهب بعيداً.

لمسات من نحبهم

(لندا ماريو)

(1)

أرى تحطم الأمواج وانكساراتها على الشاطئ
أرى كل ما تحمله من غضب يتلاشى
بين طبقات المحيطات
أنظر إلى السماء الزرقاء جداً
والشمس التي تفيض بالضوء والشروق
أشعر بها حين تنثر بهجتها ودفئها على الكائنات

أرى قافلة من الأعشاب
تتمايل في نسيم عذب
ترقص في تناغم هادئ ولطيف
أنظر إلى الأشجار
فأسمع غناء العصافير وهي تنثر السعادة
دون أي كلام
أتوقف، أجلس هناك، أسند ركبتي إلى صدري
وأرى الطبيعة في أحسن هيئة
وأ تأمل لِمَ لَمْ نعد نشعر بالجمال؟

(2)

حين ندع شواهد الجمال
تذهب بعيداً عن رؤيتنا
نتوتر، ونفتعل معارك ساذجة للفرح كل يوم
والحقيقة هي أننا نسينا تلك الأشياء الصغيرة
والجميلة التي تعني لنا الكثير.
نسينا الضحك، الحرية، اللعب
نسينا كيف نتأمل الطبيعة
نسينا حتى لمسات من نحبهم.

(3)

نحن لا نحيا دون تناغم مع الآخرين
وكلما تركنا شواهد الجمال تعبر إلى ذواتنا
وتتوحد فينا كل يوم وليلة
سنعيش بكل بهجة
مثل الشمس
والرياح
والأشجار
هكذا أتأمل الطبيعة
وأتساءل أمام جمال الكائنات:
كيف فقدنا المتعة
كيف هربنا من الرؤية
كيف أهملنا
تلك الأشياء الصغيرة؟

القِصَّةُ القَصِيرَةُ



القصة القصيرة

«القصة» مشتقة من الفعل «قَصَّ»، الذي يأتي بمعنى التَّبَع، يقال: قَصَّ فلانٌ أثرَ فلان: أي تتبَّعه. ومنه قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ قُصِّهِمْ فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾). ويأتي أيضًا بمعنى الإخبار والرواية، يقال: قَصَّ عليه الخبر: أي حدّثه، وقَصَّ القصة: أي حكاها. فالقصة: هي الحكاية التي تُحكى.

أمّا «القصة» في الاصطلاح فلها تعريفات كثيرة، لكنّ معظم هذه التعريفات يؤكد على أنّ القصة سرد متخيّل قصير نسبيّاً، يهدف إلى إحداث تأثير معين، وفي أغلب الأحوال تركّز القصة القصيرة على شخصية واحدة في موقف واحد، في لحظة واحدة، في مكان بعينه. وقد اختصر بعضهم تعريف القصة بقوله «فنّ أدبيّ نثريّ يتناول بالسرد حدثاً وقع، أو يمكن أن يقع».

وأهم ما يمكن أن يقال عن القصة (والرواية كذلك) إنّها فنّ غايته الإمتاع في المقام الأول، فليس من أهداف القصة (أو الرواية) أن تقدم معلومات للقارئ بصورة مباشرة، وليس من أهدافها أن تُعلّم أو تعظ. إنّ القصة فنّ، والفنّ لا يتخذ من الخطاب المباشر وسيلة أو طريقة للتعبير والوصول إلى وجدان القارئ.

إنّ القصة تستحثّ القارئ على التفكير والتأمل، وعلى أن ينظر إلى الحياة من زوايا مختلفة، ومن خلال تفاصيل صغيرة جدّاً قد لا ينتبه إليها، لكنها تشكّل حياة الناس، وتؤثر فيهم، لذلك نقول: إنّ القصة الناجحة هي التي تجعل القراء يفكرون، ويشعرون.

وهناك عناصر أساسية تقوم عليها القصة (أو الرواية)، والكاتب الناجح هو الذي يشكّل من هذه العناصر بناءً فنيّاً متجانساً متماسكاً، يؤثر في القارئ، ويوصل إليه فكرة ما بشكل غير مباشر، ومن أهم عناصر القصة:

1. الحدث: عادة ما تقوم القصة القصيرة على حدث مفرد؛ فالقصة تجري في زمان محدد، ومكان محدد، وتتناول موقفاً محدداً، أو شريحة من الحياة بغية تسليط الضوء عليها.

2. الشخصيات: عنصر الشخصية يعد دعامة أساسية من دعامات القصة، فلا يمكن أن تُبنى قصة من دون وجود شخصية تحرك الأحداث وتتأثر بها، والشخصية قد تكون إنساناً أو حيواناً أو كائناً متخيلاً.

3. الإطار الزمني والمكاني: يحدد هذا العنصر زمن وقوع الأحداث ومكانها، والكاتب المتمكن يوظف عنصر الزمان والمكان توظيفاً يناسب جو القصة، والفكرة.

4. الراوي وجهة النظر: الراوي هو الذي يروي القصة، وهو ليس الكاتب، بل الكاتب يختار وجهة نظر معينة تُروى من خلالها القصة، ويرويها راوٍ قد يكون شخصية من شخصيات القصة، وقد يكون راوياً خارجياً. ووجهة النظر التي ينطلق منها الراوي تتقاطع مع فكرة الرواية، لأنها تعبّر عنها.

5. الحبكة: الطريقة التي يجمع بها الكاتب أحداث قصته أو روايته ليصنع منها عملاً فنياً، يجذب القارئ، ويشده في اتجاه النص من بدايته حتى نهايته، وقد يظهر خط بسيط للحبكة في بعض القصص، فعلى الرغم من قصر القصة، وضيق المساحة المتاحة للكاتب ليتحرك فيها، إلا أن بعض القصص يظهر فيها تصاعد للأحداث، ووصولها إلى نقطة توتر عليا، ثم انحدار نحو النهاية.

6. التشويق: هو العنصر الذي يشدّ القارئ نحو القصة وعالمها، وغالباً ما يكون مرتبطاً بشيء تريده الشخصية الرئيسة، أو مشكلة تواجهها. بعض القصص قد تتحرر من البنية التقليدية التي تعتمد على التشويق وتأزم الموقف، خاصة تلك التي تركز على مشهد وحيد مضغوط، أو التي تُبقي القارئ داخل دائرة تفكير الشخصية وتأملاتها وأسئلتها، ولذلك يصنف بعضهم القصص إلى «قصة شخصية» و«قصة حبكة أو حدث». أمّا الثانية، في الغالب، فهي التي قد تحوي عنصر التشويق القائم على توتر الأحداث ووصولها إلى نقطة تأزم عليا.

7. الفكرة أو الموضوع: وهي الرسالة المبطنة في القصة، والتي يريد الكاتب من القارئ أن يصل إليها.

8. اللغة: اللغة ترتبط بحجم القصّة، ويجب أن تكون مكثفة تعتمد التلميح بدل التصريح؛ فلا مجال للوصف المسهب فيها، وغالبًا ما يتراوح عدد كلماتها بين خمسمئة إلى عشرة آلاف كلمة، وقد تستخدم الحوار الذي يجب أن يناسب الشخصية، مما يفتح الباب للعبارة العامية والشعبية.

ويمكننا أن نجمل القول في القصّة فنقول: إنّ القصّة لا تتناول -خلافًا للرواية- شخصية كاملة بكل ما يحيط بها من حوادث وظروف وملابس، وإنما تكتفي بتصوير جانب واحد من جوانب حياة الفرد. ولا تتعدد الشخصيات في القصّة القصيرة. ومن الضروري أن تتوافر وحدة الفعل والزمان والمكان؛ فيجب أن يكون المكان محدودًا، وأن يكون الزمان قصيرًا. وأن ينتقي القاصّ -عكس الروائي- حدثًا من الحياة اليومية، ويحاول أن يجعل منه موقفًا فنيًا، يوضح به حقيقة من الحقائق.

ولم تعد بنية القصّة القصيرة وعناصرها كما كانت وقت ظهورها، فقد اختلفت بعض الشروط واختلفت بعض العناصر، حتى تكاد كل قصة قصيرة لها شكلها الخاص. ولقد تعددت موضوعاتها وأغراضها ومجالاتها، وتباينت في مدى ارتباطها بالواقع أو ابتعادها عنه.

الخبز*

(فولفجانج بورشيرت)

استيقظت فجأة وكانت الساعة الثانية والنصف، وأخذت تُفكر في أنها استيقظت، ثم تذكرت أنه في المطبخ كان أحد قد اصطدم بكرسي، أخذت تنصت في اتجاه المطبخ فكان الهدوء سائداً، هدوء تام للغاية، وعندما تحسست بيدها فوق السرير إلى جوارها وجدته خالياً، تتخبط في مشيتها داخل الشقة، في اتجاه المطبخ، وهناك في المطبخ تلاقيا، وكانت الساعة الثانية والنصف، لقد رأيت شيئاً أبيض اللون عند دواب المطبخ¹، أضاءت النور. كانا قد وقفنا بقميصي النوم، يواجه كل منهما الآخر ليلاً، ليلاً في الساعة الثانية والنصف في المطبخ.

فوق منضدة المطبخ كان يوجد طبق خبز. لاحظت أنه كان قد قطع لنفسه خبزاً، وكانت السكين لا تزال إلى جوار الطبق، وكان على المفرش فتات من الخبز، لقد تعودت تنظيف مفرش المنضدة كلما كانا يتأهبان إلى الفراش كل مساء، يرى أنه الآن كان يوجد فتات خبز على المفرش وكانت السكين عليه. لقد شعرت ببرودة البلاط تزحف إليها عالياً، وصرفت أنظارها عن الطبق، قال هو بينما ينظر حوله في المطبخ «ظننت أن هنا ربما ثمة شيء ما»²

فأجابت: «سمعت أنا أيضاً شيئاً ما». وهنا اكتشف أنه كان فعلاً يبدو عجوزاً وهو بالليل في قميص النوم، عجوز كما كان فعلاً، ثلاثة وستون عاماً، على مدار النهار كان يبدو أحياناً أصغر سناً.

وفكر هو: «إنها تبدو فعلاً عجوزاً، في قميص النوم تبدو فعلاً وكأنها عجوز، ولكن ربما كان شعرها هو السبب حيث إن الشعر يتسبب في جعل النساء تبدو ليلاً أكبر سناً، ثم يجعل المرء عجوزاً تماماً مرة واحدة»³.

(*) قصص قصيرة من الأدب الألماني، ترجمة وتقديم: أحمد كامل عبد الرحيم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، 2008، ص 101-105.

(1) من تتوقع كان عند دواب المطبخ وسط العتمة؟

(2) لم تظاهر الزوج بأنه سمع صوتاً عندما انتبه إلى وجود زوجته؟

(3) كيف يمكن أن تصف مشاعر الزوج نحو زوجته هنا؟

«كَانَ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَنْ تَلْبَسَ حِذَاءً، حَافِي الْقَدَمَيْنِ هَكَذَا فَوْقَ الْبَلَاطِ
الْبَارِدِ! سَتُصَابُ بِالْبَرْدِ أَيْضًا».

لَمْ تُدَقِّقِ النَّظَرَ فِيهِ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ تَحْمَلَ أَنْ يَكْذِبَ، أَنْ يَكْذِبَ بَعْدَ
مُرُورِ تِسْعَةٍ وَثَلَاثِينَ عَامًا عَلَى زَوَاجِهِمَا.⁴

(4) حَدَّدِ الْمَشَاعِرَ الَّتِي
انْتَابَتْ الزَّوْجَةَ كَمَا
تَفْهَمُ مِنَ الْعِبَارَاتِ
الَّتِي تَحْتَ حَظِّهَا.

«ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ ثَمَّةُ شَيْءٍ مَا» قَالَ ذَلِكَ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يُعَاوِدُ النَّظَرَ
مِنْ رُكْنٍ إِلَى آخَرَ دُونَ دَاعٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، «لَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئًا مَا، ظَنَنْتُ
فَعَلًا أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ ثَمَّةُ شَيْءٍ مَا».

«لَقَدْ سَمِعْتُ شَيْئًا أَيْضًا»، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَيْ شَيْءٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ،
ثُمَّ رَفَعَتْ الطَّبَقَ مِنْ فَوْقِ الْمِنْضَدَةِ، وَأَخَذَتْ تُزِيحُ الْفَتَاتِ مِنْ فَوْقِ
الْمِفْرَشِ.⁵

(5) لِمَ قَامَتْ الزَّوْجَةُ
بِإِزَاحَةِ فَتَاتِ الْخُبْزِ،
وَرَفَعَتْ الطَّبَقَ دُونَ
أَنْ تُعَلَّقَ؟

وَكَّرَرَ هُوَ مُرَدَّدًا «لَا، لَمْ يَكُنْ ثَمَّةُ شَيْءٍ مَا حَقًّا، لَا بُدَّ أَنْ هَذَا قَدْ حَدَثَ
بِالْخَارِجِ، لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ رُبَّمَا حَدَثَ شَيْءٌ مَا هُنَا».

رَفَعَتْ يَدَهَا فِي اتِّجَاهِ مِفْتَاحِ النُّورِ وَفَكَّرَتْ، «حَسَنًا، لَا بُدَّ أَنْ أُطْفِئَ النُّورَ
الآنَ وَإِلَّا فَإِنَّنِي سَأُضْطَرُّ إِلَى الْإِتِّجَاهِ بِنَظَرِي إِلَى الطَّبَقِ فِي حِينَ لَا يَصِحُّ
لِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ». ثُمَّ قَالَتْ وَهِيَ تُطْفِئُ النُّورَ: «هَيَّا لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ
بِالْخَارِجِ، إِنَّ الْمِزْرَابَ يَصْطَدِّمُ دَائِمًا بِالْحَائِطِ عِنْدَمَا تَكُونُ هُنَاكَ رِيَّاحٌ.
لَقَدْ كَانَ الْمِزْرَابُ بِالتَّأَكِيدِ، فَعِنْدَمَا تَعْصِفُ الرِّيحُ فَإِنَّهُ دَائِمًا يَهْتَزُّ».⁶

(6) مَا الَّذِي تَحَاوَلُ
الزَّوْجَةُ أَنْ تَفْعَلَهُ
بِحَدِيثِهَا عَنْ
الْمِزْرَابِ؟ وَكَيْفَ
يُعْبَرُ ذَلِكَ عَنْ
شَخْصِيَّتِهَا؟

أَخَذَ كِلَاهُمَا يَتَخَبَّطَانِ مُسْرِعَيْنِ عَبْرَ الْمَمَرِ الْمُظْلِمِ إِلَى حُجْرَةِ النَّوْمِ،
وَكَانَتْ أَقْدَامُهُمَا الْحَافِيَةُ تُحْدِثُ لَطْمَاتٍ عَلَى الْأَرْضِ، وَرَأَى هُوَ أَنَّهَا
الرِّيحُ حَقًّا «لَقَدْ كَانَتِ الرِّيحُ تَعْصِفُ طَوَالَ اللَّيْلِ بِأَكْمَلِهِ، لَقَدْ كَانَ
الْمِزْرَابُ بِالتَّأَكِيدِ، ظَنَنْتُ أَنْ ذَلِكَ رُبَّمَا كَانَ فِي الْمَطْبَخِ، وَلَكِنَّ السَّبَبَ
كَانَ الْمِزْرَابُ».

رَدَّدَ ذَلِكَ وَهُوَ يَكَادُ يَكُونُ قَدْ غَلَبَهُ النَّوْمُ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا حِظَّ كَيْفَ كَانَتْ
نَغْمَةُ صَوْتِهِ غَيْرَ صَادِقَةٍ عِنْدَمَا يَكْذِبُ.

وقالت وهي تشاءبُ بصوتٍ منخفضٍ: «إنَّ الطَّقسَ باردٌ، سأزحفُ تحتَ الغطاءِ، تصبُّحٌ على خيرٍ».

أجاب: «طابت لي ليلتكِ، إنَّ البردَ شيءٌ جميلٌ حقًّا».

ثمَّ ساد الهدوءُ، وبعدَ عدَّةِ دقائقٍ سمِعتهُ يمضغُ ببطءٍ وحذرٍ، وتعمَّدتُ أنْ تتنَفَّسَ بعمقٍ وبشكلٍ مُنتظمٍ، إذ لا ينبغي أنْ يلحظَ أنَّها لا تزالُ مُستيقظةً، غيرَ أنَّ المضغَ كانَ مُنتظمًا إلى حدِّ أنَّها بسببِهِ استغرقتُ في النَّومِ تدريجيًّا.

وعندما عادَ في اليومِ التَّالي إلى المنزلِ أزاختُ إليه أربعَ شرائحٍ خبزٍ في حينِ أنَّه كانَ في العادةِ يأكلُ ثلاثًا فقط.

قالتُ وهي تبعدُ عن المصباحِ تستطيعُ أنْ تسعدَ بتناولِ أربعِ شرائحٍ، إنَّني لمْ أعدْ أستطيعُ الاستمتاعَ بهذا النوعِ من الخبزِ فلتأكلِ واحدةً إضافيةً، إنَّني لمْ أعدْ أطيقُ تناوله مساءً كالسَّابقِ.⁷

وهنا لاحظتُ كيفَ ينحني كثيرًا فوقَ الطَّبَقِ، ولمْ ينظرْ إلى أعلى. وفي هذه اللَّحظةِ أخذتُ تُشفقُ عليه.

فقال وهو مُنكبٌّ على الطَّبَقِ «لا يُمكنك أنْ تكتفي بتناولِ شريحتين».

«بلى، إنَّني في المساءِ لا أُفضِّلُ كثيرًا هذا الخبزَ، هيّا! كُلْ!، كُلْ!».

ولمْ تجلسْ تحتَ المصباحِ عندَ المِنْصَدَةِ إلَّا بعدَ بُرْهةٍ.⁸

(7) هل حقًا هي لم تعد تطيقُ الخبزَ كالسابق؟ علام يدل ذلك؟

(8) لماذا كانت الزوجة تتعمد الابتعاد عن المصباح في كلِّ مرة؟

مصباح الحَمَامِ لطيفة الحاج

راقبت الشمس وهي تغيب فشعرت بالحزن، ستعود إلى الغرفة المظلمة، وتنام على الضوء النافذ من الحمام هذه الليلة أيضًا، كانت تُفكر في ادّخار مصروفها؛ لتشتري مصباحًا من البقالة، لكنها شعرت بالجوع الشديد؛ لأنها لم تتناول عشاءها بالأمس، كل يوم تشعر بالجوع بعد ثلاث حصص دراسية، ولا تتمكن من ادّخار المصروف.

غابت الشمس تمامًا، وحل الليل، تذكّرت واجب العلوم الذي لم تنته من حله، فتحت باب الحمام على اتساعه وجلست بالقرب منه تحل الواجب.

زوجة أبيها تستقبل الجارة الجديدة في غرفة الجلوس، وهي بعد أن أخبرتها قبل أسبوع عندما احترق المصباح، واقرحت عليها بنفاد صبر أن تفتح باب الحمام، وتنام على الضوء النافذ منه، قرّرت ألا تُخبرها مُجددًا، قفزت إلى عقلها وهي تقوم بحل الأسئلة في فصل الأمراض في كتاب العلوم، وهي تنن من الحمى قبل شهر من اليوم، كانت تمنى لو أن زوجة والدها -خالتها هند- تطل عليها وهي مُتمددة بوهن تهذي على سريرها الصغير، والمصباح يُشعُّ أعلى رأسها. بقيت الخالة تتابع الحلقة من المسلسل العربي المعروف على التلفاز، والأصوات العالية المنبعثة منه تزيد من وجعها ووهنها.

ترقرقت دموعها على الدفتر، ليلة أخرى على ضوء الحمام، إنها تخاف النوم بعد أن سمعت الفتيات في المدرسة يتحدثن عن أشباح تخرج ليلاً من الحمام إذا ترك بابه مفتوحًا، لكنها تخشى الظلام أكثر، وإن فكرت في ترك باب الغرفة مفتوحًا لتنام على الضوء القادم من غرفة الجلوس لن تتمكن من النوم؛ فالأصوات القادمة من هناك عالية ومزعجة.

خلدت إلى النوم بعد أن قرأت الموعودتين؛ لتطرد الأشباح من الغرفة وتعيدها إلى الحمام.

صباح اليوم التالي، التقت جدّها يروي شجيراته وهي في طريقها لركوب باص المدرسة، ناولها عشرة دراهم فقفز قلبها فرحًا، الليلة لن تنام على ضوء مصباح الحمام.

زعتَر وزنجبيل* د. سعاد العريمي

(1) اندفقت ثلوج (واشنطن) بغزارة في ذلك المساء، وخلتها تندلق في جوفي فشربتها، ولم ترو ظمأ الصحراء المتجذّر في داخلي. ثلوج بيضاء تلوح كضوء خفوق، كالبرد، كالماء، تفصلني عن سواد الليل المتربّع على عتبات الأفق. ثلوج تجذّر القحط المختزن في الذاكرة، وتغيّم بين الإدراك واللاشعور؛ فأسدل دثار الثلج كخيمة يظللها الغبار، وأدخل بين الكهوف، وأعلن عجزني عن استيقاف تلك الليلة الذاهبة كخشخشة ريح.¹

(1) في القصة إشارات إلى فصل الشتاء كونه الزمن الذي بدأت به القصة، اذكر بعض هذه الإشارات.

عربات تخفق خلف نافذتي.. خلف أسوار الحديقة، ثم تيه في أزقة الصحراء ولم أر سوى أشباح بعيدة لضباب يتكوم بفعل الغليان، احترقت وريقات الزعر المتناثرة من قبضة يدي ولم أبه لها، ولم أبه لتسلل الضوء وانعكاساته على الرّكوة المرتجفة بين أصابعي. ضياء يشق غبار الثلج المتراكم على ذاكرة الشتاء؛ ليعلن عن شروق الشمس. شعاع يتكسر على ظهر نافذتي، ويغمر الممرات، ويتركني أفتش عن نوم هاني... نوم مكتنز بالأحلام، فأغفو على أبخرة الزعر، واختناقات الزكام، وصوت سلامة بنت فرج يهذهذني²:

«أشربي الزعر والزنجبيل، زين عن الزكام» ثم تمضي، وأحس بأن خلفي مجرات مهشمة تدفعني إلى مياه مضطربة؛ فأمشي وأتركها ترعد تحت قدمي.

(2) في سكة خيل دبي كنت أخطر كالغريبة، أزن خطواتي وزناً غير متعادل، حينها أدركت بأنّ للميزان كفةً ثالثة، أزن خطواتي باحثة عن امتداد للمكان، ولم أجده، عن ذاكرة للزمان، ولم أهتد إليها. هجر

* رأس ذي وزن (قصص)، وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع، واتحاد كتاب وأدباء الإمارات، الشارقة، الطبعة الأولى، 1997.

(2) قطعت الراوية اللحظة الآتية مسترجعة الماضي وذلك بإدخال شخصية جديدة هي سلامة بنت فرج. ابحث عن أمثلة أخرى في القصة للاسترجاع بهدف إدخال شخصيات جديدة مؤثرة في سير الأحداث وتناميها.

(3) ما التغير الذي طرأ على المكان (شارع سكة الخيل) كما فهمت؟

(4) تشعر الكاتبة

بحدوث نقلة لا تستطيع تحملها أو استيعابها في الزمان والمكان. ضع خطأ تحت العبارات الدالة على ذلك.

المكانُ شارعُ سكةِ الخيل³، وَرَحَلَ الزَّمانُ معَ الغابرينَ، وبقيتُ أنا مغيبَةً دونَ هُويَّةٍ نبتَةٍ عالِقَةٍ في هوامشِ المكانِ. على غفلةٍ بُغِتُ بزمنٍ آخرَ خارجٍ مدارِ الذَّاكرةِ، الذَّاكرةُ التي بدأتِ تَتَهَدَّجُ رُويْدًا رُويْدًا، وعصرٍ مغيبٍ وراءِ الأضواءِ المشتعلةِ الضاربةِ على وجوهِ المارَّةِ والمرتكزةِ على ثُغورِ النَّساءِ المنبهراتِ بما تُعرِضُهُ المتاجرُ من أمتعةٍ.⁴

وقفتُ أَتأملُ تلكَ النَّسوةِ السَّافراتِ «لا يُشبهنَ أُمِّي سلامة» أَتأملُهُنَّ وهُنَّ في حالةِ حَرَكةٍ دائِيةٍ... مُهرولاتٍ، غادياتٍ ومُدبراتٍ. على مَقَرَبَةٍ منَ المشهدِ جَلَسَ رجلٌ كَهْلٌ شاخصًا بِبصرِهِ ناحِيَةَ المجهولِ، تتقاطرُ الحَبَّاتُ المِرجانيَّةُ بينَ أَصابعِهِ متناغمةً معَ تَمَتَّةٍ غيرِ مسموعةٍ يلهجُ بها وهو زائغُ البَصَرِ.

(3) التفتتُ إليه متعمدةً: «مَسَّاكُ اللّهُ بِالخيرِ يا أبا حمدان». ابتسمَ وتَلَجَلَجَتُ عِناهُ بالدموعِ مِنَ الفرحِ لسماعِ صَوْتِها أو بِفعلِ السَّنِّ رُبَّما. تخلَّلَ صَوْتُهُ الدافئُ مسامَ سلامةَ بنتِ فرجٍ، وانتعشتُ، فسبرتُ وجنتها متخذةً لونَ الأرجوانِ، مالَ طرفُ بُرْقِعِها بِرفقٍ كاشفًا عن شَفَتَيْنِ قُرْمِزِيَّتَيْنِ، وبسرعةٍ أعادتهُ إلى وَضْعِهِ، زَمَ النُّوْخَدا¹ شَفَتَيْهِ النَّاشِفَتَيْنِ، وفَرَكَ شاربِيهَ اللَّذَيْنِ خَفَّتْ غَزَارَتُهُمَا، ولم يَتَبَقْ مِنْهُمَا سِوَى نُقْطَةٍ بِيضاءٍ في مُتَنَصِّفِ الشَّفَةِ العُلَيَّا. لم تَلَحَظْ سلامةُ ذلكَ التَّوتُّرَ البادِيَ على مُحِيَّا النُّوْخَدا، وإِنَّمَا اكْتَفَتْ بِصَوْتِهِ الَّذِي أَخَذَ يَسْتَعِيدُ طَراوَتَهُ بعدما أيقنَ بأنَّهُ ليسَ وحدَهُ في شارعِ سكةِ الخيلِ.⁵

(5) تُظهرُ القِصَّةُ ارتباطَ الكاتبةِ بالجدَّةِ سلامة، حدِّدْ بعضَ مظاهرِ هذا الارتباطِ.

«خُذِي زَعترَ وزَنْجَبِيلَ هذا زَيْنَ عن البردِ». قُلْتُ لَهَا: «أريدُ لُبَّانًا». مَدَّتْ يَدَها نَاحِيَةَ الكيسِ بِسرعةٍ، وأَخْرَجَتْ حَبَّاتٍ كَهَرْمَانِيَّةٍ، ونَثَرَتْها على رُقعةٍ مِنَ القِرطاسِ:

«هذا لُبَّانُ عُمانيٍّ - ظَفاريٍّ... هذا خُصوصيٍّ ما نُعْطِيهِ إِلَّا لِلْغاليينَ».

(1) . النوخدا أو النوخدة : ربان السفينة.

تقول ذلك وعيناها ترقبان خَلْجَاتِ النّوْخَا الَّذِي أَخَذَ يَسْتَرْقُ النَّظَرَ إِلَى نَحْرِهَا.

لَوْلُوَّةُ حَصْبَاءٍ¹ بَرَقَتْ فَجَاءَةً مِنْ وَرَاءِ الْأَرْهَافِ الَّتِي تُرْفَفُ عَلَى صَدْرِ سَلَامَةَ. كَانَ رَاشِدُ بْنُ نَاصِرٍ قَدْ أَهْدَاهَا لَهَا، «هَكَذَا تَخَيَّلْتُهَا»، أَوْ كَانَتْ ضِمْنَ (زَهَبَتْهَا)² عِنْدَ زَوَاجِهَا مِنْ سَعِيدِ بْنِ مَرْدِفٍ الَّذِي فَقَدَ فِي الْبَحْرِ فِي أَثْنَاءِ مَوَاسِمِ السَّفَرِ. رَحَلَ سَعِيدٌ دُونَ أَنْ يَهَبَ سَلَامَةَ الضَّنَى الْمُنْتَظَرِ، ذَهَبَ دُونَ أَنْ يَهَبَهَا وَلَدًا، وَهَكَذَا بَقِيَتْ وَحِيدَةً³ تُنَاطِرُ النّوْخَا رَاشِدًا مِنْ خَلْفِ الْبُرُقِ لِأَكْثَرِ مِنْ أَرْبَعِينَ عَامًا.

(6) لِمَ كَانَتِ الْجِدَّةُ سَلَامَةً وَحِيدَةً؟

(4) كَانَ يَوْمًا حَارًّا قَائِظًا مِنْ صَيْفِ تَمُوزَ عَامَ 2002 عِنْدَمَا زُرْتُ شَارِعَ سَكَّةِ الْخَيْلِ، اتَّفَقْتُ مُرْتَادِيهَا كَالْعَادَةِ، وَاتَّبَعْتُ مِنْ عِنْدِ أُمِّي سَلَامَةَ، فَرِحْتِي أَوْشَكَتُ قَرِيبَةً. تَعَوَّدْتُ أَنْ تَسْأَلَنِي عِنْدَ كُلِّ زِيَارَةٍ «هَآ مَتَى الشُّومَةُ؟»⁴ ثُمَّ تُهْمِهِمْ بِأَدْعِيَةٍ يَصِلُنِي مِنْهَا الْمَقْطَعُ الْآخِرُ «اللَّهُمَّ بِالْحِفْظَانِ وَالْجَبْرَانِ». وَأُغَادِرُ السُّوقَ مُحَمَّلَةً بِالْذَّعَوَاتِ وَبِأَكْيَاسِ الْأَعْشَابِ وَالْأَدْوِيَةِ، أَكْدَسُهَا سَنَةً بَعْدَ أُخْرَى، إِذْ لَا يَزَالُ بَعْضُ مِنْهَا يَسْكُنُ أَرْفَفَ مَطْبَخِي فِي وَاشْنَطْنِ. فِي ذَلِكَ النَّهَارِ مِنْ سِبْتَمْبَرِ عَامَ 2004، كَانَتِ الْفَرَحَةُ تُعَرِّشُ عَلَى ذِهْنِي، فَقَطُّ لَأَنْنِي أَرَدْتُ أَنْ أُخْبِرَهَا بِأَنْنِي عُذْتُ «عِنْدَمَا تَعُودِينَ إِلَى الْبِلَادِ لِأَزِمَ أَعْرِفَ عِلْشَانَ أَفْرَحَ بِنَجَاحِكَ». وَلَمْ أَجِدْهَا.

فِي ذَلِكَ النَّهَارِ لَمْ يَكُنْ رَاشِدُ بْنُ نَاصِرٍ قَابِعًا عَلَى دِكَّتِهِ كَالْمُعْتَادِ، وَلَمْ تَجْلِسْ سَلَامَةُ بِنْتُ فَرَجٍ فِي الرُّكْنِ الْمَقَابِلِ لَهُ⁵، كَانَ مَكَانُهُمَا فَارِعًا مُهْمَلًا، تَبْعَثُ مِنْهُ رَائِحَةُ الرُّطُوبَةِ، كَانَ مَكَانُهُمَا نِتْنًا مَلِيًّا بِبِصَاقِ الْمَارَةِ. فَرَاغٌ دَامِسٌ يَلْفُ شَارِعَ سَكَّةِ الْخَيْلِ، فَانْكَفَأَتْ كُلُّ الرُّؤَى.

فِي ذَلِكَ النَّهَارِ الْغَامِقِ لَمْ تَكْتَحِلْ عَيْنِي بِرُؤْيَيْتِهِمَا، وَلَمْ تَصِلْنِي رَائِحَةُ

(7) مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ حَدَثَ لِكُلِّ مَنْ رَاشِدُ بْنُ نَاصِرٍ وَسَلَامَةُ بِنْتُ فَرَجٍ؟ وَمَا السَّبَبُ الرَّئِيسُ بِرَأْيِكَ؟

(1) اللؤلؤة الحصباء: هي لؤلؤة كبيرة الحجم.

(2) الزهبة: الهدايا التي تقدّم للعروس من قبل عائلة العريس.

(3) الشومة: (في اللهجة المحلية): السفر.

دِهْنِ الْعُودِ الْمُنْبَعَثَةِ مِنْ ثَنِيَا وَجُودِهِمَا الْمَمْتَدَّ عِبْرَ الذَّاكِرَةِ، ذَاكِرَةِ
الْوَصْلِ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَطَعَ أَوْصَالُ الْوَصْلِ وَقَبْلَ أَنْ تُجْرَحَ سِكَّةُ الْخَيْلِ بِزَعِيقِ
(المواتر¹) وَصَخْبِ الشُّيَاحِ⁸. قَبْلَ أَنْ تَخْطُرَ (ناتاليا) فِي الشَّارِعِ الْمَمْتَدِّ
مِنَ الْمَكْتَبَةِ الْعَامَّةِ شِمَالًا حَتَّى الْعَبْرَةِ جَنُوبًا².

(8) فِي رَأْيِكَ هَلْ كَانَ
ارْتِبَاطُ الْكَاتِبَةِ بِـ
(سِكَّةِ الْخَيْلِ) نَابِعًا
مِنَ الْمَكَانِ نَفْسِهِ،
أَمْ أَنَّ الْارْتِبَاطَ كَانَ
بِسُكَّانِ ذَلِكَ الْمَكَانِ
وَمُرْتَادِيهِ؟ وَضَّحْ
ذَلِكَ.

(1). المواتر: العربات
(2). أماكن في دبي

الكرتونة

نايف النوايسة

بعد انتظارٍ طويلٍ طويلٍ، استقرتُ أمام بابِ الشّقة السّفليّة في العِمارة.

قرعَ الرَّجُلُ الجَرَسَ مرّةً ومرتينِ وثلاثاً، وأصاخَ السَّمْعُ مُتَظَرّاً، وحينَ لم يردّ أحدٌ عليه غادرَ مُنْصَرِّفاً، كلمةً (مُباركُ) على سَطْحِ الكَرْتُونَةِ تثيرُ التّساؤلَ والشّهيةَ والفُضولَ، سُكَّانُ العِمارة قَلَمَا يَتَزَاوَرُونَ، وإذا ما التّقوا عِنْدَ البابِ الرَّئيسِ يتفاجئُونَ، وكأنّهم لا يَسْكُنُونَ عِمارةً واحدةً¹، يَسْأَلُونَ على الدَّرَجِ مِثْلَ سَوَائِلَ فَقَدَتْ وَظَائِفَهَا الحَقِيقِيَّةَ في الحِياة؛ بَارَحَتْهُمْ حَمِيمِيَّةُ الجيرانِ المَعهودَةِ، الابتساماتُ العَفْويَّةُ، التّحِيَّةُ البريئةُ، المِجَامَلَةُ السَّرِيعَةُ.. عِمارةٌ لها بابٌ واحدٌ، ولكنّ مِشاعِرَ سُكَّانِها مُوزَعَةٌ على سُقُوفٍ مُنْفَصِلَةٍ.

الكَرْتُونَةُ عالَمٌ ورَقِيٌّ غامِضٌ داهِمُهُمْ، شوْكَةُ الأَسِئَةِ الحادَّةِ وَخَزَتْ جِسْمَ العِمارةِ، الكَرْتُونَةُ هَبَّةُ رِيحٍ مُتَسَلِّلَةٍ إلى فِضاءاتٍ تخلو من الاستِثناءِ، هي صرّخةٌ مُباغِتَةٌ في زاوِيَةِ صامِتَةٍ، مَضَتْ سنواتٌ رَتِيبَةٌ علا فيها صَدَأُ (العاديّة) على النُّفوسِ، وتحوّلتِ العِمارةُ إلى صندوقٍ خالٍ من الدّهْشَةِ وارتِعاشاتِ الحِياةِ.

مرّ أولُ ساكِنٍ من سُكَّانِ العِمارةِ بالكَرْتُونَةِ المُتربّصَةِ، عاينَها، لم يعتدّ على رُؤْيَةٍ مِثْلِ هذا الشَّيْءِ، مَسَحَ نَظَارَتُهُ السَّمِيكَةَ، وَحَمَلَقَ بالكَرْتُونَةِ، عَلِقَتْ عَيْنَاهُ بِكَلِمَةِ (بَرْدٌ) على أَحَدِ جَوَانِبِها، بَدَتْ الحيرةُ على وَجْهِهِ حَوْلَ مَعْنَى هَذِهِ الحُرُوفِ، ارْتَقَتْ نَظَارَتُهُ إلى كَلِمَةِ (مُباركُ) تَسأَلُ: ماذا يَعْنِي هَذَا؟ باوَصَ بَعَيْنَيْهِ وَهُوَ يُمِيلُ بِرَأْسِهِ يَمِيناً وَشَمَالاً، ثُمَّ أَخَذَ يُقَلِّبُ شَفَتَهُ السُّفْلَى دِلالةً عَدَمِ الفَهِمِ، وفي الأثناءِ اقْتَرَبَ مِنْهُ جَارٌ آخَرُ شَدَّهُ الفُضُولَ إلى وَفْقَةِ جَارِهِ، لم يُسَلِّمْ أَوْ يَتَكَلَّمْ²، راحَ يَتَأَمَّلُ الكَرْتُونَةَ وَيُرْحَلُ بَصَرُهُ بَيْنَها وَبَيْنَ جَارِهِ الَّذِي لا يَعْرِفُ اسْمَهُ، التَّقَطَّ كَلِمَةٌ على الكَرْتُونَةِ،

(1) ما الذي يُمكنُ أن تستنتجهُ من العبارة التي تحتها خطٌّ؟

(2) ما الذي تستنتجهُ من هذه العبارة؟

وَصَارَ يُقَلِّبُهَا بَيْنَ شَفَتَيْهَا (كَسْتَنَاءَ)، تَبَادَلَ الرَّجُلَانِ نَظْرَاتٍ بَارِدَةً، وَخَرَجَا مُتَتَابِعِينَ، التَفَتَا مَرَاتٍ عَدِيدَةً إِلَى الْخَلْفِ، الْكَرْتُونَةُ تَرُسُّمُ أَسْئَلَتِهَا عَلَى وَجْهِهِمَا، لَمْ يَتَبَعِدَا كَثِيرًا، وَإِنَّمَا وَقَفَ كُلُّ مِنْهُمَا عَلَى طَرَفِ الشَّارِعِ، عُيُونُهُمَا مُسَلِّطَةٌ عَلَى الْعِمَارَةِ، وَالْكَرْتُونَةُ وَسْوَاسٌ فِي رَأْسَيْهِمَا³.

(3) في رأيك لماذا أثارَت الكرتونة الفضول؟

اقْتَرَبَتْ سَيِّدَةٌ وَابْنَتُهَا الصَّبِيَّةُ مِنَ الرَّجُلَيْنِ، عَرَفَتْ أَنَّهُمَا مِنْ سُكَّانِ الْعِمَارَةِ، طَاطَأَتْ رَأْسَهَا، وَمَرَّتْ دُونَ كَلَامٍ، قَلَبَتْ كَفَّيْهَا مُتَسَائِلَةً عَمَّا أَصَابُهُمَا؟ مَا الَّذِي أَوْفَقَهُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟ هَلْ يَنْتَظِرَانِهَا؟ دَخَلَتِ الْعِمَارَةَ وَشَيْطَانُ الْاسْتِغْرَابِ يَلْعَبُ بِهَا شَرْقًا وَغَرْبًا، وَيَسُوِّطُهَا بِأَسْئَلَةٍ لَا تَنْتَهِي، عَيْنَاهَا تَضْطَلِدُ مَا بِالْكَرْتُونَةِ إِيَّاهَا، أَلْوَانُهَا لَا فِتْنَةَ، وَالْكِتَابَةُ عَلَيْهَا بِخُطُوطٍ مُلَوَّنَةٍ، عَايَنَتْهَا بِدِقَّةٍ وَحَاوَلَتْ لِمَسَهَا، لَكِنَّهَا خَافَتْ، سَاوَرَهَا شُعُورٌ غَرِيبٌ، فَهَرَوَلَتْ صَاعِدَةً الدَّرَجِ، وَقَدْ عَلِقَتْ كَلِمَةً (مَطَرٌ) بَيْنَ شَفَتَيْهَا وَأَسْنَانِهَا وَلِسَانِهَا، صَارَتْ تُحَسِّبُ وَتُخَمِّنُ: هَدِيَّةٌ لِجَارَتِنَا، كَلِمَةٌ (مُبَارَكٌ) مَاذَا تَعْنِي؟ قَدْ تَكُونُ شَيْئًا آخَرَ، رُبَّمَا قُبْلَةً.. «أَعُوذُ بِاللَّهِ، أَعُوذُ بِاللَّهِ»، خَافَتْ مِنْ هَذِهِ الْخَوَاطِرِ وَابْتَعَدَتْ صَاعِدَةً وَهِيَ تَرُشُّقُهَا بَنَظَرَاتٍ هَلِيعَةٍ⁴، فِي ذَاتِ الْحِينِ اقْتَرَبَ سَاكِنٌ آخَرُ مِنَ الْكَرْتُونَةِ، وَحَنَى ظَهْرَهُ لِيَقِفَ عَلَى سِرِّهَا، الْجَارَةُ فَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ انْطَبَقَ بِقُوَّةٍ، التَزَمَ الرَّجُلُ الْهُدُوءَ وَاللَّامْبَالَاةَ، وَرَاحَ يَصْعَدُ الدَّرَجَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ شَقَّتَهُ، وَإِنَّمَا ذَلَّى رَأْسَهُ مِنْ فَتَحَاتِ الدَّرَازِينِ؛ لِيُرَاقِبَ الْكَرْتُونَةَ..

(4) حدّد موقفَ السيِّدة من الكرتونة الموضوعَةِ على بابِ جارتِها.

جَلَبَتُ مُفَاجِئَةً قَادِمَةً مِنَ الطَّابِقِ الْآخِرِ، وَانْفَتَاحِ أَبْوَابٍ وَانْطِبَاقِهَا جَعَلَتْ الرَّجُلَ يَتَوَارَى خَلْفَ بَابِ شَقَّتِهِ الَّذِي جَعَلَهُ مُوَارِبًا، وَهَرَعَتْ إِلَيْهِ زَوْجَتُهُ مُسْتَفْسِرَةً فَأَخْبَرَهَا بِالْقِصَّةِ، وَشَدَّهَا الْفُضُولُ لِلْخُرُوجِ، وَلَكِنَّهُ مَنَعَهَا. أَصْوَاتٌ وَضَجِيجٌ فِي الطَّابِقِ الْأَرْضِيِّ، الْعِمَارَةُ مِنْذُ سَنِينَ لَمْ تَشْهَدْ مِثْلَ هَذِهِ الْحَرَكَةِ⁵، حَلَقَةُ الْفُضُولِ حَوْلَ الْكَرْتُونَةِ تَتَسَّعُ، هَمَّهُمَةٌ مُشْتَرَكَةٌ: «هَذِهِ الْكَرْتُونَةُ غَامِضَةٌ وَمَا فِيهَا خَطِيرٌ»، كَلِمَةٌ (مُبَارَكٌ) مَعَ بَعْضِ الْأُمُورِ الْآخَرَى تَعْنِي أَشْيَاءَ غَيْرَ مَفْهُومَةٍ⁶.

(5) استطاعت الكرتونة أن تخترق حاجز الصمت بين سكان العمارَةِ، ضَعُ خَطًّا تَحْتَ الْعِبَارَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى ذَلِكَ؟

(6) لماذا افترضَ سكَّانُ العِمَارَةِ أَنَّ الْكَرْتُونَةَ تحوي شَيْئًا خَطِيرًا؟

خافوا على جارتهم، لا يعرفون أهي في الشقة أم خارجها؟ قرع أحدهم الجرس، لا أحد هناك، أين تعمل؟ ما هو عنوانها وهاتفها؟ صمت مطبق يلفهم جميعاً، انتظروها إزاء باب العمارة ساعات طويلة. لا يعرفون منها إلا بسمتها، ونضارة وجهها البشوش، هي وابنُها يعيشان في هذه الشقة منذ زمن، هذا كل ما يعرفونه عنها، هي لا تعرفهم، ولا تحفظ أسماءهم أو ألقابهم، أمام عينيها هدف سام هو ابنها، ترعاه بخنو؛ ليكون على منوال تربيته، لا تتحرك إلا بقدر، ولا تخطو خطوة واحدة إلا بعقل⁷.

(7) وقف الكاتب على تفاصيل كثيرة تؤكد ضعف الروابط بين سكان العمارة، اذكر ثلاثة تفاصيل منها.

أوقفت سيارتها حيث توقفت دائماً، اقتربت من باب العمارة، والسرور يفرّد أجنحته على وجهها، عيناها تقعان على سكان العمارة الذين بدؤوا يلتفون حولها، عيونهم موصوبة إلى عينيها، «ماذا جرى؟ ما أصابهم؟ لم يكونوا هكذا!» تنال من داخلها أسئلة مفاجئة، العمارة هي ذات العمارة التي تسكنها، وهذه ساحتها، والشارع المؤدي إليها، «لا، لا، أنا لست تائهة». أسرعت تجاه باب الشقة، وقع نظرها على الكرتونة، فابتسمت⁸، قرأت ما كتب عليها فالتسعت بسمتها، عيونهم متسائلة وشفاههم مطبقة على سؤال غاطس في الصمت، «ما الأمر؟» فتحت الباب، وسحبت الكرتونة إلى الداخل، وأغلقتها⁹.

(8) هل تفاجأت الجارة بوجود الكرتونة؟ وضح إجابتك.

(9) ما الذي أثار دهشة الجارة عند عودتها إلى الشقة؟

«ياه، ما أجمل غلافه! طال الانتظار يا كرتونتي العزيزة، ولكنك جئت أخيراً..» ابنها يبعثر نسخ الديوان فرحاً، هذأت حركتها، عيناها متعلقتان على مئراس الباب، سؤال طافح بالإلحاح: «ما الذي أصاب الجيران؟ أيطنون أن الكرتونة؟!..» ضحكك، كانت تسمع لجاجهم في الخارج، كانوا ينتظرون، أخذت رزمة من الكتاب وراحت تكتب عليها إهداء مهوراً بتوقيعها، حملت ابنها الرزمة، وفتحت الباب، وراح يورع عليهم النسخ الموقعة¹⁰.

(10) ما رأيك في تصرف الجارة؟

مساء تهادى الجيران إلى باب شقتها، كلهم يتسمون، نظراتهم مختلفة، أيديهم تلوح بالسلام فيما بينهم، قرع أحدهم الجرس.

لَمْ يَطُلِ الْإِنْتِظَارُ، رُبَّمَا كَانَتْ تَتَوَقَّعُ ذَلِكَ، رُبَّمَا كَانُوا لَا يَتَوَقَّعُونَ أَنْ تَفْتَحَ
لَهُمُ الْبَابَ، وَفُتِحَ الْبَابُ وَالْبَسْمَةُ ذَاتُهَا تَنْفَرِشُ عَلَى وَجْهِهَا، بَشَتْ لَهُمْ
فَدَخَلُوا، كَانَتْ نُسْخُ دِيَوَانِهَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، نَطَقُوا بِلسَانٍ وَاحِدٍ: (مُبَارَكُ)

ابْتَسَمَتْ، كَانَتْ دُمُوعُهَا السَّاحَّةُ تَحْمِلُ بِشَائِرَ الْفَرَحِ، قَالَتْ بِصَوْتٍ
يَضْحُ الْحَيَاةَ فِي الصَّمْتِ: «الآنَ أَحْسَنْتُ أَنْ فِي الْعِمَارَةِ سُكَّانًا»¹¹.

(11) وَضَحَ عِلَاقَةُ الْعِبَارَةِ
الَّتِي تَحْتَهَا حَطَّ
بِفِكْرَةِ الْقِصَّةِ.

الشاعر النمر* (تاكاشيما تون)

(تشينج) رجلٌ واسعُ العلم، يهوى كتابة الشعر، ويعملُ في إحدى المقاطعات الشرقية ضابطاً مساعداً، بعدَ سنةٍ من عودته إلى وظيفته -التي كان قد استقال منها ليتفرّغ لكتابة الشعر، وعاد إليها تحت ضغطِ قسوة الحياة واحتياجه للمال ليصرف على نفسه وعائلته- تلقى أمراً بالسفر إلى الجنوب في مهمّة عملٍ رسميّة، وفي طريقه إلى المنطقة نزل في فندقٍ متواضع، وتوجّه تلك الليلة إلى الفراش باكراً.

في أثناء تهيّئه للنوم أخذ (تشينج) يفكر في حاله قبل سنواتٍ حين تقدّم للوظيفة للمرّة الأولى، واجتاز اختبارات الخدمة المدنيّة الرفيعة وهو لا يزال في مقتبل العمر بتميّز ملحوظ، متفوّقاً على أقرانه، فالتحق بالجيش، وسرعان ما تمّ تعيينه برتبة نقيب للحرس في إحدى المناطق الشماليّة، ولكنّه استقال بعد أن تقلّد منصبه بوقتٍ قصير، بسبب شعوره بالضيق والضجر تحت قيود وظيفته التي لم تكن تليق بمواهبه، لذلك ترك الخدمة الحكوميّة، وقطع علاقته بكلّ أصدقائه ورفاق عمله السابقين، وغادر مع عائلته إلى مسقط رأسه (بلدة كولوية)، عاقداً العزم على تكريس نفسه منذ ذلك الوقت لنظم الشعر، حتّى يُخلّد اسمه كشاعرٍ عظيمٍ للأجيال المقبلة.¹

تذكّر (تشينج) -وهو مُستلقٍ على سريره في الفندق- كيف أنّه اكتشف سريعاً أن قراره بترك وظيفته والتفرّغ للشعر كان يتطلّب أكثر من مجرد التصميم على أن يصبح كاتباً ناجحاً؛ فالأموال التي حصل عليها من وظيفته السابقة نفدت بسرعة، وأصبحت أيامه عقب ذلك صراعاً مع ضرورات الحياة اليوميّة، وأثر هذا على (تشينج).. الشاب اليفع، مورّد الوجنتين الذي اجتاز يوماً بذكاءٍ اختبارات الخدمة المدنيّة الرفيعة، فأصبح رجلاً هزياً ذا سلوكٍ غليظ، يتعدّد عن هدفه يوماً بعد يوم.

* قصص يابانية، ترجمة: هيام عبد الحميد، منشورات المجمع الثقافي، أبوظبي، الطبعة الأولى، 1995.

(1) هل يبدو أن تخلي
تشينج عن كلّ
شيءٍ من أجل
حلمه بأن يصبح
شاعراً كان قراراً
صائباً ومدروساً؟
ظليل المواضع التي
تدلّ على ذلك في
الفقرتين الأولى
والثانية.

بعد حين من الزمان أدرك (تشينج) أن عليه مواجهة الفقر الطّاحن الذي حكم به على نفسه وعائلته جرّاء ملاحقة حلمه بأن يصبح شاعراً عظيماً؛ فابتلع كبرياءه وقدم طلباً إلى مجلس الخدمة المدنية الذي عينه في إحدى المقاطعات الشرقية ضابطاً مساعداً، ليكتشف بمجرد عودته إلى العمل أن معظم زملائه السابقين قد رُقّوا إلى رتبٍ عالية، وأصبح هو يتلقّى الأوامر من أشخاص اجتازوا الاختبارات بدرجاتٍ أقلّ منه بكثير، فأحسّ بالهوان يتزايد على نفسه، ويحوّله من إنسانٍ شاعرٍ رقيق المشاعر، إلى إنسانٍ نكدٍ المزاج، حادّ الطّباع.

وبينما هو كذلك، والليل يقترب من مُتصفّهِ، إذا به يسمع صوتاً يناديه من بعيد²، فأطلق استجابةً له صرخةً مبهمّةً سمعها جميع من كانوا في الفندق أو حوله، ثم قفز من الشّباك بسحنةٍ متقلّبةٍ وعينين جاحظتين، وانطلق في الظلام بسرعةٍ شديدة فلم يستطع أحدٌ إيقافه، وفي صباح اليوم التالي أرسلت الشرطة فريق بحث طاف بكلّ التلال والحقول بحثاً عنه في كلّ مكان، ولكن لم يُعثَر له على أثر، ولم يذكر أحدٌ أن رآه بعد ذلك.

(2) ما الصوت الذي سمعته تشينج؟ هل كان صوتاً حقيقياً؟ أو توهمًا؟ هل يشير النص إلى ذلك صراحةً؟

وفي السنة التالية، أرسل مكتب الخدمة المدنية (يوان) إلى الجنوب في مهمّةٍ رسميّةٍ أيضاً، فتوقّف لقضاء ليلةٍ في الفندق نفسه، وحينما أوشك على الانطلاق قبل فجر اليوم التالي حذّره صاحب الفندق من وجود نمرٍ شرسٍ في الطريق المؤدّي مباشرةً إلى الجنوب، وأوصاه بتجنّب المرور في هذا الطريق ليلاً، فشكره (يوان)، وقال له إن لديه رجالاً شجعاناً يتولّون حراسته، ثم امتطى حصانه، وغادر الفندق، والحاشية في إثره.

وبعد ذلك بوقتٍ قصير، وبينما كان (يوان) وحاشيته يشقّون طريقهم على ضوء القمر عبر أجمةٍ كثيفة، قفز نمرٌ ضخّمٌ خارج أيكّة، وانطلق يزارُ بوحشيّةٍ مندفعاً صوب (يوان)، حتّى أوشك أن يثب عليه، ولكنه

تراجع فجأة، واتجه عائداً إلى الأيكة.

للحظات لم ينبس أحدٌ ببنت شفة، لينطلق بعدها صوتٌ خافتٌ من الأيكة قائلاً: ربّاه، لكم كانت الكارثةُ وشيكةً!³

(3) ما الكارثة التي يتحدث عنها؟ هل تتوقع شيئاً؟

وعلى الرغم من أن الصدمة قد هزت (يوان)، فإن الصوت أعاده سنوات إلى الوراء، حين كان يستعدُّ مع صديقه الحميم لاجتياز الاختبارات النهائية في العاصمة، حيث كان (يوان) -بمزاجه المعتدل- هو الشخص الوحيد القادر على تحمّل عناء هذا الصديق وجفائه، ممّا جعله يُعرّف فوراً على الصوت، وقال: إن هذا بكل تأكيد صوت صديقي القديم (تشينج)!!

ولما سمع من الأيكة صوتاً خشناً يؤكّد حدسه، ويقول: نعم، إنني حقاً (تشينج) الذي عرفته دوماً! تأكّد حدسه، ونسي الخوف، وترجل عن جواده، ومشى باتجاه الأيكة، وقال: اخرج أيها الصديق القديم، ودعنا نتحدّث قليلاً، فأجابه الصوت: إنني لأشعرُ بخجلٍ شديدٍ من منظري الذي صارَ بشعاً، ولا أستطيع أن أسمح لك برؤيتي في صورتِي الحاليّة، إذ ستمتلئ مني رعباً، وتصاب بالغثيان، لذلك أتوسّل إليك أن تبقى لتحدّث دون أن يرى أحدنا الآخر، فوافق (يوان) فوراً، ومع أن كلّ شيء بدا غريباً للغاية، إلّا أنّه شعر بأنّه يعيش حالة تشبه الحلم، حين يتقبّل المرء أحداثاً منافية للطبيعة أو العقل دون أيّ تساؤل.⁴

أمر (يوان) حاشيته أن تنتظر، واتخذ له - بجرأةٍ بالغة - موقعاً قرب الأيكة، واستأنف الحديث مع صاحبه دون أن يراه، فأخبره بأخبار العاصمة، وبأخبار زملائهما السابقين، وبعد ذلك سأل (يوان) (تشينج) بحذر: ما الذي حصل لك؟

لم يتردّد (تشينج) كثيراً في سرد ما حدث له بالضبط أمام صديقه الحميم (يوان)، فذكر له أنّه كان قد أرسلَ قبل عام تقريباً إلى الجنوب في مهمّة رسمية، وفي طريقه إلى هناك قضى ليلةً في أحد الفنادق، واستطرّد

(4) هل من الطبيعي أن يتحوّل شخص إلى نمر؟ لماذا لجأ الكاتب إلى هذا في رأيك؟

قائلاً: أذكر أنني ذهبتُ إلى فراشي مبكراً وجلستُ -قبيل النوم- أفكرُ في حالي، كيف كان؟ وكيف صار؟ وكيف من الممكن أن يكون في المستقبل؟ وبينما أنا كذلك إذ بصوتٍ غريبٍ يناديني من الخارج، فنهضتُ وفتحتُ الشباك، ونظرتُ إلى الفضاء، كان الصوتُ المجهولُ يناديني، ويدعوني للخروج، ولم أستطع أن أملك أمرَ نفسي، فقفزتُ من النافذة بلا ترددٍ، واندفعتُ في الظلامِ راكضاً كأنني في غيبوبةٍ، وقبل أن أدرك ذلك كنتُ أسلكُ طريقاً يفضي إلى الغابة، ولدهشتي وجدتُ نفسي أركضُ، ويداي على الأرض، وبدا أنني أستطيع الركضَ أسرعَ باتباعي هذه الطريقة، فواصلتُ العدو، وكلما ركضتُ شعرتُ بقوةٍ تملأ جسدي.

بعد ذلك لاحظتُ أن شعراً غريباً أخذَ ينمو بين أصابعي وذراعي وكتفي، بل في كل أجزءٍ جسمي، وعندما بدأ الفجرُ في الانبلاج توقفتُ قرب جدولٍ ماءٍ، ونظرتُ في المياه الصافية، فراعني أن صورتي كانت تشبه النمر، ولكنني -برغم الصدمة- شعرتُ بارتياحٍ وطمأنينةٍ نفسي بأن ذلك مجرد حلمٍ سأصحو منه سريعاً، ومع مرور الوقت، وبعد أن ارتفعت الشمسُ، كان لا بد لي أن أعترفَ لنفسِي أنني كنتُ متيقظاً تماماً، وأني قد تحولتُ إلى نمرٍ بكامل هيئته.

لم أستطع التفكير في الأمر حينها، على الرغم من أنني طرحتُ على نفسي السؤال مراراً: لماذا حدث ذلك؟ فلم أجدرداً، عندها مرَّ أرنبٌ بريٌّ وهو يركضُ على بُعدٍ أمتارٍ من حيثُ أجلسُ، فغادرني الشعورُ بالإنسانية في لمحّةٍ، وعندما عادتُ إليَّ طبيعتي الإنسانية من جديدٍ، وجدتُ أن فمي تلطّخ بالدماء، وخُصِّلَ الفرو الأبيض متناثرةً من حولي، كانت هذه هي تجربتي الأولى حين أصبحتُ نمرًا، ولا أجرؤ على تعداد الأشياء المرعبة والوحشية التي ارتكبتها بعد ذلك بشكل يومي.⁵

كانت الطبيعة الإنسانية تعودُ إليّ لبضع ساعاتٍ فقط خلال اليوم، وفي هذه الأوقات أستطيع أن أتحدث كما أتحدث معك الآن، وأفكرُ في

(5) إلى ماذا ترمز كل هذه التفاصيل التي يسردها الشاعر النمر؟

أكثرِ الأمورِ تعقيداً، بل أستطيعُ أن أسردَ على نفسي صفحاتٍ كاملةً من الأعمالِ الكلاسيكيةِ، وأتذكّرَ بعدها أيضاً الأشياءَ التي ارتكبتها كنمرٍ، فتصمُّ أذني صرخاتٍ ضحايائي، ويقهرُني الخوفُ والخجلُ والسخطُ على طبيعتي الحيوانيةِ.

وبمرورِ الأسابيعِ تتضاءلُ ساعاتُ الاستبصارِ الإنسانيِّ هذه، وحتى وقتٍ قريبٍ تعودتُ أن أتساءلَ: كيفَ بإمكانني أن أعودَ نمرّاً؟ والسؤالُ الذي يتأبّني مؤخراً مختلفٌ تماماً، وهو: كيفَ استطعتُ أن أكونَ بشراً؟⁶ وهذا مرعبٌ حقاً.

احتجبَ الصوتُ، ولم يعدْ (يوان) يسمعُ سوى صوتٍ لهاثٍ عميقٍ، واستأنفَ الصوتُ الكلامَ من جديدٍ، ولكن بصعوبةٍ وإجهادٍ واضحين، قائلاً: إنَّ الاختفاءَ النهائيَّ للإنسانيةِ داخلي هو أشدُّ ما يرعبُني، وإمكانيةُ التحوّلِ إلى حيوانٍ مفترسٍ بلا ذاكرةٍ لشخصيتي السابقة أمرٌ مروعٌ يفوقُ قدرتي على تحمّلهِ.

اضمحَلَّ الصوتُ من جديدٍ، وسادَ الأيكةُ هدوءٌ قليلاً، ووقفَ (يوان) ومرافقوه حاسبين أنفاسهم، ممتلئين رعباً بهذا الحديث الذي لا يُصدّقُ. وأخيراً، عادَ الصوتُ من جديدٍ: قبل أن أغادرَ عالمَ الإنسانيةِ للأبدِ، أريدُ أن أطلبَ إليك شيئاً.

قالَ (يوان): قُلْهُ، وسأحقِّقهُ لك. قالَ (تشينج): كانَ طموحي سابقاً أن أصبحَ شاعراً عظيماً، ولكن قبل أن يتحقّقَ لي ذلكَ وجدتُ نفسي أصلُ إلى الطريقِ الحالي، ولم يبقَ شيءٌ من القصائدِ الكثيرةِ التي نظمتُها في ذاكرةِ الناسِ، فقد تلاشتُ كلّها بلا شكٍّ كما يتلاشى الدخانُ في الهواءِ، والأثرُ الوحيدُ المتبقي من فني هو بضعُ قصائدٍ لا زلتُ أحفظُها عن ظهرِ قلبٍ، وأطلبُ إليك أن تدوّنَها، وأن تتأكّدَ من أنّها لن تُلحقَ بكايتها في قافلةِ النسيانِ.

(6) ما دلالةُ العبارةِ التي تحتها خطٌ؟ هل تساعدُ على فهمِ الفكرةِ الجوهريةِ للقصّةِ؟

لم أعد أطمح أن أصبح شاعرًا عظيمًا، ولكنني لا أريد أن أغادر هذا العالم من دون معرفة، وسيخفف عني مصابي أن تنتقل هذه القصائد -التي كلّفتني وظيفتي وثروتي وفي النهاية عقلي- إلى الأجيال المقبلة.⁷

(7) هل تخلى الشاعر
النمر عن حلمه بأن
يكون شاعرًا بعد
أن أصبح نمرًا؟ هل
يرمز هذا الشيء؟

أمر (يوان) أحد مرافقيه بتناول الفرشاة وتسجيل كلمات الكائن القابع في الأيكة، وبوضوح تام سرد (تشينج) ثلاثين قصيدةً ونيقًا، وعندما انتهى من إلقاء أشعاره توقف قليلًا ثم تابع بالنبرة الخشنة ذاتها التي لا يزال (يوان) يذكرها منذ أيام الدراسة:

إنه لشيء عبيث، ولكنني غالبًا ما أحلم وأنا في كهفي ليلاً بديوان أشعاري مغلفًا بشكل جميل، وقد وُضع على مكتب أحد المثقفين في العاصمة، فأبدأ بالضحك.. أضحك على المسكين الذي كان يتوق لأن يصبح شاعرًا، ولكنه أصبح بدلًا من ذلك نمرًا.

استمر (تشينج) في الحديث، بالنبرة ذاتها الخشنة المتقصّة من قدر الذات، قائلاً: وهذه قصيدتي الأخيرة أهديتها لك لكي تذكّرني بها، نظمتها ارتجالاً للتو، قصيدة عن مسكين معتوه، أو ما (يوان) لمرافقه بالاستمرار في الكتابة، وأخذ (تشينج) يلقي القصيدة، حينها، بدأ (يوان) ومرافقه يفقدون من صدمتهم الأولى حيال ما أصاب (تشينج) من تحولات، وأخذوا يشعرون بالشفقة على الشاعر النمر، بدلًا من الخوف منه.

وتذكر (يوان) في ذلك الوقت كيف كانت نوبة السخريّة من الذات في الماضي تطارد دائمًا نوبات الغرور والكبرياء عند (تشينج)، الذي توقف هنيهة ثم قال لصديقه:

في الأيام التي كنت فيها إنسانًا غادرت إلى مسقط رأسي كما تعلم، وتجنّبت مخالطة البشر، وفسّر الناس تصرفي هذا بأنه كبرياء وتعجرف، ولم يدركوا أن جزءًا كبيرًا منه راجع إلى عدم الثقة بالذات، لن أدعي أنني -أنا عبقرى المدينة ذائع الصيت- كنت خلوا من الغرور، ولكن

غروري كان غرورًا منكشًا على ذاته، فبرغم تصميمي على أن أصبح شاعرًا إلا أنني رفضت أن أدرس تحت إشراف شاعرٍ مخضرم، أو أن أخلطُ بأمثالي من الكتّاب، وكان ذلك بسبب غروري الجبان؛ لأنّ التقائي بشعراء آخرين قد يكشفُ زيفَ جوهرِ العبقرية التي ادّعيها.

في الوقت ذاته، تمنيتُ وصدقتُ على نحوٍ ما أن هذه الجوهرية كانت حقيقةً، فترفعتُ عن الاختلاطِ بعامة الناس الذين يعيشون حياةً بعيدةً عن تتبع الأدب، وهكذا، انقطعتُ عن العالم المنهمك في جمع المال، ولكنّ خوفي يزدادُ طوال الوقت من أنني في الحقيقة بعيدٌ جدًا عن أن أكون شاعرًا عبقرياً، الغرورُ وعدمُ الثقة⁸ كلاهما تعمق في داخلي حتى أصبحا وجودي بأسره، لقد كان هذا الغرورُ هو ما منّني من أن أصبح شاعرًا عظيمًا، وأعلمُ جيّدًا أن أناسًا لديهم موهبةٌ أقلُّ من موهبتي بكثير استطاعوا الفوزَ بشهرةٍ كبيرةٍ بوصفهم شعراء، بدراسة متواضعةٍ لأعمال غيرهم، وبالتطبيقات المخلص لما درسوه، إن غروري هو الذي قلب حياتي وحياة أسرتي تعاسةً، وأورثني كلّ هذا العذاب.

عند ذلك الوقت انقشع الظلام، وانطلق بوق أحد الصيادين في نغمةٍ حزينة، فقال (تشينج): لقد حان وقتُ الفراق، ستحلُّ الآن الساعةُ السحريةُ التي أتحوّل فيها من جديدٍ إلى نمرٍ جسديًا وعقليًا، ولكن دعني أطلبُ إليك شيئًا آخر: عندما تعودُ إلى الشمالِ أتوسّلُ إليك أن تذهبَ إلى عائلتي، لا تذكرُ شيئًا عن هذا اللقاء، ولكن، أخبرهم أنّك سمعتُ في أثناء وجودك في الجنوبِ بخبر وفاتي، وإذا كانوا يفتقرون إلى الطعامِ أو الملجأِ أناشدُك أن تساعدَهم قدرَ استطاعتك.

عندما انتهى (تشينج) من حديثه عادَ صوتُ العويلِ من داخلِ الأيكة، فتحركَ (يوان) بمشقة، مؤكّدًا لصديقه أنّه سيعملُ على تحقيقِ أمنيّاته، وبعدَ قليل، عادَ صوتُ (تشينج) منبهاً ومحدّرًا: هل لي أن أقترحَ عليك أن تسلكَ طريقًا آخرَ في العودة؟ فوَقْتَذاك قد أكونُ في وضعٍ لا يسمحُ

(8) إلى أيّ حدٍّ أسمعُ هاتان الصفتان في بلوغ الشاعر النمر هذه النهاية؟

لي بالتَّعرِفِ إلى الأَصْدِقَاءِ القَدَمَاءِ، وإِنِّني لأُكرَهُ تصوّرَ أَنِّني قد أُمزَّقُكَ
إِرْبًا وألْتَهْمُكَ، وإذا ما كَانَتْ لَدَيْكَ أَيْةٌ رَغْبَةٍ فِي تَجْدِيدِ مَعْرِفَتِكَ بِي
فإنِّني أُوَسِّلُ إِلَيْكَ أَنْ تَتَوَقَّفَ الْيَوْمَ عِنْدَمَا تَبْلُغُ قِمَّةَ ذَلِكَ التَّلِّ البَعِيدِ،
وَأَنْ تَتَطَّلَعَ إِلَى الْوَرَاءِ، عِنْدَهَا تَسْتَطِيعُ رُؤْيِي لآخرِ مَرَّةٍ، وهذا سِيَزِيلُ أَيْةَ
رَغْبَةٍ فِي رُؤْيِي مَرَّةً أُخْرَى.

قَالَ (يوان) بِلُطْفٍ: وداعاً يا صديقي العزيز.. ورحل متبوعاً بحاشيته،
ومن خَلْفِ الشَّجَرَاتِ انْطَلَقَ نَشِيْجُ خَشْنٍ.

عِنْدَمَا بَلَغَ الْجَمْعُ قِمَّةَ التَّلِّ، نَظَرَ (يوان) إِلَى الْخَلْفِ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا،
وَفَجْأَةً، قَفَزَ النَّمْرُ مِنَ الْعَشْبِ الْكثِيفِ بِاتِّجَاهِ الطَّرِيقِ، وَلِلْحِظَاتِ قَلَائِلَ
تَوَقَّفَ هُنَاكَ بِلَا حَرَكَ، ثُمَّ حَمَلَقَ فِي الْقَمَرِ الْأَبْيَضِ الشَّاحِبِ، وَزَارَ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَعِنْدَمَا تَرَدَّدَ صَدَى آخِرِ زَيْئِهِ فِي الْوَادِي، قَفَزَ النَّمْرُ رَاجِعًا
فِي اتِّجَاهِ الشَّجَرَاتِ الصَّغِيرَةِ، وَاخْتَفَى عَنِ الْعِيَانِ.

الشقاء

(أنطون تشيخوف)

الشَّفَقُ يُؤْذِنُ بِاقْتِرَابِ اللَّيْلِ، وَتُذْفُ كَبِيرَةٌ مِنَ الثَّلْجِ تَتَطَايَرُ فِي بَطْنِ حَوْلِ مَصَابِيحِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَضَاءَتْ لِتَوَّهَا، وَتَكْسُو الشُّقُوفَ وَظُهُورَ الْخَيْلِ وَالْأَكْتافَ وَأَعْطِيَةَ الرُّؤُوسِ بِطَبَقَةٍ رَقِيقَةٍ نَاعِمَةٍ، وَقَائِدُ الزَّحَافَةِ، «أَيُونَا بوتايوف» أَيْضُ مِنْ قَمَّةِ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِيهِ، أَيْضُ كَالشَّبَحِ، يَجْلِسُ عَلَى مَقْعَدِ الْقِيَادَةِ دُونَ أَنْ يَتَحَرَّكَ، مُنَحْنِيًا كَأَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ الْجَسَدُ الْبَشَرِيُّ أَنْ يَنْحَنِيَ، وَيَبْدُو ثَابِتًا بِحَيْثُ لَوْ تَسَاقَطَ عَلَيْهِ تَيَّارٌ ثُلْجِيٌّ مُنْتَظَمٌ لَمَا فَكَّرَ فِي إِزَاحَةِ الثَّلْجِ عَنْ جَسَدِهِ، وَمُهِرَّتُهُ الصَّغِيرَةُ بِيضَاءُ وَسَاكِنَةٌ أَيْضًا، وَهِيَ تَبْدُو بِسُكُونِهَا وَبِحِدَّةِ خُطُوطِ جَسَمِهَا وَبِقَوَائِمِهَا الرَّفِيعَةِ الَّتِي تُشَبِّهُ الْعَصَا فِي اسْتِقَامَتِهَا أَشْبَهَ مَا تَكُونُ بِلُعْبَةٍ مِنْ لُعْبِ الْأَطْفَالِ، وَأَغْلَبُ الظَّنُّ أَنَّهَا كَانَتْ غَارِقَةً فِي التَّفْكِيرِ، فَأَيُّ مَخْلُوقٍ يُتَنَزَّعُ مِنَ الْمَحْرَاثِ وَمِنَ الْحُقُولِ الْمُنْبَسِطَةِ الَّتِي أَلْفَتَهَا عَيْنَاهُ، وَيُرْمَى بِهِ فِي هَذِهِ الْبُورَةِ الْمَلِئَةِ بِالْأَضْوَاءِ الْمُخْفِيفَةِ، وَبِضَجَّةٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَبِبَشَرٍ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِ هَمٍّ، أَيُّ مَخْلُوقٍ هَذَا شَأْنُهُ لَا بُدَّ وَأَنْ يَفْكَرَ.¹

(1) استهلَّ تشيخوف

قِصَّتَهُ بِوَصْفِ

الْمَكَانِ، وَجَعَلَ الثَّلْجَ

وَاللَّيْلَ هُمَا سَيِّدَا

الْمَشْهَدِ. مَا الدَّلَالَةُ

الَّتِي يُرْسِخُهَا مِثْلُ

هَذَا الْوَصْفِ؟ وَمَا

الْإِحْسَاسُ الَّذِي

يُؤَكِّدُهُ هَذَا الْوَصْفُ

لِأَيُونَا وَمُهِرَّتِهِ؟

وَكَانَ قَدْ مَضَى وَقْتُ طَوِيلٍ دُونَ أَنْ يَتَحَرَّكَ «أَيُونَا» وَمُهِرَّتُهُ، لَقَدْ خَرَجَا مِنَ الْإِسْطَبْلِ وَقَتَ الْعِشَاءِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَرْكَبِ الزَّحَافَةَ رَاكِبًا وَاحِدًا، وَلَكِنْ ظِلَالُ اللَّيْلِ تَهْبِطُ الْآنَ عَلَى الْمَدِينَةِ، وَلَوْ أَنَّ مَصَابِيحَ الطَّرِيقِ الشَّاحِبِ يَتَحَوَّلُ إِلَى ضَوْءٍ وَهَّاجٍ، وَضَجَّةُ الطَّرِيقِ تَشْتَدُّ، وَيَسْمَعُ «أَيُونَا» صَوْتًا يُنَادِي:

زَحَافَةٌ إِلَى «فِير جِسْكَايَا» زَحَافَةٌ.

وَيَنْتَبَهُ «أَيُونَا»، وَيَرَى مِنْ خِلَالِ عَيْنَيْهِ الْمُغْطَاةِ بِنَدَفِ الثَّلْجِ الْمُنَادِي فَيَجِدُهُ ضَابِطًا فِي مِعْطَفٍ عَسْكَرِيٍّ وَغِطَاءٍ لِلرَّأْسِ، وَيُكْرِّرُ الضَّابِطُ كَلَامَهُ:

إِلَى «فِير جِسْكَايَا» هَلْ أَنْتِ نَائِمٌ؟ إِلَى «فِير جِسْكَايَا».

وَيَشُدُّ «أَيُونَا» اللَّجَامَ دَلَالَةً عَلَى الْمَوَافَقَةِ فَتَتَطَايَرُ قِطْعُ الثَّلْجِ مِنْ عَلَى ظَهْرِ الْمُهْرَةِ وَمِنْ عَلَى أَكْتافِهِ، وَيَرْكَبُ الضَّابِطُ الزَّحَافَةَ، وَيَقْرَعُ قَائِدُ

الزَّحَافَةِ، وَيُلَوِّحُ بِالسَّوْطِ بِحُكْمِ الْعَادَةِ لَا بِحُكْمِ الضَّرُورَةِ، وَتَشُدُّ الْمُهْرَةُ
عُنُقَهَا هِيَ الْأُخْرَى، وَتَلْتَوِي سَاقَاهَا الشَّيْبَهَتَانِ بِالْعَصَا، وَتَبْدَأُ فِي السَّيْرِ
بِتَرَدُّدٍ.

وفي الحالِ يسمعُ «أيونا» صوتًا يصيحُ بِهِ، صوتًا ينبعثُ مِنْ كُتْلَةٍ مِنْ
الظَّلَامِ أَمَامَ عَيْنَيْهِ:

إِلَى أَيْنَ تَتَجَهَّ؟ إِلَى أَيْنَ تَتَجَهَّ؟! الزَّمْ يَمِينَكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ.
فيقولُ لَهُ الصَّابِطُ فِي غَضَبٍ:

إِنَّكَ لَا تَعْرِفُ الْقِيَادَةَ، الزَّمْ الْيَمِينَ.

ويغضبُ مِنْهُ سَائِقٌ عَرَبِيٌّ، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ أَحَدُ الْمُشَاهِدَةِ فِي غَضَبٍ وَهُوَ
يُزِيحُ الثَّلَجَ عَنْ كُمِّهِ عِنْدَمَا اصْطَدَمَ ذِرَاعُهُ بِأَنْفِ الْحِصَانِ وَهُوَ يَعْبُرُ
الطَّرِيقَ؛ وَيَتَحَرَّكُ «أيونا» عَلَى مَقْعَدِ الْقِيَادَةِ كَمَا لَوْ كَانَ غَائِبًا عَنْ الْوَعْيِ،
لَا يَعْرِفُ أَيْنَ هُوَ؟ وَلِمَ وُجِدَ فِي هَذَا الْمَكَانِ؟²

وَقَالَ الصَّابِطُ مُتَفَكِّهًا:

يَا لَهُمْ مِنْ أَشْرَارٍ! إِنَّهُمْ يَحَاوِلُونَ مَا بَوَسَعِهِمْ لِكَيْ يَصْطَدِمُوا بِعَرِيَّتِكَ،
وَلِكَيْ يَقْعُوا تَحْتَ حَوَافِرِ حِصَانِكَ، إِنَّهُمْ يَتَعَمَّدُونَ ذَلِكَ تَعَمُّدًا.

وَنَظَرَ «أيونا» إِلَى الرَّاكِبِ وَحَرَكَةِ شَفْتَيْهِ، وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ
يَقُولَ شَيْئًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْهُ، وَسَأَلَهُ الصَّابِطُ:

مَاذَا؟

وَابْتَسَمَ «أيونا» ابْتِسَامَةً كَثِيبَةً، وَمَدَّ عُنُقَهُ، وَخَرَجَ صَوْتُهُ خَشِنًا ثَقِيلًا.

ابني .. ابني ماتَ هَذَا الْأَسْبُوعَ سَيِّدِي.

قَالَ الصَّابِطُ:

هِيَه، مَاتَ بِمَاذَا؟

وَأَدَارَ «أيونا» جِسْمَهُ كُلَّهُ إِلَى الرَّاكِبِ، وَقَالَ:

مَنْ يَدْرِي؟! لَا بُدَّ أَنَّهَا الْحُمَى، رَقَدَ فِي الْمُسْتَشْفَى ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ مَاتَ،
إِنَّهَا إِرَادَةُ اللَّهِ.

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ ارْتَفَعَ صَوْتُ مِنَ الظُّلْمَةِ قَائِلًا:

(2) ما العبارة التي توحى
بأن أيونا مُتَفَكِّهٌ عَنْ
وَقِيعِهِ وَالْمَكَانِ الَّذِي
هُوَ فِيهِ؟ ضَعَّ تَحْتَهَا
حَظًّا. بِمَ يُوْحِي
ذَلِكَ؟

استدّر أيُّها الشيطان، هل جُننت أيُّها العجوز، انظر إلى أين أنت مُتَّجِه؟!
قال الضَّابطُ:

أسرع، أسرع، لن نصل إلى هُناكَ إلَّا في صَباحِ العَدِ إذا قُدتَ بهذا البطءِ!
وَمَدَّ سائِقُ الزَّحَافَةِ عُنْقَهُ مِنْ جَدِيدٍ وَارْتَفَعَ عَنْ مَقْعَدِهِ، وَقَرَقَعَ بِسَوْطِهِ،
وَاسْتَدَارَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ لِيَنْظُرَ إِلَى الضَّابِطِ، وَلَكِنَّ الْأَخِيرَ أَبْقَى عَيْنَيْهِ مُغْلَقَتَيْنِ
وَكَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ لَا يَرِغُبُ فِي الْاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ.³

وَبَعْدَ أَنْ أُنْزِلَ «أَيُونَا» رَاكِبَهُ فِي «فَيِر جِسْكَايَا»، تَوَقَّفَ عِنْدَ مَطْعَمٍ، وَمِنْ
جَدِيدٍ انْكَمَشَ فِي مَقْعَدِهِ، وَمِنْ جَدِيدٍ لَوَّنَهُ الثَّلْجُ الْأَبْيَضُ، وَلَوْنُ مَهْرَتِهِ،
وَمَرَّتْ سَاعَةٌ وَبَعْدَهَا سَاعَةٌ.

وَاتَّجَهَ إِلَى الزَّحَافَةِ ثَلَاثَةَ شُبَّانٍ، اثْنَانِ مِنْهُمَا طَوِيلَا الْقَامَةِ رَفِيعَانِ وَالثَّلَاثُ
أَحْدَبُ قَصِيرٌ، كَانُوا يَتِمَايَلُونَ، وَيَدْبُونُ بِأَحْذِيَّتِهِمُ الثَّقِيلَةِ عَلَى الرَّصِيفِ.
وَصَاحَ الْأَحْدَبُ:

إِلَى (البوليس) أيُّها السَّائِقُ، ثَلَاثَتُنَا، سَنَدْفَعُ عَشْرِينَ (كوبيك).

وَشَدَّ «أَيُونَا» اللَّجَامَ، وَقَرَقَعَ حَصَانَهُ، وَلَمْ تَكُنِ الْعَشْرُونَ (كوبيك) أَجْرًا
مُنَاسِبًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَعُدِ الْأَمْرُ يُهِمُّهُ، (روبيل) أَوْ خَمْسَةَ
(كوبيكات) سَيَّانٍ، مَا دَامَ مَعَهُ رَاكِبٌ، وَصَعَدَ الشُّبَّانُ الثَّلَاثَةُ إِلَى الْعَرَبَةِ
وَهُمْ يَتَزَاحَمُونَ، وَيَحَاوِلُونَ أَنْ يَجْلِسُوا كُلُّهُمْ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، وَلَكِنْ كَانَ
لَا بُدَّ مِنْ تَسْوِيَةِ الْمَسْأَلَةِ، فَلَمْ يَكُنِ الْمَقْعَدُ يَتَسَعُّ إِلَّا لِاثْنَيْنِ، وَبَعْدَ الْكَثِيرِ
مِنْ الْاِخْتِلَافِ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَقِفَ الْأَحْدَبُ لِأَنَّهُ أَقْصَرُهُمْ، ثُمَّ قَالُوا:

حَسَنًا، هَيَّا بَنَا.

قَالَ الْأَحْدَبُ بِصَوْتِهِ الْمُتَقَطِّعِ وَقَدْ اسْتَقَرَّ فِي مَكَانِهِ، وَلَفَحَتْ أَنْفَاسُهُ عُنُقَ
«أَيُونَا»:

بسرعة، يا لَهَا مِنْ عَرَبَةٍ! يا صَدِيقِي، عَرَبَتُكَ هَذِهِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجِدَ فِي
(بترسبرغ) بِأَجْمَعِهَا أَسْوَأَ مِنْهَا.

وَضَحِكَ «أَيُونَا»: هاها .. هاها! إِنَّهَا لَيْسَتْ مَدْعَاةٌ لِلْفَخْرِ.

قَالَ الْأَحْدَبُ:

(3) كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ
يَكُونَ إِخْسَاسُ
(أَيُونَا) فِي هَذِهِ
اللَّحْظَةِ حِينَ رَأَى
الضَّابِطَ قَدْ أَغْلَقَ
عَيْنَيْهِ؟ وَمَا الَّذِي يُوَدُّ
الرَّائِي أَنْ يَلْفِتَ
نَظْرَنَا إِلَيْهِ؟

لَيْسَتْ مدعاةً للفخرِ حقًا، حَسَنًا أَسْرَعُ إِذَا، هَلْ سَتَقُودُ بهذا البطءِ طيلة الطريق؟ هَيَّا، هَلْ أَضْرِبُكَ عَلَى فَنَّاكَ.

أَحَسَّ «أَيُونَا» بالأحْدَبِ خَلْفَ ظَهْرِهِ يَدْفَعُهُ وَبصَوْتِهِ الغاضِبِ يرتعشُ، وشيئًا فشيئًا بدأ يزولُ شعورُ (أَيُونَا) بالوحدة، وتقلُّ وطأتهُ في قلبه، ويستمرُّ الأحْدَبُ يتكلمُ غاضِبًا حتَّى يبدأ في الضَّحِكِ على فكاهةِ ألقاها أَحَدُ زَمِيلَيْهِ، واستمرَّ يضحكُ حتَّى داهَمَهُ السُّعالُ، وظلَّ زَمِيلَاهُ يتحدثانِ، و(أَيُونَا) ينظرُ إِلَيْهِمْ، وَيَنْتَظِرُ حتَّى سادتْ فترةٌ صَمِتٍ قصيرة، فالتفتَ إِلَيْهِمْ مِنْ جَدِيدٍ، وهو يقولُ:

هذا الأسبوعُ ماتَ ابني، هذا الأسبوعُ ابني ماتَ.

تَنَهَّدَ الأحْدَبُ وهو يمسحُ شَفْتَيْهِ عَقِبَ السُّعالِ، ثُمَّ قَالَ:

كُنَّا سَنَمُوتُ، وَالآنَ أَسْرَعُ أَسْرَعُ، أَنَا وَصَدِيقَايَ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْمَلَ الزَّحَفَ البطيءَ، متى سَتُوصِلُنَا إِلَى هُنَاكَ؟⁴

قَالَ أَحَدُ الصَّدِيقَيْنِ:

امْنَحْهُ قَلِيلًا مِنَ التَّشْجِيعِ، أَصْفَعُهُ مِثْلًا.

قَالَ الأحْدَبُ:

أَتَسْمَعُ أَيُّهَا العَجُوزُ، سَأَجْعَلُكَ نَشِيطًا، لَوْ احْتَرَمَ الْإِنْسَانُ أَمْثَالَكَ فخيرٌ لَهُ أَنْ يَمْشِيَ عَلَى قَدَمَيْهِ، أَتَسْمَعُ أَيُّهَا الرُّجُلُ؟ أَمْ لَعَلَّكَ لَا تَهْتَمُّ عَلَى الإِطْلَاقِ بِمَا نَقُولُ.

ضَحَكَ «أَيُونَا» وَقَالَ:

شُبَّانُ يَمْرَحُونَ، لِيَمْنَحَكُمُ اللَّهُ الصَّحَّةَ.

وعندما استدارَ «أَيُونَا» لِيُخْبِرَهُمْ كَيْفَ مَاتَ ابْنُهُ، تَنَهَّدَ الأحْدَبُ بَارْتِيَا حٍ، وأعلنَ أَنَّهُمْ وصلوا أخيرًا والحمدُ لِلَّهِ.

وبعدَ أَنْ أَخَذَ «أَيُونَا» نَقْوَدَهُ ظَلَّ يُحَدِّقُ طَوِيلًا فِي الشُّبَّانِ الثَّلَاثَةِ وَهُمْ يَخْتَفُونَ فِي المَدْخَلِ الْمُظْلَمِ، وَمِنْ جَدِيدٍ أَصْبَحَ وَحِيدًا، وَمِنْ جَدِيدٍ لَا يَمْلِكُ سِوَى الصَّمْتِ.

وعادَ الشَّقَاءُ الَّذِي هَانَ لَفْتَرَةٍ قَصِيرَةٍ، عادَ مِنْ جَدِيدٍ يُمَزِّقُ قَلْبَهُ أَقْسَى

(4) مَا رَأَيْتُكَ فِي شَخْصِيَّةِ
الأحْدَبِ؟ وَفِي
صَدِيقَيْهِ؟ وَمَا الَّذِي
بَنَى تَصَوُّرَكَ هَذَا
عَنْهُمْ؟

مما كان يُمزّقه من قبل.

وفي نظرة قلبٍ وألمٍ، بدأت عينا «أيونا» اللتان لا تستقران في مكانهما ترُقبان الجماهير وهي رائحة غادية على جانبي الطريق، وبدأ يتساءل: ألا يستطيع أن يجد بين هؤلاء الآلاف من يستمع إليه؟ كانت الجماهير تمرّ به لا تشعرُ بشقائه، كان شقاؤه عميقاً لا حدودٍ لعمقه، ولو انفجر قلبه وفاض شقاؤه لأغرق الدنيا بأجمعها، ولكن، لا أحد يراه، فقد وجد الشقاء مخبأً في مكانٍ ناءٍ، مكانٍ لا يمكن أن يصل إليه إنسان.⁵ ويرى «أيونا» بواباً يحمل لفّةً، ويُقرّر أن يوجّه الحديث إليه، ويسأله.

كم الساعة يا صديقي؟

قال البواب:

الساعة قاربت العاشرة، لماذا توقفت هنا؟ ابتعد عن هذا المكان.

يتعد «أيونا» عن المكان خطواتٍ، ويحني جسمه، ويستسلم للشقاء.

بدأ يشعر أنه لا فائدة من الاتجاه إلى الناس، وقبل أن تنقضي خمس دقائق اعتدل في جلسته، وهز رأسه كما لو كان يشعر بألمٍ حادٍّ، وشدّ اللجام، لم يعد يستطيع أن يتحمل أكثر مما تحمّل، وبدأ يردّد في نفسه: إلى الإسطل، إلى الإسطل.

بدأت مهرته الصغيرة تُسرّع، وكأنّها تعرف أفكاره، وبعد ساعة ونصف جلس «أيونا» إلى جانب موقدٍ نارٍ قديمٍ عليه أرائك خشبيّة، وفوقها أشخاص يغطّون في النوم، والهواء ثقيلٌ مليءٌ بالروائح العفنة، ونظر «أيونا» إلى النائمين، وحكّ جلده، ونديم على أنه عاد إلى البيت مبكراً.⁶ لم أكسب ما يكفي حتى لثمن الشوفان، وهذا هو السبب في أنني أشعر بذلك الشقاء، فالرجل الذي يعرف كيف يقوم بعمله، ويكسب ما يكفيه ويكفي حصانه يشعر بالراحة.

ومن ركنٍ من الأركان ينهض سائق سابقٍ والنوم يغلب عليه، ويتجه إلى مكان المياه، ويسأله «أيونا»:

هل تريد أن تشرب؟ فردّ عليه قائلاً:

(5) كيف تصف هذه اللحظة بالنسبة لأيونا؟

(6) ما الصفة التي يريد الراوي أن يؤكدّها في الآخرين الذين قابلهم (أيونا) هذه الليلة؟

يبدو هذا ، قال له:

بالعافية، ولكن ابني مات يا زميلي، أسمع؟ هذا الأسبوع في المستشفى، إنه أمر غريب، ونظر «أيونا» ليري الأثر الذي تركته كلماته ولكنه لم ير لكلماته أثراً، كان الشاب قد غطى رأسه، واستغرق في النوم.

تنهد الرجل العجوز، وحك جلدّه، كان يحسّ بعطشٍ إلى الكلام كعطشِ الشاب إلى الماء، ها هو أسبوعٌ قد أوشك أن ينصرم منذ مات ابنه، وهو لم يحدث أحدًا بعد حديثاً حقيقياً، إنه يريد أن يتحدث عن الموضوع حديثاً جدّياً، يريد أن يحكي كيف مرض ابنه؟ وكيف تعذب؟ وماذا قال قبل أن يموت؟ وكيف مات؛ إنه يريد أن يصف الجنازة، وكيف ذهب إلى المستشفى لاستلام ملابس ابنه، وما زالت لديه ابنته «أنيسيا» في الرّيف وهو يريد أن يتحدث معها أيضاً، إن لديه الكثير، يريد أن يتنهد، وأن يجد مَنْ يستمع إليه، يريد أن يعجب من الزمن وأن يرثي ابنه، أحس أنه من الأفضل أن يتحدث إلى النساء فهنّ يدمنن عند الكلمة الأولى. قال («أيونا» لنفسه):

دعنا نخرج، ونلق نظرة على المهرّة، ففي الوقت مُتّسع للنوم دائماً، لا تخف، فستنام بما فيه الكفاية.

لبس «أيونا» معطفه، وذهب إلى الإسطل حيث تقف المهرّة، وهو يفكر في الشوفان وفي العُشب وفي الجوّ، وهو لا يستطيع أن يفكر في ابنه، وهو وحيد، من الممكن أن يتحدث عنه مع شخص ما، ولكن التفكير فيه وتصوره ألمٌ محض لا يمكن للإنسان تحمّله.

سأل «أيونا» مهرته عندما رأى عينيها اللامعتين:

هل تأكلين؟ حسناً، كلي، كلي، إن لم نستطع أن نكسب ما يكفي من الشوفان فلنأكل كلّ العُشب. نعم، لقد كُبرت على قيادة العربات، كان ينبغي أن يقود ابني، لا أنا، كان قائداً بمعنى الكلمة، كان ينبغي أن يعيش. ويسكت «أيونا» وهلة، ثم يستمر في كلامه:

هذه هي المسألة يا فتاتي العزيزة، لقد ذهب «كوزما أيونتش» قال وداعاً،

ذهب، ومات دون سببٍ ما، والآن تصوّري أنّ لكِ مُهرَةً صغيرةً، وكُنْتَ
أنتِ أُمُّ هذه المُهرَةِ الصَّغيرة، وفجأةً ذهبَتْ نفسُ هذه المُهرَةِ الصغيرةِ
ومَاتَتْ، ستأسفينَ لموتِها، أليسَ كذلك؟
واستمَرَّت المُهرَةُ الصَّغيرةُ تَمُضُغُ، وتُنْصِتُ، وتتنفّسُ بالقُربِ مِنْ يَدَيِ
سَيِّدِها، وتحَرَّكَتْ لَواعِجُ «أيونا» فأخبرَ المُهرَةَ بالقِصَّةِ كاملةً.⁷

(7) ما الذي يُريدُ أنْ
يقولهُ الكاتبُ هُنا
وهو يَختارُ المُهرَةَ
لِتَكونَ المُستمِيعَ
الوحيدَ لِلَواعِجِ
(أيونا)؟

الرَّجُلُ الْعَجُوزُ عِنْدَ الْجِسْرِ (إرنست همنجواي)

على جانب الطريق جلس رجلٌ عجوزٌ في ملابسٍ مُتربِّيةٍ للغاية، وعلى عَيْنِيهِ نَظَّارَةٌ بِحَافَةِ مَعْدِنِيَّةٍ، وَكَانَ هُنَاكَ جِسْرٌ مُتَنَقِّلٌ عِبْرَ النَّهْرِ، وَالْعَرَبَاتُ، وَسَيَّارَاتُ النَّقْلِ، وَالرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَعْبرُونَ الْجِسْرَ، وَالْعَرَبَاتُ الَّتِي تَجْرُهَا الْبَغَالُ تَتَرَنَّحُ عَلَى الشَّاطِئِ الْمُنْحَدِرِ الَّذِي يُوْدِّي إِلَى الْجِسْرِ، وَالْجُنُودُ يَسَاعِدُونَهَا عَلَى التَّقَدُّمِ بِدَفْعِ الْعَجَلَاتِ، وَسَيَّارَاتُ النَّقْلِ تَطْحَنُ الطَّرِيقَ لَا تَلْوِي عَلَى شَيْءٍ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَكَانِ، وَالْفَلَاحُونَ يَغُوصُونَ فِي الثَّرَابِ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ جَلَسَ هُنَاكَ دُونَ أَنْ يَتَحَرَّكَ. كَانَ مُتَعَبًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَذْهَبَ أَبْعَدَ مِمَّا ذَهَبَ.

وَكَانَ عَلَيَّ أَنْ أَعْبُرَ الْجِسْرَ، وَأَطْمَئِنَّ عَلَى سَلَامَتِهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْآخَرَى، وَأَتَبَيَّنَ مَدَى سَهُولَةِ الْحَرَكَةِ، وَفَرَعْتُ مِنْ مَهْمَتِي وَعُدْتُ عَبْرَ الْجِسْرِ. كَانَ عَدَدُ الْعَرَبَاتِ أَقَلَّ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ، وَعَدَدُ الْمُشَاةِ قَلِيلًا لِلْغَايَةِ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ كَانَ مَا يَزَالُ فِي مَكَانِهِ، وَسَأَلْتُهُ:

مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟

أَجَابَ:

مِنْ (سَانْ كَارْلُوس)، ثُمَّ ابْتَسَمَ.

كَانَتْ هَذِهِ بَلَدَتُهُ الْأَصْلِيَّةُ، لِذَا أَشْعَرُهُ ذِكْرُهَا بِالسَّرُورِ، فَابْتَسَمَ.

ثُمَّ أَضَافَ قَائِلًا:

لَقَدْ كُنْتُ أَعْتَنِي بِالْحَيَوَانَاتِ .

فَقُلْتُ:

آه، دُونَ أَنْ أَفْهَمَ تَمَامًا مَا يَعْنِي.

قال:

نعم، لقد ظللتُ أعتني بالحيوانات، وكُنْتُ آخِرَ فَرْدٍ يُغَادِرُ بِلْدَةَ (سانْ كارلوس).

لَمْ يَبْدُ الرَّجُلُ كِرَاعٍ وَلَا كَصَاحِبِ قَطِيعٍ، نَظَرْتُ إِلَى ثِيَابِهِ السُّودَاءِ الْمُغْبَرَّةِ، وَوَجْهِهِ الْأَشْعَثِ الْمُغْبَرِّ، وَنَظَّارَتِهِ ذَاتِ الْإِطَارِ الْفُولاذِيِّ، وَقُلْتُ:

وما هذه الحيوانات؟

قال:

حيواناتٌ مُتَعَدِّدَةٌ، ثُمَّ هَزَّ رَأْسَهُ، وَقَالَ: كَانَ لَا بُدَّ مِنْ تَرْكِهِمْ.¹

كُنْتُ أَرَأَيْتُ الْجِسْرَ وَمَنْطَقَةَ (إيبرو الدلتا) ذَاتَ الْمَظْهَرِ الْإِفْرِيْقِيِّ، وَأَتَسَاءَلُ فِي نَفْسِي عَنْ مَقْدَارِ الْوَقْتِ الَّذِي سَيَمْضِي قَبْلَ أَنْ نَشَاهِدَ الْعَدُوَّ، وَأُنْصِتُ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ إِلَى الْأَصْوَاتِ الْأُولَى الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَوْشَّرَ عَلَى الْحَدَثِ الْأَكْثَرِ غَمُوضًا وَالَّذِي يُسَمَّوْنَهُ: «المواجهة»، وَالرَّجُلُ الْعَجُوزُ كَانَ لَا يَزَالُ جَالِسًا هُنَاكَ.

سألتُه:

ماذا كانت هذه الحيوانات؟

رَدَّ قَائِلًا:

كانت ثلاثة حيواناتٍ: مَعَزَتَيْنِ، وَقِطَّةٌ مَعَهَا أَرْبَعَةُ أَزْوَاجٍ مِنَ الْحَمَامِ.

وسألتُه:

هَلْ كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَتْرَكَهُمْ؟

قال: نعم؛ بسببِ المدفعية، لقد أَمَرَنِي الضَّابِطُ بِالرَّحِيلِ بِسَبَبِ الْمَدْفَعِيَّةِ.

قلتُ وأنا أَرَأَيْتُ الْجَانِبَ الْبَعِيدَ مِنَ الْجِسْرِ حَيْثُ أَسْرَعَتِ الْعَرَبَاتُ

(1) ما الذي توجي به
جملة "كَانَ لَا بُدَّ مِنْ
تَرْكِهِمْ"؟

الأخيرة وهي تَنْزِلُ إلى الشَّاطِئِ المُنخَفَضِ:

أَوْ لَيْسَ لَكَ عَائِلَةٌ؟

قَالَ: لا، لَيْسَ إِلَّا الْحَيَوَانَاتُ الَّتِي ذَكَرْتُهَا، وَبِالطَّبْعِ تَسْتَطِيعُ الْقِطْعَةُ أَنْ تَعْتَنِيَ
بِنَفْسِهَا، وَأَنْ تَبْحَثَ عَنْ طَعَامِهَا، وَلَكِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ التَّفَكِيرَ فِيمَا سَيَحْدُثُ
لِلْحَيَوَانَاتِ الْآخَرَى.

وَسَأَلَتْهُ:

وَمَا مَبَادِئُكَ السِّيَاسِيَّةُ؟

قَالَ:

لَيْسَ لِي مَبَادِئُ سِيَاسِيَّةٌ، إِنَّنِي فِي السَّادِسَةِ وَالسَّبْعِينَ مِنْ عُمْرِي، وَقَدْ
مَشَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ كِيلُومِتْرًا، وَلَا أَظُنُّنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَذْهَبَ أَبْعَدَ مِمَّا ذَهَبْتُ.

فَقُلْتُ:

لَيْسَ هَذَا الْمَكَانُ مُلَائِمًا لِلتَّوَقُّفِ، هُنَاكَ فِي آخِرِ الطَّرِيقِ عَرَبَاتٌ تَنْقُلُ
النَّاسَ إِلَى (تورتوزا).

وَقَالَ:

سَأَنْتَظِرُ قَلِيلًا، ثُمَّ أَذْهَبُ. إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الْعَرَبَاتُ؟

وَقُلْتُ:

فِي اتِّجَاهِ (برشلونة).

قَالَ:

أَنَا لَا أَعْرِفُ أَحَدًا فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ، وَلَكِنِّي شَاكِرٌ جِدًّا، أَشْكُرُكَ كَثِيرًا.

وَنَظَرَ إِلَيَّ دُونَ أَنْ يَبْدُوَ عَلَى وَجْهِهِ أَيُّ تَعْبِيرٍ وَقَدْ بَدَأَ عَلَيْهِ الْإِرْهَاقُ، وَقَالَ
-وَكَاثَهُ لَا بُدَّ لَهُ أَنْ يَتَقَاسَمَ قَلْقَهُ مَعَ إِنْسَانٍ مَا-²:

(2) مَا الَّذِي تُوْحِي بِهِ
جُمْلَةُ "كَانَ لَا بُدَّ مِنْ
تَرْكِهِمْ"؟

القطّة تستطیع أن تعتنی بنفسها، أنا متأكّد من ذلك، ولا داعي للقلق من أجل القطّة، ولكنّ الحيوانات الأخرى، ماذا ترى؟ ماذا يمكن أن يحدث لها؟

قلتُ: ربّما لن يصيبهم شيءٌ.

قال: أظنّ ذلك؟

قلتُ، وأنا أنظرُ إلى الطّرف الآخر من الجسر حيث لم تعد هناك أيّ عربات:

ولم لا؟

قال: لقد طلب مني أن أرحل بسبب المدفعية، فما عساها هي أن تفعل تحت نيران المدفعية؟

وسألته:

هل تركت قفص الحمام مفتوحاً؟

قال: نعم.

قلتُ: إذا سيطر الحمام!

وقال:

نعم من المؤكّد أن يطير، ولكن... بقيّة الحيوانات... من الأفضل ألا أفكر في بقيّة الحيوانات.

وحاولت أن أحثّه على الرّحيل:

لو كنت مكانك لرحلت، فم الآن، وحاول أن تمشي.

قال: أشكرك.

وقام على قدميه وترنّح من جانب إلى جانب ثمّ جلس من جديد في

التراب، وقال في خمول:

كُنْتُ أَعْتَنِي بِالْحَيَوَانَاتِ، لَمْ أَرْتَكِبْ ذَنْبًا، كُنْتُ فَقَطْ أَعْتَنِي بِالْحَيَوَانَاتِ.³

ولكنه كان يحدث نفسه، ولم يكن يوجه الكلام إليّ.

(3) كيف يمكن أن
تصف حال الرجل
في هذه اللحظة؟
وما المشاعر التي
تسيطر عليه؟

لَمْ يَكُنْ بِوُسْعِي أَنْ أَفْعَلَ مِنْ أَجْلِهِ شَيْئًا، كَانَ هَذَا الْيَوْمُ الْأَحَدَ، وَقَوَّاتُ
الْعَدُوِّ تَتَقَدَّمُ نَحْوَ نَهْرِ (الأبرو) وَكَانَ الْيَوْمُ يَوْمًا مُعْتَمًا بِسَحَابٍ مُنْخَفِضٍ
يَحْجُبُ السَّمَاءَ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ طَائِرَاتُ الْعَدُوِّ تَظْهَرُ فِي الْجَوِّ.

العابرون فوق شظاياهم عبدالعزیز الفارسي

حدّثني ربیع المرّ عن خمیس بن باروت عن صمبوخ عن بتيكان، قال:

في طريق مُقْفَر يفصلُ بين أقرب قريتين عندنا، حدّدت السلطات السرعة القصوى بمائة كيلومتر في الساعة، حفاظًا على حياة الحيوانات السائبة. أقاموا احتفالًا كبيرًا لنصب الإشارة التي تحدّد السرعة، دُعي إليها كبار رجالات الولاية.

بعد نصب الإشارة وتصفيق الحضور على جانبي الطريق، مرّت سيارة مُسرّعة بجنون. قدّر الحاضرون سرعتها بمائة وستين كيلومترًا في الساعة. قال راعي الحفل:

[الإشارة جديدة، ولم ينتبه لها السائق، فلتناول القهوة، ولنكمل مراسم الاحتفال].

في أثناء شُرْب القهوة مرّت أربع سيارات تتراوح سرعاتها بين المائة والستين والمائة والثمانين كيلومترًا في الساعة، فقال الحاضرون: [الإشارة جديدة، ولم ينتبه لها السائقون].

وأكملوا شرب القهوة.

أكلت الأيام شهرًا من عمر الشارع، ولم يُخَفِّض سائق واحد سرعته عن المائة والخمسين كيلومترًا في الساعة. أعادت السلطات النظر في موضوع الإشارة. ادّعى ضابط أن المواطنين يعشقون مخالفة قوانين السير بزيادة السرعة عن المقرر ولو بقليل. أردف: [لذا أقترح عليكم وضع إشارة أخرى تُحدّد السرعة بخمسين كيلومترًا في الساعة.. سيتجاوز السائقون هذه السرعة حبًا في المخالفة ولكن سرعته ستصل كحد أقصى إلى مائة كيلومتر في الساعة.. وهذا ما نريده].

استحسن الجميع الفكرة، وأقيم احتفالٌ لنصب إشارة أخرى تُحدّد السرعة الجديدة. ذكر شهود عيان مرور عشر سيارات بسرعة تقارب المائة والستين كيلومترًا في الساعة. تكفل المواطنون الحاضرون بالتبرير:

[الإشارة جديدة.. ولم ينتبه لها السائقون].

لم ينتبه السائقون للإشارة الجديدة شهرين متتالين، وأصاب اليأس السلطات. قرّرت بعد شهر إشهار مبدأ العقاب لكل مخالف.

اشترت جهاز (رادار) لتصوير السيارات المخالفة، وُضع الرادار في منتصف المسافة بين القريتين طيلة النهار. عند المغرب كان الجهاز الجيب قد ملاً فلماً كاملاً بصور المخالفين. في الصباح التالي تم تغريم كل من وُجدت صورة سيارته.

احتج المواطنون على سياسة المخالفات، قال أحدهم لضابط المرور:

[لماذا لم تقيموا حفلاً لنصب الرادار؛ لتكون على علم؟؟!!]

تعالّت احتجاجات أخرى، لكنهم اضطروا في النهاية لدفع المخالفات. انتشر خبر الجهاز العجيب في الولاية، وفي اليوم التالي وُضع الرادار في المكان نفسه. مرّ عليه مواطنٌ ممن تمت مخالفتهم فحفض السرعة مقترباً منه، وتلفت المواطن يمنة ويسرة، أماماً وخلفاً، فوقاً وتحته فوجد الجهاز دون حراسة. فحمل الرادار إلى سيارته، وهرب به. وكسره في البيت وهو يقول:

[خذ يا أعمى، خذ يا لص، هه، خذ، بسبيك خسرت عشرة ريالات].

فتشت السلطات عن الرادار، ولم تعثر على أثر له. قرّرت شراء جهاز جديد. ترك الرادار الجديد في المكان نفسه قبيل المغرب، لكن هذه المرة بصحبة شرطيّ وحيد، لا يملك غير عصا القانون، ليزود بها عن الكرامة. مرّ سائقون مسرعون تمّ تصويرهم، وأعطى الجهاز وميضاً كآلة التصوير، قال سائق لراكبٍ قربه: [ما هذا الوميض؟].

رد الراكب: [برق. أظنها ستمطر في الليل].

وانتظر رجلٌ مُسرّعٌ بصحبة زوجته، وتفاجأ بوميضٍ قوي يغمر أعينهما. صرخت الزوجة وردّت الخمار على وجهها، ففرمل الزوج. عاد للخلف ليتبين مصدر الوميض. وجد الشرطي قرب الرادار، وقد أبعد عنه عصا القانون. سأله:

- ما هذا؟

رادار..

- رادار؟!!!.

- جهاز يصوّر السيارات التي تتجاوز السرعة القانونية.

- هل يصوّرني أيضًا؟

- يصور كل من في المقصورة الأمامية.

أمسك الزوج الشرطي: [يعني هذا الجهاز صوّر الحرمة، هات الصورة، هيا هات الصورة].
صرخ الشرطي: [لا يمكن، الصورة لا تظهر إلا في معامل الشرطة].

اتجه الرجل إلى سيارته، صرخ في وجه زوجته: [صوّروك يا حرمة. يا عارنا. ألم أقل لك
ردي الخمار على وجهك؟ ماذا قلت؟ نحن في طريق مقيمٍ والوقت ظلام. هه. هذا هو
الظلام.]

صرخت فيه الزوجة:

- الذنب ذنب الذي صورني.

- لكنها السلطة؟

- من قال لك إنه من السلطة؟ أيعقل أن تترك الحكومة رجلًا أعزل في طريق مقيمٍ وتقول
له: [صوّر حريم الرجال؟] إنه يضحك عليك وحسب.

اتجه الرجل نحو الشرطي. قال:

- هات الصورة.

- لا أستطيع إخراج الصورة.

- إذن خلّ بيني وبين هذا الجهاز، كاشف ستر الرجال.

بعد مناقشات طويلة أخذ الرجل الرادار - بعد أن حطّمه - معه إلى البيت.

اهتدت السلطات أخيرًا إلى وضع رجلٍ بزيٍّ مدني قرب الرادار الثالث، ووضع دورية على
بعد ثلاثة كيلومترات عن الجهاز، كانت مهمة الرجل الإبلاغ عن المسرعين لتستقبلهم

الدورية بالمخالفات. نجحت الفكرة في اليوم الأول، وسرى خبر الرادار الثالث في الولاية. تنبه السائقون لموقع الرادار بمجرد رؤية رجل يجلس على قارعة الطريق، فالطريق مُقفّر وغير مأهول، فلن يكون الواقف إلا المختص بالرادار، فكانوا ينطلقون مسرعين، وبمجرد رؤية شبّح رجل يهتف أحدهم بالسائق: [رادار!!]

فيخفّض السائق سرعته إلى أربعين كيلومتراً في الساعة حتى يتجاوز الرادار، فلا يُبلغ المختص بالرادار عنه، ومن ثم يزيد السائق سرعته إلى مائة وستين كيلومتراً في الساعة. وحدث أن مرّ سائقون على الدورية بسرعات جنونية وأفراد الدورية لا يقبضون عليهم لعدم إبلاغ مسؤول الرادار عنهم، مع الوقت غيّرت الشرطة وسائل نصب الرادار، فتارة تضع برميلاً، وتارة تضع خيمة، وفي أحيانٍ أخرى تنصب شجرة وهمية لتموّه السائقين.. لكن النتيجة أن أي سائق يمر على شيء غير طبيعي في هذه المنطقة المقفرة يقول: (رادار!!)

ويُخفّض سرعته لما دون الخمسين كيلومتراً ثم يزيد السرعة بعد التأكد من ابتعاده عن الشيء الغريب. قيل إن السائقين إذا مرّوا على حيوانٍ سائب خفّضوا سرعته، وكذا إذا رأوا إطاراً منفجراً رُمي في تلك المنطقة.

وطوى المساء ذكريات المسّنين عن الرادار، ونصبها خيمة على رمل الذاكرة، كلما صادفت لائحة لتحديد السرعة ابتسمت، وخفّضت السرعة.

قبل أسبوع انفجر إطار سيارةٍ مُسرعة، فتدهورت، وانقلبت بمن فيها. مرّ عليها السائقون المسرعون وهي تحترق فجعل الواحد منهم يقول للراكب الذي يليه:

[انظر، وضعوا الرادار على شكل حريق].

وخفّضوا جميعاً السرعات حتى تجاوزوا السيارة المحترقة ثم زادوا سرعاتهم.

صباح اليوم رأيت بقايا السيارة المحترقة، وكانت السيارات تمر مسرعة.. فتخفّضت السرعة حتى تتجاوز تلك البقايا، ثم تزيد سرعتها.

بقعة زيت مريم الساعدي

هو يومه الأول، يبدو مكانًا مهمًا، كلّفوه بمهمة تلبية طلبات المكاتب من 5 - 15 .

عمل رائع، لم يتصور قط أنه سيحظى بعمل سهل كهذا. كان دومًا متسخًا بما يحمله فوق ظهره طوال النهار، الآن هو يرتدي بدلة خاصة للعمل، نظيفة، نظيفة حقًا، في الواقع تبدو له نظيفة بشكل غير معقول. شعر بأنه وليد جديد للتّويخرج إلى العالم ساعة ارتداها أول مرة، حتى إنها مزخرفة عند الأطراف، وعليها شعار في الصدر، يقولون شعار الدّائرة، لا يهم، إنه فخور جدًّا، صوّر نفسه كثيرًا، أرسل الصور إلى أمه، زوجته حملت الصور إلى الجارات، تغیظهن: زوجها أنيق.

الساعة الثامنة صباحًا، یرن الهاتف (ترن ترن) يسرع لالتقاط السّماعة:

- نعم سيدي؟

- یرد عليه صوت امرأة.

- نعم، أحضر لي الشاي.

- بِسْكِر، أو من دون سْكِر سيدتي؟

- بِسْكِر.

- وفي أي غرفة سيدتي؟

- 13 .

- في الحال سيدتي.

يجب أن يكون كل شيء نظيفًا، المهم النظافة، النظافة. يغسل الكوب جيّدًا، يغسله مرارًا، يحضّر الشاي بالمقادير المطلوبة، نبهوهم قبل بدء العمل أن مقادير الشاي هنا تختلف عما اعتاده هناك، فهناك أية مقادير كانت نعمة مبعلة، هنا الأشياء دقيقة أكثر، وإن لم يعجبك

كوب شايبك بإمكانك أن تسكبه. ضحك كثيرًا عند هذه الفكرة، كيف لأحد أن يسكب كوب شاي ساخنًا فيه سكرٌ لذيذ، وحليب غني، فقط لأن السكر زاد قليلًا أو نقص؟ «غريب، غريب» يهزّ رأسه متعجبًا من عجائب الدنيا التي بدأ يتعرفها ساعة مغادرته بيته، ويضحك حين يتذكر أنه يسميه بيتًا. هناك، حتّى حين تدخل بيتك تظل مكشوفًا على الجميع، يختبئ الناس هنا خلف جدران حقيقية. يتخيّل لو امتلك فرصة كهذه، ربما كانت زوجته ستكف عن تأنيبه. يضع كوب الشاي على صينية التقديم، يتأكد من نظافة كل شيء، لا (بقع)، تذكر تعليمات المسؤول «لا بقع على الأكواب أو الصواني»، يتأمل جيّدًا، يرى صورته تنعكس على سطح الصينية. رائع! .. يسير فخورًا بنفسه. لا بقع. سيكتب في الرسالة القادمة إلى زوجته، «تخيلي! مهمّ ألا توجد أية بقعة من أي نوع، حتى بقعة الشاي نفسه، مهمّ ألا تقع على الصينية، تخيلي ينتبهون لذلك! وهذا يزعجهم، تخيلي، يزعجهم جدًّا! أه لو أحاسبك على كل البقع في الأواني، كنت طلّقتك منذ زمن».

تذكر، ألا أواني لديها، فقط إناءان، وعلى أية حال ماكانت أي بقع لتظهر على سطحها الصديء. «هذه من مميزات ألا تمتلك أشياء كثيرة، لا تضطر لأن تقلق على البقع!» يسير فخورًا باستنتاجه هذا، ويشعر بالحكمة. أمه دومًا آمنت أن مستقبله سيكون زاهرًا، كان ولدًا حكيمًا، يقول دومًا الأشياء الصحيحة في الوقت المناسب، أو حين يتوفر وقت لقول أي شيء.

على باب الغرفة رقم 13 يقف بتهيب، يتذكر هل يجب أن يلقي التحية أو فقط يدخل بهدوء؟ «مرحبًا سيدتي» يلقيها بهدوء، لا يلتقي ردًا. يتطلع إلى المكتب. لا مكان لوضع كوب الشاي، منشغلة هي بالهاتف وبشاشة الحاسوب، يقف قليلًا متفكّرًا، يزيح بعض الأوراق قليلًا، يحمل كوب الشاي، وينتبه أن في حافة الكوب بقعة شاي صغيرة، لا بد أنها اندلقت في الطريق، ترتجف يده، يتضرّع في سرّه ألا تنتبه لها، تبدو المسافة من الصينية حتى سطح المكتب بعيدة، شعر كأنه يسافر إلى الفضاء في رحلة مصيرية. يضع الكوب بتأن على المكان الذي وفّره له. تحرك الموظفة يدها لأخذه، تتحرك أكوام الأوراق، تصطدم بكوب الشاي، ينسكب الشاي على كل شيء، ويمتلئ المكان بالبقع، يقف مشدوّهًا، يظل واقفًا، يرتجف مثل ورقة شجر سقطت في يوم ريح عاصف. ماذا بوسعها أن يفعل أمام كل هذه

البقع؟ شدّدوا كثيراً على أن (لا بقع)، لا بقع على الأكواب، على الصّواني، لكن هذه بقع في كل مكان! على الأوراق، وسطح المكتب، وثوب الموظفة. يشعر بالغرق، وبلزوجة في قلبه. في اليوم التالي، كان عليه تسليم البدلة المزخرفة الجديدة لآخر يقف في طابور طويل يمتد دون كلل.

أدبُ السَّيرِ والرحلاتِ



السير الأدبية

السير في اللغة هي السُّنة، والسير: الطريقة. يقال: سار بهم سيرة حسنة. والسير: الهيئة. وفي القرآن الكريم، قال الله تعالى في سورة (طه): (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ) (٢١).

والسير الأدبية: فنّ جوهره التواصل اللغوي، يتناول حياة إنسان ما تناولاً يقصر أو يطول. وعرفها بعضهم بأنها «السرد المتتابع لدورة حياة شخص، وذكر الوقائع التي جرت له في أثناء مراحل هذه الحياة».

وتنقسم السير الأدبية إلى سيرة ذاتية، وسيرة غريبة.

فالسيرة الذاتية: هي التي يكتبها الشخص بنفسه عن نفسه.

أما السيرة الغريبة: فهي التي يكتبها كاتب ما عن شخص آخر، فهي ترجمة حياة شخص عن طريق الشواهد والشهادات والوثائق.

ويتحتم على كاتب السيرة الذاتية أن يكون موضوعاً في نظره لنفسه، وهو يذكر موقفه من الناس والحوادث. وعلى كاتب السيرة الغريبة أيضاً أن يكون موضوعياً، وأن يقف موقف الشاهد، لا القاضي. ولذلك يعدّ الصدق من أهم شروط كتابة السيرة الأدبية.

ولمّا كان الصدق من أهم شروط كتابة السيرة الأدبية فإنّ المتعة لا تتحقق إلا إذا كانت السيرة عن شخصية فذة، عاشت حياة غنية بالأحداث والمواقف، أو كانت عن شخصية مبدعة في أي مجال من مجالات الفنون والعلوم.

ويعدّ محمد بن إسحق أول من استخدم كلمة «السيرة» في كتابه (سيرة رسول الله ﷺ)، ولذلك تعدّ السيرة النبوية أوسع ما في التراجم الإسلامية، وأقدمها ظهوراً، ثمّ ظهرت تراجم أخرى لطبقات الصحابة، وطبقات المُفسّرين، وطبقات الشعراء وطبقات النحاة وغيرهم.

وقد تعددت الغايات من كتابة السيرة الغريبة؛ فقد ارتبطت السيرة الغريبة في بداية نشأتها بالتاريخ، فمثّلت نوعاً من السير عرف بالسيرة التاريخية التي ركزت على ربط حياة الأفراد

بالأحداث التاريخية والوقائع والحروب. وهذا النوع من السير قد يتضمن إشارات وعظية وحكمًا، إلا أن البعد التاريخي يبقى هو الغالب عليها، وتعد سيرة (ابن طولون) للبلوي، وسيرة (عمر بن عبدالعزيز) لابن عبدالحكم من الأمثلة على هذا النوع من السير.

ولكن بعض السير الغيريّة اتخذت لها غايات أخرى، فاتجهت نحو الوعظ والتدبر في أحوال الناس كما أشار إلى ذلك ابن الجوزي حين قال: «إن التواريخ وذكر السير راحة للقلب، وجلاء للهم، وتنبه للعقل، فإنه .. إن شُرحَت سيرة حازم علمت حسن التدبير، وإن قُصّت قصة مُفَرِّطٍ خوّفت من إهمال الحزم». ولذلك يمكن أن يطلق على هذا النوع من السير السيرة التعليمية التي لم تكن تتجاوز ذكر مناقب الشخص، وبعض أقواله، ومواقفه؛ ككتاب «الحسن البصري وزهده ومواعظه» لابن الجوزي.

يضاف إلى هاتين الغايتين غاية ثالثة كان لها دور كبير في كتابة السير الغيريّة، تمثلت في تلبية حاجة الناس إلى السمر والفكاهة والإدهاش؛ فكثير من السير كانت عبارة عن «مجموعة من القصص والمغامرات تدور حول شخصية واحدة، ويتفاوت فيها الخيال، ولكنها جميعها مسلية، تصاغ في أسلوب مبسط». وقد كان هذا التوجه سببًا في ظهور ما يسمى بالسيرة الخياليّة أو الشعبية التي كانت تنهل من معين الخيال، وتبتعد كثيرًا عن رصد الواقع والالتزام بالصدق والحقيقة، ولعل هذا الشكل يتضح بجلاء في سيرة (عترة بن شداد) و(سيف بن ذي يزن).

ولكنّ هذه الأنواع من السّير لا ترقى إلى مستوى السّيرة الأدبيّة التي لها مميزات وشروط فنية خاصة بها.

أما السيرة الذاتية فقد عرفت في العصر الحديث، وصارت فنًا مستقلًا بذاته، برع فيها كثير من الأدباء عبر العصور مثل الإمام أبي حامد الغزالي في سيرته الفكرية الفريدة (المنقذ من الضلال)، وابن خلدون في سيرته (التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا)، وأحمد لطفي السيد في سيرته (قصة حياتي)، وعباس محمود العقاد في سيرته (أنا) و(حياة قلم)، وإبراهيم عبد القادر المازني في سيرته (قصة حياة)، وطه حسين في سيرته (الأيام)، وتوفيق الحكيم في سيرته (زهرة العمر)، وأحمد أمين في سيرته (حياتي)، وميخائيل نعيمة في سيرته (سبعون)، وبنّت الشاطيء في سيرتها (على الجسر).

اسمها تجربة* (أرسكين كالدويل)

في هذه المرة، ذهبتُ إلى هناك في أوائل حزيران/يونيو، وخضتُ حرباً لا تنتهي مع الذباب الأسود في الفسحة الغابية، قبل أن أبدأ بتقطيع خشب القيقب الصلب ونشره؛ ليناسب حجم الموقد، ثم تعريضه للشمس والهواء؛ حتى يجف. كنتُ أقطع الحطب خلال النهار، وأعزق التربة لزراعة البطاطا وقت الغروب الطويل تحت سماء الأرجوانية، وحين يخيم الليل أجلس لأكتب القصص. في ذلك الوقت من السنة، ونظراً لوقوع المكان في تلك النقطة من خط العرض، كان ضوء النهار يمتد حتى الساعة الثالثة فجراً، حيث أخلد للنوم بضع ساعات. بدالي أن الوقت يمر بسرعة، وأن هناك كثيراً لأعمله، حيث قمتُ في بعض الليالي بإيقاف عقارب الساعة أو إعادتها إلى الوراء بينما أنا أطبع على الآلة الكاتبة.

كتبتُ عشرات القصص القصيرة خلال السنة الفائتة، في (ماونت فيرنون، وأوغستا، ومورغانا، وبالتيومور)، وشعرتُ بأن مستواها الفني يتحسن باطراد، أو على الأقل غدت قابلة للقراءة على نحو أفضل؛ وذلك لأنني أصبحت قادراً على تشكيل وصياغة الأحداث المتخيلة ضمن نمط الرواية الذي ينتج التأثير الذي أردته في كقاري. حاولتُ الكتابة وأنا أفكرُ بنفس كقاري فقط، وكأنما لن يكون هناك سواي ليقراها، مؤمناً بأن الكاتب ذاته يجب أن يرضى عن القصة قبل الآخرين. ولم أكن مؤمناً بقدرتي على تحليل القصة كناقِد، بل كنتُ متشككاً، وسيئ الظن بالتأنيج، ولكن بدلاً من ذلك بحثتُ عن تكثيف الشعور والإحساس في القصة، مقدراً تأثيراتها الوجدانية على التوازن الداخلي. وإذا ما اجتذبتني القصة التي كتبتها بقوة، بغض النظر عن الافتقار إلى الانسجام مع أسلوب القصة التقليدي، كنتُ أشعر برضا كبير عن النتيجة. وأملتُ بأنه سيأتي الوقت الذي يقبل الآخرون - بمن فيهم المحررون والناشرون - الأسلوب الذي أستخدمه باعتباره الوسيلة الوحيدة الممكنة لكتابة ذلك النوع الخاص من القصة، بقلم أو بقلم غيري؛ لخلق الإحساس المثير الذي تعطيه.

ما حظي بالقدّر نفسه من الأهمية بالنسبة لي هو الإيمان بأن المضمون/المحتوى يتمتع

* أرسكين كالدويل، اسمها تجربة، ترجمة: معين الإمام، دار المدى، سورية، الطبعة الأولى، 2006، صفحة 52-56.

بقيمةٍ أعظم من الأسلوب/ الشكل الذي كتبت فيه القصة؛ نظرًا لما يتركه من تأثير طويل الأمد في القارئ، فالمضمون هو مادة القصة الأساسية، الأمور الحياتية التي يرويها الكاتب، وأفكار الناس وطموحاتهم في كل مكان، ونوعية الشخصيات الطبيعية التي لم توجد على الأرض أبدًا، لكنها توهم القارئ بأنها تمثل أشخاصًا واقعيين من لحم ودم.

إذن، لم أكن أكتب عن أشخاص واقعيين، بل عن أفعال ورغبات أشخاص متخيلين، تصوّرهم القصة أو الرواية الناجحة بأسلوب مقنع حيث يظهرون وكأنهم أكثر واقعية من الأشخاص الحقيقيين، وإلا لن يجمع الأشخاص في الروايات والقصص القصيرة سوى شبه سطحي بسيط بالبشر. لقد سعت جاهدًا في الأسلوب الذي كتبت فيه أن آخذ من الحياة - مباشرة - تلك الصفات والسمات المميزة للرجال والنساء التي تُنتج بطريقة معبرة تحت الظروف والشروط التي سأقوم بابتكارها الشخصيات المثالية للقصة التي أريد إبداعها. ومن النادر، إن لم يكن من المستحيل ألا تكون هذه الشخصيات المتخيّلة مركبة.

خلال هذه الفترة (1927) بدأت تلقي ملحوظات وتعليقات قصيرة بتكرارية أكبر من المحررين بدلًا من الرّفص المطلق الصريح، وبالرغم من عدم قيام أية مجلة بقبول ونشر قصة لي بشكل فعلي، إلا أن بعض المحررين كانوا بين حين وآخر يرفضون نشر أعمالي، ويرفضون رفضهم بتعليق عليها.

لكن بدا هنالك على الدوام شيء يمنع قصتي من النشر: طويلة جدًا، وجيزة جدًا، كتبت بأسلوب غير نظامي، مغالية في الخيال والبعد عن الواقع بالنسبة لنوعية محددة من القراء، مبالغ في واقعيّتها في التمثيل والعرض بالنسبة لأذواق هيئة التحرير، وكان من المفاجيء أن تظهر كل هذه الأسباب المنطقية والمتكلفة لرفض قبول أعمالي.

علاوة على كل هذه الردود المهدّبة التي رفض من خلالها رؤساء التحرير نشر أعمالي في صحفهم ومجلاتهم، تلقيت بعض النصائح أحيانًا. لم أكن معاديًا للنصح من حيث المبدأ، طالما تساوق في الغالب مع ما أقوم به، لكن بدا دائمًا بالنسبة لي أن النصائح التي تلقيتها قد فُصدَ بها بالتأكيد شخص آخر، ووجّهت إليّ بطريق الخطأ.

نصحتني أحد المحررين بإجراء دراسة دقيقة لنوع القصص التي تُنشر في مجلّته، وأن أحاول الاقتراب منه ما أمكن. وقال آخر: إن هناك مستقبلًا جيدًا في انتظار المقالات التي تتناول

بعض المهنة الحرفية المعينة، مثل: زخرفة المنازل، وتغطية الأرضيات، وتصميم الأثاث، بل وصل ثالث إلى حد كتابة رسالة مطولة ينصحني فيها بالتوقف عن كتابة القصص القصيرة، مشيراً إلى أنني لن أتمكن - برأيه - من النجاح في هذا المجال أبداً، وأن الإلحاح العنيد والمؤلم سوف يجعل إخفاقي النهائي أصعب من أن أحتمله.

كان كل ذلك بمثابة مراسلات مثيرة زودتني بشيء أطلع لتلقيه بالبريد، لكنها لم تكن واعدة، ولا تقدم ما يكافئ جهدي المبذول. ومن أجل أن تصل عشرات القصص إلى مكاتب المحررين باستمرار، توجب علي الحفاظ على كمية من طوابع البريد، كما كان علي تلبية بعض الحاجات الحياتية شبه الضرورية، مثل السكر والملح والأحذية التي لم أكن أرغب بحرمان عائلتي منها. وحين كنت أحتاج المال، لم يكن أمامي سوى ملء حقيبتي سفر بنسخ الكتب التي قمت بمراجعتها، وركوب الحافلة إلى (بوسطن)، وزيارة متجر الكتب المستعملة، ولربما لم تبدئ هذه الممارسة - نشاط بيع الكتب بسعر خمسة وعشرين سنتاً - في أمريكا، لكنني أسهمت في انطلاقها في (بوسطن).

الأيام طه حسين

كَانَ مِنْ أَوَّلِ أَمْرِهِ طُلْعَةً لَا يَحْفَلُ بِمَا يَلْقَى مِنَ الْأَمْرِ فِي سَبِيلِ أَنْ يَسْتَشْكِفَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَكَانَ ذَلِكَ يَكْلِفُهُ كَثِيرًا مِنَ الْأَلَمِ وَالْعَنَاءِ، وَلَكِنَّ حَادِثَةً وَاحِدَةً حَدَّتْ مِيلَهُ إِلَى الْاسْتِطْلَاعِ، وَمَلَأَتْ قَلْبَهُ حَيَاءً لَمْ يَفَارُقْهُ إِلَى الْآنَ. كَانَ جَالِسًا إِلَى الْعِشَاءِ بَيْنَ إِخْوَتِهِ وَأَبِيهِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ كَعَادَتِهَا تَشْرِفُ عَلَى حَفْلَةِ الطَّعَامِ، تَرشُدُ الْخَادِمَ، وَتَرْشِدُ أَخَوَاتِهِ اللَّائِي كُنَّ يَشَارِكُنَ الْخَادِمَ فِي الْقِيَامِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الطَّاعِمُونَ. وَكَانَ يَأْكُلُ كَمَا يَأْكُلُ النَّاسُ، وَلَكِنْ لِأَمْرِ مَا خَطَرَ لَهُ خَاطِرٌ غَرِيبٌ، مَا الَّذِي يَقَعُ لَوْ أَنَّهُ أَخَذَ اللَّقْمَةَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ بَدَلُ أَنْ يَأْخُذَهَا كَعَادَتِهِ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ؟ وَمَا الَّذِي يَمْنَعُهُ مِنْ هَذِهِ التَّجَرُّبَةِ؟ لَا شَيْءَ.

وَإِذَنْ، فَقَدْ أَخَذَ اللَّقْمَةَ بِكِلْتَا يَدَيْهِ، وَغَمَسَهَا مِنَ الطَّبَقِ الْمَشْتَرَكِ ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَى فَمِهِ. فَأَمَّا إِخْوَتُهُ فَأَغْرَقُوا فِي الضَّحِكِ، وَأَمَّا أُمُّهُ فَأَجْهَشَتْ بِالْبَكَاءِ، وَأَمَّا أَبُوهُ فَقَالَ فِي صَوْتٍ هَادِيٍّ حَزِينٍ: مَا هَكَذَا تَوْخَذُ اللَّقْمَةَ يَا بُنَيَّ... وَأَمَّا هُوَ فَلَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ قَضَى لَيْلَتَهُ.

مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ تَقَيَّدَتْ حَرَكَاتُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الرِّزَانَةِ وَالْإِسْفَاقِ وَالْحَيَاءِ لَا حَدَّ لَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ عَرَفَ لِنَفْسِهِ إِرَادَةً قَوِيَّةً، وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ الْحَسَاءَ وَالْأَرْزَ وَكُلَّ الْأَلْوَانِ الَّتِي تَوَكَّلُ بِالْمَلَاعِقِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ اصْطِنَاعَ الْمِلْعَقَةِ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَضْحَكَ إِخْوَتُهُ، أَوْ تَبْكِي أُمُّهُ، أَوْ يُعَلِّمَهُ أَبُوهُ فِي هُدُوءٍ حَزِينٍ.

هَذِهِ الْحَادِثَةُ أَعَانَتْهُ عَلَى أَنْ يَفْهَمَ حَقًّا مَا تَحَدَّثَ بِهِ الرَّوَاةُ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ مِنْ أَنَّهُ أَكَلَ ذَاتَ يَوْمٍ دَبْسًا، فَسَقَطَ بَعْضُهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي فَلَمَّا خَرَجَ إِلَى الدَّرْسِ قَالَ لَهُ بَعْضُ تَلَامِيذِهِ: يَا سَيِّدِي أَأَكَلْتَ دَبْسًا؟ فَاسْرَعَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: نَعَمْ، قَاتَلَ اللَّهُ الشَّرَّهَ! ثُمَّ حَرَّمَ الدَّبْسَ عَلَى نَفْسِهِ طَوَالَ الْحَيَاةِ.

وَأَعَانَتْهُ هَذِهِ الْحَادِثَةُ عَلَى أَنْ يَفْهَمَ طَوْرًا مِنْ أَطْوَارِ أَبِي الْعَلَاءِ حَقَّ الْفَهْمِ؛ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا الْعَلَاءِ كَانَ يَتَسَتَّرُ فِي أَكْلِهِ حَتَّى عَلَى خَادِمِهِ؛ فَقَدْ كَانَ يَأْكُلُ فِي نَفَقٍ تَحْتَ الْأَرْضِ، وَكَانَ يَأْمُرُ خَادِمَهُ أَنْ يُعَدَّ لَهُ طَعَامُهُ فِي هَذَا النَّفَقِ ثُمَّ يَخْرُجُ، وَيَخْلُو هُوَ إِلَى طَعَامِهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مَا يَشْتَهِي. وَقَدْ

زعموا أنَّ تلاميذه تذاكروا مرَّةً بِطِيخٍ حلبٍ وجودته، فتكلَّفَ أبو العلاء وأرسلَ إلى حلبٍ من اشترى لهم منه شيئاً فأكلوا، واحتفظَ الخادمُ لسيِّده بشيءٍ من البَطِيخِ وضعه في النِّفقِ، وكأنَّه لم يضعه في المكان الذي تعود أن يضع فيه طعامَ الشَّيخِ، وكرهَ الشَّيخُ أن يسألَ عن حظِّه من البَطِيخِ، فلبثَ البَطِيخُ في مكانه حتَّى فسَدَ، ولم يذقه الشَّيخُ.

فهمَ صاحبنا هذه الأطوارَ من حياة أبي العلاء حقَّ الفهم؛ لأنَّه رأى نفسه فيها، فكم كان يتمنَّى طفلاً لو استطاع أن يخلو إلى طعامه، ولكنَّه لم يجزُّ على أن يعلنَ إلى أهله هذه الرِّغبة، على أنَّه خلا إلى بعضِ الطَّعامِ أحياناً كثيرةً، ذلك من شهرِ رمضانَ ومن أيامِ المواسمِ الحافلة، حينَ كان أهله يتخذونَ ألواناً من الطَّعامِ حلوةً، ولكنها تؤكلُ بالملاعق فكانَ يأبى أن يُصيبَ منها على المائدة، وكانت أمُّه تكرهُ له هذا الجرَّمانَ، فكانتَ تُفردُ له طبقاً خاصاً، وتُخلِّي بينه وبينَ حجرةٍ خاصَّةٍ، يغلقها هو من دونه حتَّى لا يستطيعَ أحدٌ أن يُشرفَ عليه وهو يأكلُ.

على أنَّه عندما استطاع أن يملكَ أمرَ نفسه اتَّخذَ هذه الخطَّةَ له نظاماً، بدأ بِذلك حينَ سافرَ إلى أوروبا لأوَّلِ مرَّةٍ، فتكلَّفَ التَّعبَ، وأبى أن يذهبَ إلى مائدةِ السَّفينة، فكانَ يُحمَلُ إليه الطَّعامُ في غرفته، ثمَّ وصلَ إلى فرنسا فكانتَ قاعدته إذا نزلَ في فندقٍ أو في أسرةٍ يُحمَلُ إليه الطَّعامُ في غرفته دونَ أن يتكلَّفَ الدَّهابَ إلى المائدةِ العامَّةِ، ولم يتركْ هذه العادةَ إلَّا حينَ خطَبَ قرينته، فأخرجته من عاداتٍ كثيرةٍ قد ألفها.

هذه الحادثة أخذته بألوانِ الشَّدةِ في حياته، جعلته مضربَ المثل في حياته، جعلته مضربَ المثل بين الذين عرفوه حينَ تجاوزَ حياةَ الأسرةِ إلى الحياةِ الاجتماعيَّةِ، كانَ قليلَ الأكلِ، لا لأنَّه كانَ قليلَ الميلِ إلى الطَّعامِ؛ بل لأنَّه كانَ يخشى أن يوصفَ بالشرِّه أو أن يتغامزَ عليه إخوته، وقد أَلَمَ ذلك أوَّلَ الأمرِ، ولكنَّه لم يلبثَ أن تعودَ حتَّى أصبحَ من العسيرِ عليه أن يأكلَ كما يأكلُ النَّاسُ. كانَ يُسرفُ في تصغيرِ اللقمةِ، وكانَ له عَمٌّ يغيطُه منه كلِّما رآه، فيغضبُ، وينهره، ويلجُّ عليه في تكبيرِ اللقمةِ، فيضحكُ إخوته، وكانَ ذلك سبباً في أن كرهَ عمُّه كرهاً شديداً.

كَانَ يَسْتَحْي أَن يَشْرَبَ عَلَى الْمَائِدَةِ مَخَافَةً أَن يَضْطَرِبَ الْقَدْحُ مِنْ يَدِهِ، أَوْ أَلَّا يُحْسِنَ تَنَاوُلَهُ حِينَ يُقَدِّمُ إِلَيْهِ، فَكَانَ طَعَامُهُ جَافًا مَا جَلَسَ عَلَى الْمَائِدَةِ، حَتَّى إِذَا نَهَضَ عَنْهَا لِيَغْسَلَ يَدَيْهِ مِنْ حَنْفِيَةٍ كَانَتْ هُنَاكَ شَرِبَ مِنْ مَائِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَن يَشْرَبَ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْمَاءُ نَقِيًّا دَائِمًا، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا النَّوْعُ مِنْ رِيِّ الظَّمَا مَلَائِمًا لِلصَّحَةِ؛ فَانْتَهَى بِهِ الْأَمْرُ إِلَى أَن أَصْبَحَ مَمْعُودًا، وَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَن يَعْرِفَ لَذَلِكَ سَبَبًا.

ثُمَّ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ أَلْوَانِ اللَّعِبِ وَالْعَبَثِ كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا مَا لَا يَكْلَفُهُ عَنَاءٌ، وَلَا يُعَرِّضُهُ لِلضَّحْكِ أَوْ الْإِسْفَاقِ، فَكَانَ أَحَبَّ اللَّعِبِ إِلَيْهِ أَن يَجْمَعَ طَائِفَةً مِنَ الْحَدِيدِ، وَيَتَحَيَّ بِهَا زَاوِيَةً مِنَ الْبَيْتِ؛ فَيَجْمَعُهَا وَيُفَرِّقُهَا، وَيَقْرَعُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ، يُنْفِقُ فِي ذَلِكَ سَاعَاتٍ، حَتَّى إِذَا سَمِعَهُ وَقَفَ عَلَى إِخْوَتِهِ أَوْ أَتْرَابِهِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ، فَشَارَكَهُمْ فِي اللَّعِبِ بِعَقْلِهِ لَا بِيَدِهِ، وَكَذَلِكَ عَرَفَ أَكْثَرَ أَلْوَانِ اللَّعِبِ دُونَ أَن يَأْخُذَ مِنْهَا بِحِظٍّ، وَانْصَرَفَهُ هَذَا عَنِ الْعَبَثِ حَبَّبَ إِلَيْهِ لَوْنًا مِنَ أَلْوَانِ اللَّهْوِ؛ هُوَ الْاسْتِمَاعُ إِلَى الْقِصَصِ وَالْأَحَادِيثِ؛ فَكَانَ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْهِ أَن يَسْمَعَ إِنْشَادَ الشَّاعِرِ، أَوْ حَدِيثَ الرَّجَالِ إِلَى أَبِيهِ، وَالنِّسَاءِ إِلَى أُمِّهِ، وَمِنْ هُنَا تَعَلَّمَ حُسْنَ الْاسْتِمَاعِ.

وَكَانَ أَبُوهُ وَطَائِفَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يَحْبُونَ الْقِصَصَ حُبًّا جَمًّا، فَإِذَا صَلَّوْا الْعَصْرَ اجْتَمَعُوا إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ قِصَصَ الْعَزَوَاتِ وَالْفُتُوحِ، وَأَخْبَارَ عُنْتَرَةٍ وَالظَّاهِرِ بَيْرَسَ، وَأَخْبَارَ الْأَنْبِيَاءِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَكُتِبَ فِي الْوَعِظِ وَالسُّنَنِ، وَكَانَ صَاحِبُنَا يَقْعُدُ مِنْهُمْ مَزَجَرَ الْكَلْبِ وَهُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَافِلًا عَمَّا يَسْمَعُ، بَلْ لَمْ يَكُنْ غَافِلًا عَمَّا تَتَرَكُّهُ هَذِهِ الْقِصَصُ فِي نَفُوسِ السَّامِعِينَ مِنَ الْأَثَرِ، فَإِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ تَفَرَّقَ الْقَوْمُ إِلَى طَعَامِهِمْ، حَتَّى إِذَا صَلَّوْا الْعِشَاءَ اجْتَمَعُوا فَتَحَدَّثُوا طَرَفًا مِنَ اللَّيْلِ، وَأَقْبَلَ الشَّاعِرُ، فَأَخَذَ يَنْشِدُهُمْ أَخْبَارَ الْهَلَالِيِّينَ وَالزَّنَاتِيِّينَ، وَصَاحِبُنَا جَالِسٌ يَسْمَعُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ كَمَا كَانَ يَسْمَعُ فِي آخِرِ النَّهَارِ.

وَالنِّسَاءُ فِي قَرْيَ مَصْرَ لَا يُحْبِبْنَ الصَّمْتَ، وَلَا يَمْلَنَ إِلَيْهِ؛ فَإِذَا خَلَّتْ إِحْدَاهُنَّ إِلَى نَفْسِهَا وَلَمْ تَجِدْ مَنْ تَحَدَّثُ إِلَيْهِ، تَحَدَّثَتْ إِلَى نَفْسِهَا أَلْوَانًا مِنَ الْحَدِيثِ، فَعَنَّتْ إِنْ كَانَتْ فَرَحَةً، وَعَدَدَتْ إِنْ كَانَتْ مَحْزُونَةً، وَكُلُّ امْرَأَةٍ فِي مَصْرَ مَحْزُونَةٌ حِينَ تَرِيدُ.

وَأَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى نِسَاءِ الْقَرْيَةِ إِذَا خَلَوْنَ إِلَى أَنْفُسِهِنَّ أَن يَذْكُرْنَ أَلَامَهُنَّ وَمَوْتَاهُنَّ فَيَعْدِدْنَ،

وكثيراً ما ينتهي هذا التعديد إلى البكاء حقاً، وكان صاحبنا أسعد الناس بالاستماع إلى أخواته وهن يتغنين، وأمه وهي تعدد، وكان غناء أخواته يغيظه ولا يترك في نفسه أثراً؛ لأنه كان يجده سخيلاً لا يدل على شيء، في حين كان تعدد أمه يهزه هزاً عنيفاً، وكثيراً ما كان يبكيه، وعلى هذا النحو حفظ صاحبنا كثيراً من الأغاني، وكثيراً من التعديد، وكثيراً من جد القصص وهزله، وحفظ شيئاً آخر لم تكن بينه وبين هذا كله صلة؛ وهي الأوراد التي كان يتلوها جده الشيخ الضرير إذا أصبح أو أمسى.

ذكريات مدرسيّة عبد القادر المازني

سأقتصر في هذا الفصل على طائفة من الذكريات تخيرتها من عهد كنت فيه تلميذاً، وعهد تال كنت فيه مُدرّساً.

وسأكتفي بالمعالم الكبرى والخطوط الرئيسة التي تغني عن التفاصيل، ولست أرمي إلى غاية من هذا التصوير سوى ما يمكن أن يستفاد من مقابلة عهد بعهد ومواجهة ماضٍ بحاضر. فمثلاً يمكن بسهولة أن تتصوّروا حال التعليم الابتدائي إذا قلت: إن تلميذاً كان معنا في المدرسة نال الشهادة الابتدائية فعين في السنة التالية مدرّساً لنا في السنة الرابعة التي تعد لئيل الشهادة الابتدائية، وأبلغ من هذا في الدلالة أنّه كان يدرس لنا ما كان يسمّى (الأشياء) وهي عبارة عن معارف عامّة، وكان تدريسها يومئذ باللغة الإنجليزية. وأرسم خطأ آخر تتمُّ به الصورة فأقول ما قلت في فصل آخر: إن ناظرنا كان يقول عن نفسه إنه جاهل، جاهل، ولكنه إداري!

والآن أنتقل إلى طائفة أخرى من الصّور للمدرّاس الثانويّة.

كان التعليم الثانويّ انتقالاً بأدقّ المعاني، فقد صار كلّ من في المدرسة إنجليزياً -الناظر والمدرّسون والتعليم- ما عدا اللغة العربية.

وأنا إلى هذه اللحظة لا أعرف كيف كنت أنجح في الامتحانات؟! وأكبر ظني أنّهم كانوا يترقّقون بنا، ويعطفون علينا، ويتساهلون معنا، ويتركوننا ننجح على سبيل الاستثناء. وأدع غيري، وأقتصر على نفسي فإنّي أعرف بها، فأقول: إنّي ما استطعت قطّ أن أفهم علوم الرياضة، أو أن أقدر فيها على شيء، ومع ذلك كنت أنتقل من سنة إلى أخرى بلا عائق. وكان الأساتذة يختلفون: فمنهم الفظّ ومنهم الرقيق. وأذكر أن أحدهم كان يذكرني درسه بالكتاب الذي حفظت فيه القرآن الكريم فقد كان يملي درس الجغرافيا، فإذا كان الدرس التالي طالبنا به محفوظاً عن ظهر قلب، وكان يقف أمامه التلاميذ يتلون وهو يسمع، ثم يضع في كل ركن واحداً من الحافظين ليمتحن زملاءه. وكنت لا أستطيع أن أحفظ شيئاً عن ظهر قلب فكنت أحبس بعد كل درس في الجغرافيا، حتى كرهتها وكرهت حياتي كلها

بسببها.

وكان لنا مدرس آخر من أظرف خلق الله، وأرقهم حاشية، وأعفهم لفظاً، فكان إذا ساءه من أحدنا أمر وأراد أن يوبّخه، قال له: تهجّ كلمة بليد مثلاً أو غير ذلك، كراهة منه لإسناد الوصف إلى التلميذ مباشرة. ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسها في الوقت الحاضر، ولكننا كنّا أقوى فيها من تلاميذ هذا الزّمان لا أدري لماذا؟! وكان المفتش الأوّل للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله، وكان من أعلم خلق الله بها، وبالصّرف على الخصوص، وكان رجلاً طيباً وقوراً مهيباً، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرّس إليه فيقبل يده فيدعو له الشيخ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك، بل نراه أمراً طبيعياً جداً.

وأعتقد أنّ منظر أساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان أهمّ ما غرس في نفوسنا حب معلّمينا وتوقيرهم، فإنّي إلى هذه الساعة أشعر بحنين إلى هؤلاء المعلّمين، ولا يسعني إلاّ إكبارهم حين ألتقي بواحد منهم.

ومن لطائف الشيخ حمزة أنّه كان يقول ملاحظاته للمعلّم على مسمع منّا، ولكنّه كان لا يكتب في تقريره إلى الوزارة إلاّ خيراً. وقد اتفق لي بعد أن تخرّجت في مدرسة المعلمين وعيّنت مدرّساً في المدرسة السّعيدية الثّانوية أن جاء الشيخ حمزة للتفتيش، فاغنمت هذه الفرصة، وقلت: (يا أستاذ) ما هو الاسم العربي لهذا الدّخان والتبغ؟ فقال انتظرني يا سيّدي حتى أنظر في (الكُنّاشة)، وأخرج ممّا يلي صدره تحت القفطان كراسة ضخمة لا أدري كيف كانت مخبئة غير بادية، وقلّب فيها ثم أنشد هذا البيت:

كأنما حثّثوا حصا قوادمه أو أم خشف بذى شت وطباق

ومضى عني، وفكرت في كلمة «الطباق» التي جاءني بها الشيخ، فاستحسنتها، ورأيت أنّها على العموم خير من كلمة «تبغ» نعرّب بها اللفظ الإنجليزي أو الفرنسي (توباكو أو توباكو).

ومن حوادث الشيخ حمزة معي أنّي كنت أوّدّي الامتحان الشّفوي في الشّهادة الثّانوية، وكان هو رئيساً للجان اللغة العربيّة، فلما جاء دوري، اتفق أنّه كان موجوداً، فلما انتهت المطالعة، وجاء دور المحفوظات، وكان لها مقرّر خصوصي، سألني ماذا أحفظ؟

وكنت في صباح ذلك اليوم قرأت خطبة قصيرة للنّبي ﷺ فعلمت بذهني، وألهمني الله أن

أقول إنني أحفظ خطبة للنبي ﷺ. ففرح الشيخ جداً، وخلع حذاه، وصاح (قلي يا شاطر، الله يفتح عليك) وسترني الله فلم أخطئ، فاكتفى الشيخ بهذا، وأعفاني من النحو والصرف والإعراب.

ولكنه في مرة أخرى كاد يضيّع عليّ سنة، وكنت طالباً في مدرسة المعلمين، وكانت لجنة الامتحان في اللغة العربية برئاسة، فقال أحد إخواني بعد خروجه من الامتحان: إنَّ الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف، ويطلب إلى الطالب أن يتلو الفصل الذي يقع عليه الاختيار، ولم نكن ندرّس نحواً ولا صرفاً في المدرسة؛ لأن الدراسة كانت مقصورة على الأدب فأيقنا الفشل، وجاء دوري فجلست أمامه، وناولني كتاب «مقدمة ابن خلدون» فقرأت، ثم سألني عن العدوان، والفعلين عدا، واعتدى وانتقلنا للماضي المثني (واعتديا) للأمر، فسألني لماذا كان الماضي بالفتح والأمر بالكسر فلم أعرف لهذا سبباً، وقلت: إنّه لا سبب هناك سوى أنّ العرب نطقوا بهما هكذا، فدهش لهذا الجواب وقال: (ولكن لهذا سبباً)، قلت: (إنّ اللغة العربية سبقت النحو والصرف، وكلّ هذه القواعد موضوعة بعدها، وما دمت أنطق كما كان العرب يفعلون فإنّ هذا يكفي ولا داعي للبحث عن سبب مختلق). فغضب، وظهر هذا على وجهه فلم أبال بغضبه، وحدثت نفسي أنّه خير لي وأكرم أن أسقط بخناقة من أن تكون علّة سقوطي الجهل، وأصررت على رأيي، وكاد يحدث ما لا يحمد لولا أنّ المرحوم الشيخ شاويش - وكان عضواً في اللجنة - تدارك الأمر، فقد نظر في ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمزة، وقال (العصر وجب يا مولانا). فنهض الشيخ وهو يقول (أي نعم) وذهب للصلاة، ونسيتني، فكان في هذا نجاتي، وقد حفظت هذا الجميل للشيخ شاويش، وكانت هذه الحادثة بداية علاقتي به.

ولم تكن المواد كثيرة أو طويلة في مدرسة المعلمين، وكفي أن أقول: إنه كانت لنا في الأسبوع ثماني ساعات لا نتلقّى فيها أيّ درس، فترك هذا التخفيف وقتاً كافياً للمطالعة الخاصة.. وكان أساتذتنا وناظرنا يشجعوننا عليها بكل وسيلة، ولا يفوتهم مع التشجيع والحث أن يوجهونا، وينظّموا لنا الأمر، وأحسب أن هذا نفعنا جداً.

وقد صرت معلّماً بعد ذلك، وظللت أشتغل بالتعليم عشر سنين، خمساً منها في الوزارة وخمساً في المدارس الحرّة، وفي هذه السنوات العشر لم أحتج أن أعاقب تلميذاً أو أوبّخه

أو أقول له كلمة نابية. ولم يقصر التلاميذ في محاولة المعاكسة، ولكنني كنت حديث عهد بالتلمذة وبشقاوة التلاميذ، فكنت أعرف كيف أقمع هذه الرغبة الطبيعية في الشقاوة، وكانت طريقتي أن أتجاوز عن الذي لا ضير منه، فلا أشغل به نفسي والتلاميذ، مثال ذلك: أن يحتاج التلميذ إلى قلم أو نشافة فيطلبها من جاره، ويكلمه في ذلك، فلا أعد هذا الكلام من الذي لا يباح، ولا أقيم ضجة من أجله. وقد حدث يوماً وأنا مدرّس في المدرسة الخديوية أن دخلت غرفة الصفّ فألفيت على مكتبي كلّ أدوات الرياضة مرصوفة على نحو لا شك أنه متعمد، وكان تلاميذي لا يجهلون كرهى للرياضة، وكنت أنا لا أكتهم أنني أعد نفسي جاهلاً بها، وكان غرضهم من رصّ هذه الأدوات أن يعابثوني عسى أن أثير الضجة التي يشتهونها، ولا يفوزون مني بها، ولكنني لم أفعل، بل اكتفيت بأن دعوت الفراش فحمل هذه الأدوات، ووضعها في مكانها، ثم بدأت الدرس. واتفق يوماً آخر أن دخلت الفصل فإذا رائحة كريهة لا تطاق، وكان الوقت صيفاً، والجو حاراً جداً، فضاغف الحرّ شعوري بالتغيب من هذه الرائحة الثقيلة. وأدركت أنها هي المادة التي كنا نضعها ونحن تلاميذ في الدواة مع الحبر، فتكون لها هذه الرائحة المزعجة. فقلت لنفسي: إنهم ثلاثون أو أربعون وأنا واحد، وإذا كانت الرائحة الخبيثة تغثي نفسي فإنها تغثي نفوسهم معي أيضاً، فحالهم ليس خيراً من حالي، والإحساس المتعب الذي أعانيه ليس قاصراً عليّ، ولست منفرداً به، وأنهم الأغبياء؛ لأنهم أشركوا أنفسهم معي وقد أرادوا أن يفرّدوني بهذه المحنة، والفوز في هذه الحالة خليك أن يكون لمن هو أقدر على الصبر والاحتمال، فتجاهلت الأمر، وصرت أغلق النوافذ واحدة بعد الأخرى؛ لأزيد شعورهم بالضيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك، وقد كان. تصبّرت وتشدّدت، ودعوت الله في سري أن يقويني على الاحتمال، ومضيت في الدرس بنشاط وهمّة لأشغل نفسي عمّا أعاني من كرب هذه الرائحة الكريهة، وكنت أرى في وجوههم في أن يستأذنوا لفتح النوافذ عسى أن تخفّ الرائحة، ويلطف وقعها.



نصوصُ الرَّأي



المَقالاتُ



المقالةُ

المقالة هي قطعة نثرية ذات طول معتدل، يتناول فيها الكاتب بعض القضايا الخاصة أو العامة من وجهة نظره الخاصة، ولذلك تصنّف المقالة على أنها من نصوصُ الرَّأي؛ لأنها في الغالب تعبّر عن رأي كاتبها في الموضوع الذي يتناوله بالكتابة.

وعلى الرغم من أنّ المقالة نوع حديث من الكتابة، إلا أن لها بذورًا موعلة في القدم في الآداب القديمة؛ إذ يمكن أن نلتمس بذور هذا الفن في الأدب الصيني القديم في أقوال الحكيم (كونفوشيوس)، وفي الأدب اليوناني في كتابات (سقراط) و(أفلاطون) و(أرسطو).

أما في الأدب العربي القديم فقد ظهرت بذور المقالة في الأدب العربي منذ القرن الثاني للهجرة في الرسائل الأدبية وما تحويه من موضوعات مثل الإخوانيات وما تتضمنه من مناظرات ومسامرات وموضوعات أخرى تفرّد بها الشعر كالغزل والمديح والهجاء والفخر والوصف رغم الأسلوب الإنشائي والصنعة اللفظية. وتعتبر رسالة «صفة الإمام العادل» للحسن البصري التي كتبها إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز بطلب منه واصفًا فيها الإمام (الخليفة) العادل مثلاً جيداً على المقالة الأخلاقية الوعظية.

يقول الحسن البصري:

«اعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْإِمَامَ الْعَادِلَ قِوَامَ كُلِّ مَائِلٍ، وَقَصَدَ كُلَّ جَائِرٍ، وَصَلَحَ كُلَّ فَاسِدٍ، وَقُوَّةَ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَنَصَفَةَ كُلِّ مَظْلُومٍ، وَمَفْزَعَ كُلِّ مَلْهُوفٍ. وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ - يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - كَالرَّاعِي الشَّفِيقِ عَلَى إِبْلِهِ، الرَّفِيقِ بِهَا الَّذِي يَرْتَادُ لَهَا أَطْيَبَ الْمَرْعَى، وَيَذُودُهَا عَنْ مَرَاعِ الْهَلَكَةِ، وَيَحْمِيهَا عَنِ السَّبَاعِ، وَيُكْنِئُهَا عَنْ أَذَى الْحَرِّ وَالْقَرِّ».

وتعتبر (رسالة عبد الحميد الكاتب) إلى الكتاب التي تضع قواعد للكتابة الديوانية ولأخلاق الكاتب قريبة الشبه بالمقالة النقدية الحديثة. ورسالة (سهل بن هارون) إلى بني عمه في مدح البخل وذم الإسراف مثال على المقالة الفكاهية. ورسالة (الصحابية) لابن المقفع مقالة في سياسة الدولة وإدارتها. ورسائل (الجاحظ) وكتبه نموذج حي على المقالة في الأدب القديم. ورسائل (أبي حيان التوحيدي) وفصول مقابساته، وكتابه (الإمتاع والمؤانسة) نموذج

للمقالات الفلسفية التأملية والهجائية.

يقول أبو حيان التوحيدي في كتابه الإمتاع والمؤانسة في حوار بينه وبين الوزير بن سعدان حول الوزير صاحب بن عباد وما يُقال في ذمه: «إِنَّ الرَّجُلَ كَثِيرُ الْمُحْفَوظِ، حَاضِرُ الْجَوَابِ، فَصِيحُ اللِّسَانِ. . . إِنَّهُ يَمْدَحُ نَفْسَهُ بِشَعْرٍ ثُمَّ يُعْطِيهِ لِمَنْ يُلْقِيهِ كَأَنَّمَا هُوَ شَعْرٌ قِيلَ فِيهِ مِنْ سِوَاهُ، فَهُوَ مُحِبٌّ لِلشَّاءِ لِدَرَجَةِ الْإِسْرَافِ، وَهُوَ مَزِيَّجٌ مِنْ عَقْلِ وَحُمْقٍ».

كل هذه الأمثلة محاولات يمكن أن تدرج تحت أدب المقالة.

أمّا المقالة في العصر الحديث فقد ارتبطت بظهور الصحافة، ونشأت في حضنها، وقد ذكر محمود نجم للمقالة أربعة أطوار، هي:

الطور الأول: يضم كُتّاب الصحف الرسمية، مثل رفاة رافع الطهطاوي، وميخائيل عبد السيد، وعبد الله أبو السعود، ومحمد أنسي، وتمتدّ حتى الثورة العرابية. وقد نشروا مقالاتهم في «الوقائع المصرية» و«وادي النيل» و«الوطن» و«روضة الأخبار» و«مرآة الشرق»، وتناولوا المواضيع السياسية، وتميز أسلوبهم بكثرة استخدام المحسنات البديعية والزخرف اللفظي.

الطور الثاني: تأثر بنشأة الحزب الوطني الأول، وبروح الثورة التي سبقت الحركة العرابية، وبالأدباء السوريين الذين استقروا في مصر، ولعبوا دورًا كبيرًا في تطوير المقالة. من أبرز كُتّاب هذا الطور: أديب إسحق، وسليم النقاش، وسعيد البستاني، وعبد الله نديم، ومحمد عبده، وإبراهيم المويلحي، ومحمد عثمان جلال، وعبد الرحمن الكواكبي، وبشارة تقلا. ومن أهم الصحف التي كتبوا فيها نذكر «الأهرام» و«مصر» و«الفلاح» و«الحقوق»، وقد تناولت مقالاتهم مواضيع اجتماعية، وقد تحللت من الصنعة اللفظية.

الطور الثالث: ظهرت في هذا الطور مدرسة صحفية حديثة، نشأت في عهد الاحتلال الانكليزي لمصر، من أبرز روادها: علي يوسف، ومصطفى كامل، وعبد العزيز جاويش، وولي الدين يكن، وسليم سرريس، ومحمد رشيد رضا، و خليل مطران، وأحمد لطفي السيد، كما ظهرت صحف ناطقة باسم أحزاب سياسية، فكان الزعيم مصطفى كامل الناطق باسم الحزب الوطني ينشر مقالاته في جريدة «اللواء»، وكان أحمد لطفي السيد يمثل حزب الأمة، وينشر مقالاته السياسية والفكرية في جريدة «الجريدة».

الطور الرابع: المدرسة الحديثة التي تبدأ بالحرب العالمية الأولى وبأحداث ثورة 1919 المصرية، وقد ظهرت في هذه الفترة صحف تركت أثرها في كتابة المقالة مثل جريدة «السفور» لعبد الحميد حمدي، و«الاستقلال» لمحمود عزمي، وقد شارك في تحريرها طه حسين، وجريدة «السياسة» لمحمد حسين هيكل، وكانت ناطقة باسم حزب الأحرار الدستوريين، وجريدة «البلاغ» لعبد القادر حمزة، وجريدة «الأُسبوع» لإبراهيم عبد القادر المازني، وقد تناولت المقالة في هذا الطور مواضيع سياسية، وتميز أسلوبها بالوضوح والدقة.

وواضح أنّ هذه الأطوار تركّز على تطور المقالة في مصر، وقد أشار محمود نجم نفسه إلى أنّ المقالة الصحفية في لبنان كانت أسرع تطوراً من المقالة في مصر.

ومنذ ذلك الوقت قطعت المقالة، على اختلاف أنواعها، شوطاً كبيراً، فصار لكل بلد كُتّابه، وتنوّعت موضوعات المقالة، وقضاياها، وتطورت أساليبها، وصارت المقالة من أكثر أشكال الكتابة شيوعاً وانتشاراً.

ولا شكّ أنّ لكتابة المقالة أصولاً يلتزم بها الكُتّاب، منها: تحرّي الدقة في نقل المعلومات، والموضوعية في عرض وجهات النظر، والصدق والعدالة، وعدم التحيز، واللغة السليمة المشرفة الواضحة.

كما أنّ المقالة قد تتنوّع بحسب الغرض من كتابتها، فالمقالة الإقناعية ستختلف بالتأكيد عن مقالة سردية يحكي فيها الكاتب عن موقف مرّ به ليشير، بعد ذلك، إلى أمر يود أن يلفت نظر القارئ إليه؛ ففي الأولى سيستخدم الكاتب الأدلة والحجج لدعم وجهة نظره التي يود أن يقنع الكاتب بها، أما في الثانية فسيستخدم البناء القصصي، وهكذا.

وعلى الرغم من التنوّع اللانهائي لمضامين المقالات وطرائق عرضها، إلا أنّ الأصالة تعدّ شرطاً أساسياً من شروط المقالة الناجحة، ونعني بالأصالة أن تعكس المقالة روح كاتبها، وفكره، فهي ليست حشداً من المعلومات، وليست نقلاً حرفياً للوقائع، بل هي وجهة نظر خاصة، تستحق أن تُقرأ، وقد نالت هذا الاستحقاق من مصداقية كاتبها، ونزاهته، وثقافته.

العتابُ صابونُ القلوب! ميخائيل نعيمة

هذا مثلٌ شائعٌ تتناقلُهُ الألسُنُ مِنْ أقدمِ الأزمانِ، وهوَ كغيرِهِ مِنَ الأمثالِ يعبرُ تعبيرًا جميلًا عَنْ حكمةٍ عمليَّةٍ اكتسبَتْها البشريَّةُ بِالاخْتِبَارِ الطَّوِيلِ عَلَى مَدَى الأجيالِ، والحكمةُ فِيهِ أَنَّ اثْنَيْنِ تنافَرَ قلوبُهُما لِسَبَبٍ مِنَ الأسبابِ، إِذَا هُمَا اجتمعَا فيما بعدُ، وتبادلا وجهاتِ النَّظَرِ فِي الخلافِ الَّذِي بينهما، توصَّلا فِي النِّهَايَةِ إِلَى التفاهمِ والتَّقَارُبِ. فكأنَّهُما بالعتابِ قد غَسَّلا ما علقَ فِي قلبِ كُلِّ مِنْهُمَا ضِدَّ الآخرِ مِنْ أدرانٍ. فكانَ العتابُ لقلبيهما ما يكونُهُ الصَّابُونُ عادةً لِلقطعةِ القذرةِ، واليدِ الوَسْخَةِ، والجرحِ القائِحِ، والمندِيلِ المبلَّلِ بالعرقِ.

والعتابُ لِكَيْ يَكُونَ بِحَقِّ صابونِ القلوبِ، لا بدَّ مِنْ أَنْ يتبطَّنَ عَنْ نِيَّةٍ صادقةٍ فِي الوصولِ إِلَى تفاهمٍ وتقاربٍ، وإلَّا كانَ بارودًا لا صابونًا. فما أَكْثَرَ ما يَأْتِي العتابُ توسيعًا لِلخَرْقِ وزيادةً بِلَّةٍ فِي الطَّيْنِ! وَإِذَا النَّفْورُ البسيطُ يَنْقَلِبُ عداوةً ضاريةً، وَإِذَا الشَّقَّةُ الضَّيْقَةُ بَيْنَ قَلْبَيْنِ متنافرينِ تغدو هاويةً سحيقةً يتعذَّرُ مَدُّ جسرٍ فوقَها. وهكذا، فقولُهُم إِنَّ «العتابَ صابونُ القلوبِ» قولٌ يَتَضَمَّنُ شرطًا بَلْ شروطًا، فلا يجوزُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى إطلاقِهِ، وَلَكِنَّهُ يَسْتَقِيمُ معناهُ عَلَى الإِطلاقِ إِذَا نَحْنُ فِيهِمَا بِالعتابِ محاسبةً يُجريها اثنانِ برغبةٍ صادقةٍ، ونِيَّةٍ طاهرةٍ؛ لتصفيةِ ما بينهما مِنْ حسابٍ. ثُمَّ إِذَا نَحْنُ تَوَسَّعْنَا فِي فهمِهِ فجعلناه كذلِكَ محاسبةً بَيْنَ الإنسانِ ونفسِهِ، مثلما هُوَ محاسبةٌ بَيْنَ إنسانينِ أَوْ جماعتينِ مِنَ النَّاسِ.

وكيفما كانَ الأمرُ فالَّذي يَهْمُنِي مِنَ المثلِ هُوَ اعترافُهُ العلنيُّ بأنَّ القلوبَ فِي حاجةٍ إِلَى «صابونٍ». وَمَعْنَى ذلِكَ أَنَّها عُرْضَةٌ لِلأقذارِ عَلَى غرارِ ما هِيَ الوجوهُ والرُّؤوسُ والأيدي والأرجلُ وباقي ظاهِرِ البدنِ، وعلى غرارِ ما هِيَ الثَّيابُ الَّتِي نرتديها، والمناديلُ الَّتِي نَمْسَحُ بِها عَرَفَنا، ونَنْظِفُ أنوفَنا، والأدواتُ الَّتِي نَسْتَعْمِلُها لِلطَّهْوِ والأكلِ والشُّربِ، وغيرُها وغيرُها مِنَ الأشياءِ الَّتِي نَمْلَأُ بِها مساكنَنا وَالَّتِي إِذَا لَمْ نَتدارَكُها مِنْ حينٍ إِلَى حينٍ بِالماءِ والصَّابونِ، أَوْ بِالخِرْقَةِ والمَكْنَسَةِ، رَكَبْنَا الآفاتُ والحشراتُ، وفاحتْ مَنا، وَمِنْ مساكنِنا روائحُ التَّنَّزُّ والعَفْنِ.

وإنَّه لَفِي مُنتَهَى الغرابةِ حَقًّا أَنْ تَرى النَّاسَ - المتمدِّنينَ مِنْهُمُ عَلَى الأخصَّ - يَتهاكُونَ فِي

تنظيف أبدانهم وملابسهم ومساكنهم، ويحرصون أشدَّ الحرص على أن يكون كلُّ ما يأكلون ويشربون خاليًا من الغشِّ والوسخ، في حين لا يابهون بالقواذير التي في قلوبهم. فكأنَّ قلوبهم ليست منهم، وكأنَّ ما فيها من قذارة لا يتَّصل بهم من قريبٍ أو من بعيدٍ. فواحدُهم يُصعقُ خزيًا ويتمنى لو تنشقَّ الأرض وتبتلعهُ إذا أنت أبصرت قملةً ترعى في رأسه، أو بقعةً تدرج على وسادته، أو شعرةً في فنجانٍ قهوةٍ يقدمه لك، أو سوادًا تحت ظفريه، ولكنه لا يُبالي على الإطلاق بالثعابين والعقارب والديدان يُرييها في قلبه فتنهشه نهشًا، ولا بالجيف المكدسة في أفكاره، ولا بالعفن تحمله قطرات دمه إلى قلبه، ومن هناك توزَّعه في كلِّ ناحية من نواحي جسمه.

ويبالغ بعضهم في النظافة والأناقة، فيستحمُّ أكثر من مرّة في النّهار، ولا يطيق ذرة غبار على ثوبه أو حذائه، ولا يهناؤه نومٌ إلا بين ملاءتين طهرتهما الصابونة والشمس والهواء، أما أنه يسير بين الناس وفي قلبه مزابل، وفي فكره أكداء من الغبار، وأما أنه يأوي إلى فراشه النّظيف بروح تلبّد فيها الوسخ فذلك لا يقلقه في النّهار، ولا يزعجه في الليل.

ويمرض أحدهم فيبادر إلى فحص دمه؛ ليعرف إذا كان ملوّنًا بجرثومة من الجراثيم التي تُسبب طائفة من الأمراض الفتاكة كالتيڤويد، والملاريا، والسل، وفقر الدّم، وغيرها، حتّى إذا عرف نوع الجرثومة عالجها بالدواء الذي يظنُّ أنه يقضي عليها، فالجراثيم في الدّم هي أوساخ لا بدّ من القضاء عليها إذا نحنُ شئنا أن يبقى الجسم سليمًا، وإذن فالدّم النّقي هو شرطٌ أساسيٌّ من شروط العافية وسلامة البدن، ولكن الطّبيب الذي أدرك هذه الحقيقة ما أدرك بعد حقيقة أهمّ منها بكثير، وهي أن الدّم قابلٌ للتلوّث بجراثيم أشدَّ هولًا وفتكًا من الجراثيم التي تنقّف منها الأمراض، وهذه الجراثيم لا تُبصر (بالمكروسكوب)، ولا تُستطاع معالجتها بأيّ من العقاقير.

ما من نيّة نوبها، أو شهوة نشتهيها، إلّا يتلقّاها الدّم في الحال، فيمشي بها إلى القلب الذي يعود فيوزّعها على سائر الجسد مع كلّ نبضة من نبضاته، وهذه النيّات والأفكار والشّهوات من شأنها أن تترك رواسب في القلب، بعضها يتحوّل قذارة تتزّوج، وتتوالد فيها الجراثيم القتّالة، وبعضها يغدو للدّم بمثابة النور للعين، والأريج للأنف، والشّهد للسان.

إنّ دما تشحنه مكرًا ونفاقًا وبغضًا وجشعًا وحسدًا وثأرًا وما إليها، يستحيل أن يكون دما

نقيًا، والقلب الذي ينبض بهذا الدَّم قلبٌ قذرٌ من غير شكٍّ، وذلك القلبُ ما لم يُغسلْ بصابونِ الصِّدقِ والاستقامة والمحبة والرضا والتَّسامح والغفرانِ كانَ بؤرةَ فسادٍ للجسدِ الذي يحمله، وما أكثرَ ما تأتينا الأمراضُ من دمٍ أفسدناه بِنِياتِنا وأفكارِنا وشهواتِنا الفاسدة! فأحرِبنا، قبلَ أن نفحص الدَّم لنعرفَ ما فيه من جراثيمٍ خبيثة! أنْ نتفقدَ القلبَ؛ لنعرفَ بماذا شحنتاه من خبيثِ الميولِ والنِّياتِ والأفكارِ والشَّهواتِ. ويَقيني أنَّ النَّاسَ لو حرصوا على نظافةِ قلوبِهِمْ حرصَهُمْ على نظافةِ أبدانِهِمْ لأصبحوا في غنى عن الطَّبِّ والأطباءِ، وعن العقاقيرِ والصِّدليّاتِ.

أما قيلَ من قديمٍ إنَّ «السَّرَّ في السُّكَّانِ لا في المَكَانِ»؟ فما بالنا نهتمُّ بالمَكَانِ وتجميلِهِ وتنظيفِهِ، أما السُّكَّانُ فنهملُهُمْ كأنَّهُمْ ليسوا من الأهميَّةِ على شيءٍ؟ ما بالنا نُغالي في العنايةِ بالبدنِ الذي ليسَ أكثرَ من مسكنٍ، ولا نُلقِي بالآ إلى سُكَّانِهِ؟ وهل سَكَّانُ البدنِ غيرُ الأحاسيسِ والمشاعرِ والميولِ والأحلامِ والأفكارِ والشَّهواتِ التي لا تنفكُ تتوالدُ في كلِّ لحظةٍ من وجودنا؟ وهذه بعضُها نقيٌّ وطاهرٌ وجميلٌ كالمحبةِ والدَّعةِ ونكرانِ الذاتِ والصِّدقِ والرَّافةِ والغفرانِ. فعلينا أنْ نصونَهُ نقيًّا طاهرًا وجميلًا إذا نحنُ شئنا أنْ نحيا حياةً نقيَّةً وطاهرةً وجميلةً. وبعضُها قذرٌ وبشعٌ، كالْبُغْضِ والكبرياءِ والرِّياءِ والقسوةِ والحقدِ، فعلينا أنْ نغسلَ قلوبنا منه.

ألا لَيْتَنا نختِمُ كلَّ يومٍ من أيامِ حياتنا بمحاسبةٍ دقيقةٍ نجريها مع أنفسنا، فلا نستسلمُ للنومِ إلَّا بعدَ أنْ نغسلَ قلوبنا - قبلَ وجوهنا - من كلِّ ما تجمَّعَ فيها من أقدارٍ في خلالِ النَّهارِ: فلا تغمضُ أجفاننا على كُرهٍ لآيةٍ إنسانٍ سواءَ أكانَ مبعثُ ذلكَ الكرهِ اختلافًا في مذهبٍ دينيٍّ أم سياسيٍّ، أم في الذُّوقِ أم في المصلحةِ، ولا على حسدٍ أو ضغينةٍ لآيةٍ إنسانٍ، فالكُرهُ والحسدُ والضَّغينةُ - مهما يكنَ مبعثُها - أوساخٌ لا يليقُ بالقلبِ المؤمنِ بحقه في الحياة أنْ يُغذِّيها بدمِهِ، لأنَّها في النِّهايةِ تُفسدُهُ.

ألا لَيْتَنا نختِمُ كلَّ عامٍ من أعوامِ عمرنا بمحاسبةٍ شاملةٍ عن كلِّ ما ربحناه أو خسرناه من محبةٍ وصدقةٍ وإيمانٍ ومعرفةٍ ومناعةٍ رويَّةٍ في خلالِ ذلكَ العامِ، حتَّى إذا ما أطلَّ علينا العامُ الجديدُ استطعنا أنْ نستقبلَهُ بقلوبٍ مغسولةٍ من أدرانِ الضَّغائنِ والمخاوفِ والمخازي، ثمَّ استطعنا أنْ نقولَ لسائرِ الأكوانِ وللناسِ أجمعينَ: كلَّ عامٍ وأنتمُ بخيرٍ.

الدُّولُ بَيْنَ الابتكارِ أو الاندثارِ* صاحبُ السَّموِّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدٍ آلِ مَكْتومٍ

في الكتابِ الأخيرِ للتَّنَافُسِ الدَّولِيَّةِ الصَّادِرِ عَنِ المَعْهَدِ الدَّولِيِّ لِلتَّنْمِيَةِ الإِدَارِيَّةِ بِسُوَيْسِرَا، تَمَّ تَصْنِيفُ حُكُومَةِ الإِمَارَاتِ الحُكُومَةِ الأكثرَ كَفَاءَةً عَالَمِيًّا، وَلَا أُذِيعُ سِرًّا عِنْدَمَا أَقُولُ: إِنَّ السَّبَبَ الرَّئِيسَ لَتَفُوقِ أَدَائِنَا الحُكُومِيِّ هُوَ أَنَّنَا خِلَالَ سِنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ لَمْ نَتَعَامَلْ مَعَ مَوْسَسَاتِنَا الحُكُومِيَّةِ عَلَى أَنَّهَا جِهَاتٌ حُكُومِيَّةٌ، بَلْ عَلَى أَنَّهَا مَوْسَسَاتٌ خَاصَّةٌ تُنَافِسُ القِطَاعَ الخَاصَّ، وَتَعْمَلُ بِعَقْلِيَّتِهِ نَفْسِهَا، وَتَبْنِي أَفْضَلَ مِمَّا رَسَاتِيهِ، وَتَقَاسُ أَعْمَالُهَا وَخِدْمَاتُهَا بِمَعَايِيرِهِ نَفْسِهَا، بَلْ ذَهَبْنَا أَعْدَ مِنْ ذَلِكَ، وَبَدَأْنَا نَقِيسُ سَعَادَةَ مَتَعَامِلِنَا، وَنُصَنِّفُ مَرَاكِزَ خِدْمَاتِنَا وَفَقَّ أَنْظِمَةَ النُّجُومِ الفُنْدَقِيَّةِ المُتَعَارِفِ عَلَيْهَا عَالَمِيًّا، وَأَثْبَتِ التَّجَرِبَةُ نَجَاحَهَا، حَيْثُ ارْتَفَعَ أَدَاءُ مَوْسَسَاتِنَا، وَحَقَّقْنَا كَثِيرًا مِنْ أَهْدَافِنَا، وَلَعَلْنَا نَنَاقِشُ ذَلِكَ بِشَيْءٍ مِنَ التَّوَسُّعِ فِي القِيَمَةِ الحُكُومِيَّةِ القَادِمَةِ.

وَلَكِنْ شَرَكَاتِ القِطَاعِ الخَاصِّ تَمُرُّ بِدَوَرَاتٍ فِي أَعْمَالِهَا؛ فَهِيَ تَبْدَأُ صَغِيرَةً، ثُمَّ تَنْمُو، وَتَنْطَلِقُ وَتَكْبُرُ، ثُمَّ يَأْتِي مَنْ يُنَافِسُهَا وَيُطْلِقُ مَتَجَاتٍ أَفْضَلَ مِنْ مَتَجَاتِهَا، فَيَتَرَاوَعُ نَمُوُّهَا، وَيَتَضَاعَلُ حَجْمُهَا، وَتَقِلُّ أَهْمِيَّتُهَا، وَيُضَعَفُ تَأْثِيرُهَا، وَقَدْ تَخْرُجُ مِنْ دَائِرَةِ المُنَافَسَةِ، وَهَذَا مَا تُثَبِّتُهُ كَثِيرٌ مِنَ الدَّرَاسَاتِ، فَأَكْبَرُ 500 شَرِكَةٍ عَالَمِيًّا فِي عَامِ 1955 لَمْ يَبْقَ مِنْهَا اليَوْمَ إِلَّا 11٪. أَمَّا الـ 89٪ البَاقِيَةُ فَقَدْ خَرَجَتْ تَمَامًا مِنْ دَوْرَةِ الحَيَاةِ وَالتَّأْثِيرِ، بَلْ الْأَكْثَرُ إِدْهَاشًا فِي المَوْضُوعِ أَنَّ مُتَوَسِّطَ عُمرِ الشَّرَكَاتِ فِي تِلْكَ القَائِمَةِ سَابِقًا كَانَ 75 عَامًا، أَمَّا اليَوْمَ، وَفِي عَالَمٍ سَرِيعِ التَّغْيِيرِ وَالتَّغَاوُلِ، فَإِنَّ مُتَوَسِّطَ أَعْمَارِ الشَّرَكَاتِ فِي هَذِهِ القَائِمَةِ هُوَ 15 عَامًا فَقَطْ؛ لِأَنَّ المُنَافَسَةَ اشْتَدَّتْ، وَالمَتَجَاتِ تَغَيَّرَتْ، وَالمَجْتَمَعَاتِ تَطَوَّرَتْ.

وَالسُّؤَالُ هُوَ: هَلْ يُمْكِنُ تَطْبِيقُ التَّفَكِيرِ نَفْسِهِ عَلَى الحُكُومَاتِ؟ هَلْ تَشِيخُ الحُكُومَاتِ وَالدُّولُ وَتَتَأَخَّرُ مَعَ مَرُورِ الزَّمَنِ؟ هَلْ تَبْدَأُ قَوِيَّةً وَتَكْبُرُ، ثُمَّ يَأْتِي مَنْ يُزِيحُهَا مِنْ مَرَاكِزِهَا فَيَتَرَاوَعُ، وَيَقِلُّ نَمُوُّهَا حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ دَائِرَةِ المُنَافَسَةِ؟ لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدًا يُمْكِنُ أَنْ يَخْتَلِفَ مَعِيَ عَلَى الإِجَابَةِ: نَعَمْ الحُكُومَاتُ تَشِيخُ، وَتَشِيخُ مَعَهَا دَوْلُهَا وَشُعُوبُهَا أَيْضًا، وَتَتَرَاوَعُ أَهْمِيَّتُهَا، وَيَقِلُّ تَأْثِيرُهَا، فَتُصْبِحُ خَارِجَ دَائِرَةِ المُنَافَسَةِ وَالاَعْتِبَارِ، أَوْ لِنَقُلْ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى خَارِجَ دَائِرَةِ التَّارِيخِ.

وَلَكِنْ لِنَكُنْ إِيْجَابِيَيْنِ - مَعَ الاسْتِمْرَارِ فِي تَطْبِيقِ نَظَرِيَّتِنَا فِي التَّعَامُلِ مَعَ الحُكُومَاتِ كَشَرَكَاتٍ -

ولنركز على الـ 11٪ من الشركات التي بقيت في القائمة، ولنسأل أنفسنا كيف استطاعت البقاء في المنافسة؟ وما السر في طول شبابها وتجدد طاقاتها؟ نسأل هذا السؤال حتى تبقى دولنا وشعوبنا أيضاً ضمن سباق التنافس الدولي، أو لنقل لتبقى في سباق الحضارة الإنسانية، وضمن تاريخ الأمم والشعوب التي تشكل العالم اليوم، وتصيغ مستقبله.

لا أشك لحظة واحدة في قدرات عقولنا البشرية، فقد خلقنا الله لعمارة هذه الأرض، نحن خلفاء الله في أرضه، وركب فينا سبحانه من الذكاء والقدرات الذهنية والدوافع النفسية ما يجعلنا صالحين ومؤهلين لهذه المهمة العظيمة، مهمة تحتاج عقولاً متطورة ومتعلمة ومتجددة ومبدعة ومبتكرة.

لو لم يتكرر الإنسان الزراعة لما قامت حضارة، ولو لم يكشف فوائد النار لما تطورت تلك الحضارة، ولو لم يتكرر العجلة أو الكهرباء أو الإضاءة أو المحركات أو غيرها لما تقدمت الإنسانية، ولو لم يتكرر الإنسان (الإنترنت) أو الهاتف الذكي لما وصلنا إلى ما نحن فيه اليوم. سر تجديد الحياة، وتطور الحضارة، وتقدم البشرية هو في كلمة واحدة: الابتكار! وأستغرب من بعض الحكومات التي تعتقد أنها استثناء من هذه القاعدة. الابتكار في الحكومات ليس ترفاً فكرياً، أو تحسيناً إدارياً، أو شيئاً دعائياً؛ الابتكار في الحكومات هو سر بقائها وتجديدها، وهو سر نهضة شعوبها وتقدم دولها.

إذا لم تتكرر الحكومات في طرائق التعليم مثلاً، وتعد جيلاً جديداً لزمان غير زمانها فحتماً ستشيخ تلك الحكومات، وحتماً ستتأخر شعوبها. في دراسة حكومية أميركية أجريت مؤخراً تبين أن 65٪ من الطلاب في مرحلة رياض الأطفال سيعملون في وظائف غير موجودة حالياً، بل سيتم استحداثها. وفي دراسة لجامعة (أكسفورد) تبين أن 47٪ من الوظائف الحالية في جميع المجالات الرئيسية ستختفي بسبب التقدم التقني والتكنولوجي حيث ستحل الأجهزة محل البشر، وذلك خلال عقد من الآن فقط! والسؤال هو: كيف نجهز أجيالنا وأبنائنا لذلك الوقت؟ وكيف نعد دولنا للمنافسة ليس الآن، ولكن بعد عقد أو اثنين من اليوم؟ الإجابة تكمن في الابتكار، وأن نعلم أجيالنا مهارات التفكير الإبداعي ومهارات التحليل والابتكار ومهارات التواصل والتفاعل، وإلا فإننا نخاطر بحكومات، بأن تتأخر شعوبنا، وتتأخر نهضتنا، أو بكلمة أخرى أن تشيخ دولنا.

إذا أردنا أن نكون حكومات مبتكرة فلا بُدَّ أن نُفكّر كشركات مبتكرة. وهنا سؤال لا بُدَّ أن نطرحه على أنفسنا أيضاً: ما هو الأهم للحكومات؟ أن تستمر في الصّرف بشكل مكثّف على البنية التحتيّة من شوارع وطرق وأنفاق وجسور وغيرها؟ أم أن تهتمّ بالصّرف على البنية التحتيّة غير المريّة من تغيير في الأنظمة، وتطوير في التعليم والمهارات، وبناء للتطبيقات، وإجراء الأبحاث والدّراسات، ودعم الابتكارات؟

تُخبرنا الدّراسات بأن أكبر 500 شركة عالميّة قبل 40 عاماً كانت أصولها المريّة تمثّل 80٪ من إجمالي الأصول، لكن اليوم أصبحت الأصول غير المريّة كالأبحاث والدّراسات والاختراعات تمثّل أكثر من 80٪ من إجمالي الأصول في قائمة الشّركات الـ 500 الأولى عالمياً. وأنا أقول: إذا أرادت الحكومات أن تبقى في دائرة المنافسة العالميّة والّا تشيخ فلا بُدَّ أيضاً أن تحذو حذو تلك الشّركات، وأن تبدأ بإعادة التفكير في ميزانيّاتها وأين تصرّف أموالها؛ فتقليد القطاع الخاص لا يكون فقط في الخدّمات، بل حتّى في طرائق صرف الميزانيات وأولويّاتها.

وليس سرّاً أن حكومات أميركا وأوروبا تصرّف مجتمعة سنوياً أكثر من 250 مليار دولار من الأموال الحكوميّة على الأبحاث والتّطوير؛ لتبقى في مواقع الرّيادة العالميّة، وليس خافياً على أحد أيضاً أن سرّ تطوّر دول مثل سنغافورة وماليزيا وكوريا الجنوبيّة خلال فترة قصيرة هو تأجيل الصّرف على البنية التحتيّة، وتركيزها الكبير على تطوير التعليم وبناء مهارات ومعارف شعوبها، أي البنية غير المريّة. بل إن دولة مثل بريطانيا تصرّف من ميزانيّتها سنوياً على البنية التحتيّة غير المريّة - كاستحداث الأنظمة والتّدريب والأبحاث والتّطوير - أكثر ممّا تصرفه على البنية التحتيّة المريّة من شوارع وأنفاق ومبانٍ وغيرها (124 مليار جنيه مقارنة بـ 93 مليار جنيه حسب أرقام 2009).

عندما تكون الحكومات مبتكرة فإن بيئة الدّولة تكون كلّها مبتكرة، وعندما تشجّع البيئة على الإبداع والابتكار تطلق طاقات الناس نحو آفاق جديدة، وتتفتّق مواهبهم، ويصبح تحقيق أحلامهم وطموحاتهم ممكناً، وهذا أحد أسرار نجاح الدّول التي تشجّع شعوبها على الابتكار. وفي العالم الذي نعيش فيه اليوم، والذي أصبحت فيه حركة العقول والمواهب والمعلومات مفتوحة كما لم يحدث في تاريخ البشريّة من قبل، أصبحت مدن العالم

المختلفة تتنافس لتوفير البيئة الأذكى والأكثر إبداعاً؛ لاستقطاب هذه المواهب والاستفادة منها؛ لبناء قوتها وتميزها وزيادة تنافسيتها.

الحكومات المبتكرة هي حكومات جاذبة للمواهب، فعالة في الأداء، متجددة في الأنظمة والسياسات والخدمات. الحكومات المبتكرة هي القاطرة الأساسية لنهضة الشعوب، وتقدم الدول وارتفاع شأنها. الحكومات المبتكرة تطلق طاقات الشعوب، وترفع من قيمة عقل الإنسان، وتحقق الحكمة الربانية في أن نكون خلفاء الله في أرضه.

الابتكار هو أن تكون أو لا تكون: أنا حكومة مبتكرة، إذا أنا حكومة موجودة.

(الفييس بوك) والعقل الجمعي*

د. موزة أحمد راشد العبار

ما أكثرَ الأحاديثَ والرواياتِ والتفاعلاتِ التي تدورُ حَوْلَ مواقعِ التّواصلِ الاجتماعيّ! وخاصّةً «الفييس بوك» بسببِ تأثيره المباشرِ في الحياةِ الاجتماعيّةِ على الصّعدِ جميعِها: المحليّةِ، والإقليميّةِ والدوليّةِ.. نتيجةَ الكثافةِ البشريّةِ التي تطلُّ يوميّاً، وعلى مدارِ السّاعةِ على موقعِ «الفييس بوك» الذي تحوّلَ إلى أكبرِ موقعٍ على الشّبكَةِ الدوليّةِ المعلوماتيّةِ «الإنترنت»، بل صارَ أضخمَ منصّةٍ رقميّةٍ اجتماعيّةٍ... ونقولُ: «اجتماعيّة»، بسببِ تمدّدِ أعدادِ الباحثينَ عن فرصٍ للتّواصلِ الاجتماعيّ معَ أقاربَ ومعارفَ وأصدقاءٍ، ينتشرونَ على سطحِ الكرةِ الأرضيّةِ، ويعيشونَ في القارّاتِ الخمسِ.. وتفصلُ بينهم آلافُ الكيلومتراتِ، لكنّهم عبرَ هذا الموقعِ المدهشِ يتلاقونَ.. يتحاورونَ. ويشاهدُ بعضهم بعضاً على نحوٍ لم يكنْ يدورُ في خاطِرِ أحدٍ. وتشيرُ التّقاريرُ المنشورةُ إلى أنّ عددَ مستخدمي «فييس بوك» يبلغُ نحوَ ما يقاربُ ملياري مستخدمٍ نشطٍ، وأنَّ إيراداتِ هذا الموقعِ المثيرِ للجدلِ، لا تقلُّ عن 2.9 مليار دولارٍ للعامِ، يأتي معظمُها من الإعلاناتِ التجاريّةِ والدّعائيّةِ..

لقد أصبحَ موقعُ (Facebook) محطَّ أنظارِ ملايين البشرِ، إذ يتيحُ لهمَ فرصَ مشاهدةِ الصّورِ، وتعرّفَ تفاصيلِ حياةِ الآخرِ، وقراءةِ الكتبِ، ومتابعةِ المواقعِ الجغرافيّةِ والخرائطِ. وهكذا صارَ (فييس بوك) خلالَ أعوامٍ قليلةٍ تجربةً اجتماعيّةٍ إلكترونيّةٍ متكاملةً، بل صارَ قاعدةَ بياناتٍ واسعةً تحفلُ بالعديدِ من الصّورِ والسّيرِ الذاتيّةِ، عن النّاسِ من جنوبِ إفريقيا عبوراً لأستراليا وصولاً إلى (كراكاس) وأعالي مرتفعاتِ (كلمنغارو) في تنزانيا على حدودِ كينيا.. وهذا الانتشارُ اللَّافَتُ للنّظرِ لموقعِ «الفييس بوك»، حوّلَهُ إلى جوازِ سفرٍ دوليٍّ عابرٍ للقارّاتِ، دونَ أدنى حاجةٍ للحصولِ على تأشيراتِ دخولٍ.. وبموجبِ هذا الجوازِ الافتراضيّ أصبحَ بالإمكانِ الدّخولُ إلى مواقعٍ اجتماعيّةٍ أخرى تمكّنُ التّواصلَ والتّقاربَ بينَ النّاسِ.. كلّ النّاسِ!

في مقالٍ مترجمٍ لـ (بي جيه فوغ) الباحثِ الاجتماعيّ في جامعةِ (ستانفورد) الأميركيّةِ، أبانَ: أنّه يدرسُ الكيفيّةَ التي يؤثّرُ بها موقعُ «الفييس بوك» في السّلوكِ الإنسانيّ لدى الأفرادِ

والجماعات، بغض النظر عن فوارق النوع أو الجنس أو الأصل العرقي.. فتبين له وكأنّ «الفيس بوك» صار أشبه بسفينة «تيتانك»، يصعد إليها نصف مليار شخص.. يتسع المركب لهم جميعاً.

وبصعودهم يبدؤون الدردشة والتعارف وتبادل الآراء والأفكار بشتى لغات العالم.. ويضيف: في مثل هذا التجمع الغوغائي تناغم وتتلاقى وجهات النظر في العديد من القضايا الكونية.. كإصحاح البيئة، ومكافحة القرصنة الدولية، وسبل التصدي للكوارث، ومجابهة جرائم المعلوماتية والملكية الفكرية.

وهناك حقوق المرأة والنوع الاجتماعي.. وهكذا يتخلّق «عقل جمعي» من جراء تفاعل عقول أفراد يتمون إلى جنسيات وثقافات مختلفة، لكنهم يعيشون ويتقاسمون هموماً مشتركة.. كالإحساس بالإحباط والشعور بالعدمية والضيق والدونية.. بسبب البطالة ونفسي أمراض اجتماعية عدّة، كالشعور بالوحدة، والاغتراب، وغيره.

لقد أتاح هذا الموقع فرصاً لم تكن معروفة، ولا وجود لها إلا خلال الأعوام العشرة الماضية، وهي السنوات التي انقضت على إنشاء هذا الموقع المدهش.. وهناك شبهة إجماع على رأي مفاده: أنّ (FaceBook) استطاع خلال هذه السنوات أن يستحدث نسيجاً اجتماعياً لم يكن له وجود، بل أعاد تشكيل الواقع الاجتماعي من منظور «ديجيتال».. أي رقمي كوني.. وذلك بخلق رؤية جديدة للصورة الرقمية.. فلم تعد ثمة حاجة إلى «تحميض» الفيلم المصور، بل صار بالإمكان عبر شبكة (الفيس بوك)، تحميل (Loading) أكثر من ثلاثة مليارات صورة على الموقع كلّ شهر، يمكن بثها في ثوانٍ إلى أي مكان في العالم باستخدام الهواتف النقالة أو الهواتف الذكية..

لقد أحدث هذا الموقع ثورة فكرية وثقافية وعلمية، بل استطاع تجاوز مراحل التطور الاجتماعي إلى الأبد عبر طريق للمراحل الحضارية التي كان بوسع الإنسان المضي في اتجاهها.

ولم يعد (الفيس بوك) أكبر موقع لتبادل الصور على شبكة (الإنترنت) فحسب، بل صار بوسع الناس التواصل والترابط والتفاهم معه بالصورة.. فلم تعد ثمة حاجة للفرد للسفر إلى شاطئ (البهاما) لالتقاط صور للحظة غروب الشمس على شاطئ المحيط.. بل باستطاعته

أن يرى بوضوح كل مرافق (الكاريبي) السياحية، وكأنه كان يتجول في أرجائها قبل ساعة. وهكذا ذهب موقع «الفييس بوك» بالناس إلى أبعد ما كانوا يحلمون به، وصار تجاوز المكان والزمان رهناً بالضغط على شاشة «أي هاتف ذكي»، إذ صار «الفييس بوك» أكبر موقع اجتماعي على الشبكة المعلوماتية.. وصار ضرورياً البحث عن تعريف جديد للأمية الحضارية، فلم يعد الإنسان أمياً إذا لم يعرف القراءة والكتابة.. بل صارت الأمية الرقمية حالة تستوجب إمعاناً.

والسبيل الأمثل أن يتم نشر مراكز لمحو الأمية الرقمية، لمن يريد القضاء على التخلف الحضاري أو التخلف الرقمي إذا صح التعبير.. ومن ثم ينضم إلى مجتمع المعرفة.

لقد استطاع هذا الموقع أن يغير في السلوك المجتمعي لملايين من سكان هذا الكوكب، باستحداث مفاهيم للسياحة الاجتماعية عبر السفر إلى الأماكن واللازمان.. وبسبب هذه النقلة الرقمية المذهلة، تحول الناس وبسرعة فائقة من عالم «الإنترنت» الذي لا تعرف فيه من أنت، إلى عالم تعرف فيه الشبكة المعلوماتية بالضبط من أنت.. ومع كل هذا الزخم، يقول لنا القرآن الكريم: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: 85) صدق الله العظيم..

الطبيعة مدرسة دائمة*

رشدي المعلوف

المدرسة التي أعني هنا ليست الجامعة، وإن تكن الجامعة ضرورية لتنظيم العقل، وإكساب الطريقة، وإعطاء الاختصاص، وبلورة الشخصيات بالمقابلة، وتبادل الآراء، ونسج الصداقات. وهي ليست الحياة الاجتماعية، على ما في تلك من دروس وامتحانات، وإن أتت على يد أسوأ الأساتذة أحياناً.

المدرسة التي أعني، هي التي ينبغي أن نتخذها اليوم وسيلة للتقرب إلى الله.

المدرسة التي أعني هي الطبيعة، المدرسة الدائمة، مدرسة المدارس، ونبع ينباع عند التحدث عن مناهل المعرفة. فالطبيعة هي المدرسة التي ينبغي أن تسبق كل مدرسة، وترافق كل مدرسة، وتستمر بعد كل مدرسة؛ لأنها المدرسة التي تُعلم كل إنسان كل شيء. ويتعلم من خلالها؛ لكي يحقق إنسانيته، ويصبح صديق الطبيعة كما أرادته الله أن يكون.

وما أحب أن أقوله لكم، أيها الطامحون بإخلاص إلى إكمال شخصياتكم، وإلى خدمة بلادكم ومدنيتكم عن طريق تزويدها بأناس قد اكتملت إنسانيتهم، وتلك أكبر خدمة، هي أن تسجلوا أسماءكم في مدرسة الطبيعة.

فالطبيعة تقدم في كل لحظة إلى كل طالب معرفة فوق ما قدمت لـ(إسحق نيوتن) حتى عرف نظام الجاذبية، وفوق ما قدمت لـ(دوناتللو) حتى اعتبر مكتشف الكنز الأكبر في نظر أعظم نهضة إنسانية عرفها التاريخ.

انظروا إلى الشجرة كيف تعطي ثمارها بصمت ونعمة، دون أن تسأل من الذي أخذ. انظروا إليها كيف تتطلع دائماً إلى فوق، وكيف يزيد ارتفاعها بنسبة ما يزيد عمقها.

انظروا إلى الزهرة كيف تبدو دائماً جميلة، دون أن تتكبر، ودائماً أنيقة دون أن تُباهي، وكيف تكون ألوانها أبداً منسجمة، دون أن يكون فيها تعنت أو ادعاء. وكيف يضوع طيبها باستمرار دون أن يتخذ صفة «الهجوم»..

تأملوا حشمة البنفسجة، وطهارة الزنبقة، وتواضع الأقحوان، ورقة البيلسان، وتأملوا الجو
الناعم الذي تخلقه الورد.

تعلموا من القمم كيف يكون الوقار، ومن جذوع الأشجار كيف يكون الرسوخ في الخير،
ومن جذورها كيف تكون التضحية في سبيل الغير.

تعلموا من الأوراق كيف يكون السحر في تحويل النار إلى حياة وفيء، ومن السنابل كيف
يكون العطاء والوفاء.

تعلموا من النحلة ماذا تفعلون، ومن النملة كيف تدأبون، ومن الفراشة إلى أين تذهبون،
ومن القبرة كيف تنظرون إلى الحياة، تعلموا من النسر كيف يكون فرض الاحترام. ومن
النسمة كيف يكون شمول المحبة، ومن الأنهار كيف تكون الخدمة، ومن الأمواج كيف
تكون المثابرة، ومن الفصول كيف يكون النظام.

تعلموا من الجبال فضيلة الصمود، ومن الآفاق نعمة الصلاة، ومن البحار روعة التسامح
والغفران.

تعلموا من النور كيف تكون الصراحة، ومن الظلمة كيف يكون العمق، ومن القمر كيف
تعكسون على غيركم ما تأخذونه مما هو جميل ونافع، ومن الهدأة كيف تكونون مصدر
وحي وتأمل. ومن الفجر كيف تجلبون للآخرين الأمل والبهجة.

كيف أنقذتني الكتابة *

سلطان العميمي

الكلمة أوكسجين الحياة لذلك، عندما سألوني لماذا أكتب؟ أجبتهم: كي أتنفس وأعيش، وأمدّ غيري بالفرصة نفسها.

أقول هذا دون أن أفصل الكتابة عن القراءة، فالكتابة بحاجة إلى وقود مستمر، وأحد المصادر التي تمدّ الكاتب بالطاقة المتجددة هو القراءة، وكلّما قرأت أكثر، كتبت أكثر؛ لنشكّل كتاباتك وقودًا لكتاباتي غيرك.

لقد عشت حياة جديدة مع كلّ كتاب قرأته، ومع كلّ معلومة قرأتها واستفدت منها، أدركت قيمة الكتابة وأهميتها أكثر، وأدركت أن مساحة الجهل في داخلي تمّ مسحها؛ لتحلّ مساحة من الضوء، وأن أرضاً جديدة في داخلي تمّ استصلاحها وزراعتها بمعلومات وأفكار جديدة.

لقد أنقذتني القراءة من الضياع، ومن تسليم عقلي وأفكاري لمن لا يحترم ذاتي وإنسانيّتي واحتياجاتي الحقيقيّة، وعندما دخلت عالم الكتابة، كنت أضع في ذهني جيّدًا ضرورة ردّ الجميل لكلّ من أنقذني من الجهل، بإكمال مشوار الكتابة معهم، ومشاركتهم عناء المحافظة على الإنسانية من أشكال الجهل والهمجية كافّة.

عندما دخلت عالم القراءة، امتلكت عيون الآخرين، ونظرت من خلالها إلى الحياة من زوايا جديدة، مررت بأحاسيسهم، وأنقذني كثير من الكتب من الوقوع في فخّ الحزن، وألقت بي كلمات كتّاب كثيرين في بحور من السعادة والأمل والتفاؤل، لذلك أردت أن أهب لغيري عينيّ اللتين تشكّلان زاوية رؤيتي للحياة، فكتبت.

كتبت كي أجعل الأشياء أكثر وضوحًا، وأقرب إلى حجمها الحقيقي، لا كما نتصوّر أحيانًا أنّها أكبر أو أصغر من حجمها في الواقع، أمّا تلك التفاصيل التي يمرّ عليها الناس دون انتباه أو يتحاشون الحديث عنها، فقد اقتربت منها أكثر، وكتبت عنها علنيّ أوفرّ عليهم عناء البحث عن وصف أو تفسير لها، أو أخفّف عنهم شيئًا من الحزن الذي رمت به ظروف الحياة نحوهم، علنيّ أزرع نبتة تفاؤل في أرضهم، فأنا أو من أنّه لا توجد أرض غير صالحة

(*) أسطورة الكتابة: كتاب ينقذ طفلًا، مجموعة من الكتاب، الدار العربية للعلوم الناشرون، ط1، 2015. ص: 69-72

للزراعة، وكل ما نحتاجه هو معرفة طبيعة هذه الأرض، وكيفية استصلاحها.

لذلك أتمنى منك أنت أيضًا أن تكتب؛ لتكتشف أن الكتابة ليست إلا وجهًا من أوجه الصداقة، فكتابائك ستصل إلى أشخاص قد يعجبهم ما كتبت؛ لتصبح صديقًا جديدًا لهم ولأفكارهم، يعرفونه أكثر مما يعرفهم، وهكذا حال من يؤلف كتابًا، إنه كمن يطلق كتابه كحمامة، تُرفرف بأوراقها وأفكارها وصياغاتها، فتلقفها أيدي الناس وعيونهم وعقولهم؛ لتحلّق فيها ومعها، وقد تحلّ على أغصان تفكيرهم وتعشش، أو لا تجد مقرًا لها فتغادر، وقد يتأملون في بادئ الأمر وجه غلاف هذا الكتاب كما يتأملون شخصًا يرونه لأول مرة، أو يتوقفون أمام عنوانه، ثم يتصفّحون أوراقه؛ ليبحثوا عن خباياه ومكوناته، وفي حقيقة الأمر هم يبحثون عنك أنت أيها الكاتب، عن أفكارك ورؤيتك.

اكتب، وتذكّر أنك تخلق عالمك الخاص، الذي تدعو القراء للدخول فيه من أوسع أبوابه، فتسمح لهم بالجلوس والاسترخاء، مُسلمًا إياهم مفاتيح أبواب التفكير والنقاش.

عن أي مفاتيح أتحدث؟

أتحدث عن مفاتيح الكلمات والصياغات والأفكار، سلّمهم ما قد يفتح الأبواب والنوافذ المغلقة في داخلهم، فهناك شمس مشرقة خلف الجدران، وهناك من البشر من يظن أنه لا وجود لهذه الشمس إلا في الخيال، أثبت بكلماتك لأولئك اليائسين أن ثمة نورًا وهواء في الخارج، يمكن معهما التنفس ورؤية الأشياء بألوانها الحقيقية، وأنهم قادرون على التحرر من السجون التي بنوها في داخلهم، وحسبوا أنفسهم فيها.

اكتب كي تلون حياة البشر، كي تلون ضحكات الكبار والصغار، كي تجعل لحظاتهم أكثر إشراقًا.

اكتب كي تقول للعالم إنك قادر على أن تمنح المحبة والسلام للجميع، وإنك ضد الحرب، ضد الكراهية، ضد الحزن، ضد الجهل واليأس، فهذه الأشياء لا تعمّر أوطانًا، بل تدمرها، وتدمر الإنسان معها، ويبقى العلم والكتاب من أهم الأدوات التي تُبنى بها الأوطان والإنسان معًا.

إن الكتابة أحد أفضل طرائق التعبير عن الإنسان الذي يسكن في داخلك، وعندما تكتب

كَلِمَاتٍ ذاتِ تأثيرٍ إنسانيٍّ، فإنَّكَ تصبِّحُ كَمَنْ يُلْقِي بِسَطْلٍ ماءٍ على نارٍ صغيرةٍ، وعندما تُولِّفُ كتابًا، فإنَّكَ تصبِّحُ كَمَنْ يدفَعُ باختراعٍ يحولُ دونَ اشتعالِ النَّيرانِ في مكانٍ ما.

هل تعلمُ إذا أنَّ كتابَتَكَ يمكنُ أن تنقذَ أشخاصًا من الموتِ؟

في كلِّ يومٍ يوجَدُ أشخاصٌ، يموتُ في داخلِهِمُ الأملُ بغدٍ أجملٍ، وأشخاصٌ يموتُ الفرحُ في نفوسِهِمُ؛ لينبتَ محلُّهُ اليأسُ والحزنُ، ولكن بكتابتِكَ يمكنُكَ أن تحييَ ذلكَ الأملَ فيهِم، إنَّهُم في أمسِّ الحاجةِ إلى مَنْ يكتبُ إليهِم وعَنهُم، مَنْ يحكي حكاياتٍ تواسي حكاياتِهِم أو توازيها، مَنْ يرمي إليهِم بحبلِ نِجاةٍ، أو حتَّى بقشَّةٍ يتعلَّقونَ بها.

بكلماتِكَ يمكنُكَ أن تبنيَ جسرًا تعبُرُ بها نحوَ الآخرِ لإنقاذِهِ، أو تعبُرُ الآخرُ من خلالِها نحوَكَ ونحوَ العالمِ؛ ليعيشَ بشكلٍ أجملٍ.

بكلماتِكَ يمكنُكَ أن تساعدَ في تغييرِ لغةِ التَّخاطُبِ بينَ البشرِ؛ لتصبحَ أكثرَ تهذيبًا وتشذيبًا، وأكثرَ احترامًا للإنسانيَّةِ، وأكثرَ قدرةً على الغوصِ بعمقٍ في حقيقةِ الأشياءِ، وأكثرَ تمكُّنًا في فهمِ البشرِ وطريقةِ تفكيرِهِم وتعاملِهِم معَ الحياةِ التي يتمنَّونَ الخلودَ فيها.

إنَّ الكتابةَ جزءٌ منَ الخلودِ والديمومةِ، والكتابُ الذي تكتبُهُ يشكِّلُ نبتةً لكتابٍ آخرٍ قد يظهرُ على يدِكَ أو يدِ غيرِكَ، قد تطوَّلَ فترةٌ ولادَتِهِ أو تقصُرُ، لكنَّهُ في الأحوالِ جميعِها سيبقى حيًّا في كتاباتِ الآخرينَ، لا يتوقَّفُ عن التَّوالُدِ، وعَصِيًّا على الفناءِ.

الأعمدة الصحفية



العمودُ الصحفيُّ

يعدّ العمود الصحفيّ من أكثر أشكال الكتابة الصحفية انتشاراً، ومقروئية؛ وذلك لأنه يجمع بين قصر المساحة وواقعية القضايا التي يتحدث عنها، وملاصقتها لمشكلات المجتمع، وقضايا الناس.

ولذلك فالعمود الصحفيّ من أهم المصادر التي تمنح القارئ فكرة واسعة عن طبيعة المجتمع، وأهم قضاياها الحيويّة، فهو يشبه المرآة في أنه يعكس ما تمرور به الحياة في مجتمع من المجتمعات في فترة زمنية معينة.

ويمكن تعريف العمود الصحفيّ بأنه نوع خاص من نصوص الرّأي، ينشر بانتظام في صحيفة أو مجلة في مكان ثابت، وتحت مسمى ثابت، وبمساحة ثابتة لا تتغير، ويعبر عن فكر كاتبه، وشخصيته، وتوجهاته، ويكون الهدف منه -في الغالب- توعية القراء، أو مناقشة فكرة أو قضية يراها الكاتب مهمة.

ولعلّ أكثر ما يميّز به العمود الصحفيّ أنه ملتصق بكاتبه، يُسمّى باسمه في الغالب، ولذلك تكتسب الأعمدة الصحفية مكانتها من مكانة كاتبها، وما اشتهر به من فكر نيّ، وموضوعية في عرض القضايا ومناقشتها، وامتلاك لخاصية اللغة وأسرارها. ولذلك صار من المتعارف عليه في عالم الصحافة والنشر أنّ العمود الصحفيّ يعبر عن رأي كاتبه، وليس شرطاً أن يعبر عن موقف الصحيفة.

ولذلك يعرف بعضهم العمود الصحفيّ بأنه «حوار شخصي بين كاتبٍ وقراءه، يعبر الكاتب من خلال هذا الحوار عن اتجاهاته النفسية، ومكنوناته الداخلية، ويبدو واقعياً وصريحاً وذاتياً، ويروي ذكرياته وخبراته وتجاربه، ويقدم نصائحه».

وبسبب ارتباط العمود الصحفيّ بكاتبه، وانتظامه في الظهور في الصحيفة أو المجلة كل يوم أو كل أسبوع فإنّ نوعاً من علاقة المودّة والتقدير تنشأ بين الكاتب وقرائه، خاصة حين يحرص الكاتب على المصادقية في الطرح، والموضوعية في المعالجة، وأن يكون عادلاً وصادقاً، وأميناً وحريصاً على أن ينقل للقراء خلاصة تجربته أو فكره من دون تحيّز أو ميل.

وأهم سمات العمود الصحفي أنه يعبر عن فكرة واحدة مركزة، وأنه ينقل للقارئ خلاصة تجربة الكاتب، ومواقف مرّ بها انطلاقاً إلى الفكرة التي يود الكاتب أن يعبر عنها ويقنع القارئ بها. وغالباً ما يستعين الكاتب فيه بالأقوال والحكم والأمثال والاقتراسات.

ويمكن تقسيم الأعمدة الصفحية إلى نوعين كبيرين، هما:

1. الأعمدة المتخصصة: وهي التي يقتصر اهتمامها على مجال واحد فقط، كالمجال السياسي، أو الاقتصادي، أو الاجتماعي، أو الثقافي، أو الرياضي، أو الفني.
2. الأعمدة العامة: وهي التي يكتب صاحبها في معظم القضايا، وينوّع في الموضوعات التي يتناولها.

أما من حيث اللغة وأسلوب التناول فإنّ الأعمدة تتنوّع بتنوّع كتابها، فبعضهم يعتمد الأسلوب الجاد الرصين، وبعضهم يميل إلى الأسلوب الساخر، وبعضهم يميل إلى الافتتاح بالأسئلة، وبعضهم يحبذ البدء باقتباس أو ذكر موقف شخصي. وعلى الرغم من أنّ باب الاختلاف والتنوّع مفتوح على مصراعيه للكاتب إلا أنّه يفضل أن تكون لغة الكتابة لغة بسيطة، تعتمد على الجمل القصيرة، وتبتعد عن التعقيد والتّعقّر؛ لأنها موجهة -في الغالب- لكل شرائح المجتمع. ومع ذلك فإنّ التمسك بأصول الكتابة، والحرص على التدقيق والصحة اللغوية يعدّ أمراً يميّز كاتباً عن كاتب.

إنّ قراءة الأعمدة الصحفية ومتابعتها عن كثب تزيد من وعي القارئ، وتكشف له الكثير مما يحدث في مجتمعه، وتجعله على علم بمجريات الأمور، وتضعه أمام تنوّعات من وجهات النظر والأفكار والتجارب.

شَعْرَةُ يَرَاهَا الْعَالَمُ* مهرة بنت أحمد

يتحدّث كبار السنّ عن قصّة ضيفٍ كان يتناول الطّعام لدى أحد البُخلاء، فاستوقف البخيلُ ضيفه وهو يهيم بوضع اللقمة في فيه، وقال له: احذر؛ فهناك شعرة في لقمَتِكَ، فأنزل الضيف لقمته من يده، وقال للبخيل: إذن فأنت تنظرُ إلى لقمتي، وتراقبني كيف أكل، لا بارك الله فيك، ولا في طعامك، وقام حالفًا ألا يعاود الجلوس على مائدته بعد اليوم.

نعم، فقد كان مُجرّد النظر إلى لقمة الضيف عند تناوله الطّعام يُعدّ من الأفعال المُشينة، والكبائر التي قد يُعيّر بها الشخصُ لسنين طويلة، بل كان أجدادنا يطفئون القناديل، أو ينقصون نورها بعد تقديم الطّعام لضيوفهم؛ ليأكل الجميع براحتهم، وبالمقدار الذي يشبعهم، دون خجل أو تحفّظ، أمّا اليوم فنشعل جميع الأضواء الموجودة، مُضيفين أضواء العدسات (فلاش السّناب شات)، غير أبهين بوجود بعض من يستنكرون أو يستغربون هذه الطّريقة غير المهذّبة في الضيافة، ونلاحظُ تكاثر هذه الظاهرة وتناميها في شهر الصّوم والموائد الرّمضانيّة العامرة، فلا تفلتُ حتّى صحوّن الطّعام المُهداة إلى الفقراء أو الجيران من العدسات.

تُخبرني إحداهنّ وهي تضحك، فتقول: «أعرفُ ما الذي سيُهديه لنا جيراننا من طعام قبل وصول الهدية؛ لأنني أتابع حساباتهم على السّناب»، فبالله عليكم أليس معيّا أن نترك تقاليدنا الرائعة، وإرث أولئك الأجداد الأكارم الذين كانت تُغضبهم شعرة، ونرمي كلّ تلك القيم لأجل الشهرة؟ لاسيّما وأننا لسنا وحدنا من ننظرُ إلى الشعرة في لقمة ضيوفنا اليوم، وإنما نصور تلك الشعرة، ونرسلها لمن حولنا، وللعالم أجمع.

مَتَى تَخْتَفِي ظَاهِرَةُ (السِّلْفِي) *

أحمد الحديدي

(السِّلْفِي) كما تُعرِّفها الموسوعات هي: «الصَّوْرَةُ الدَّائِيَّةُ» أو «الصَّوْرَةُ المُلْتَقِطَةُ ذاتِيًا»، وهي عبارة عن صورة شخصية يلتقطها صاحبها لنفسه باستخدام هاتف ذكيٍّ مُجهَّزٍ بكاميرا رقمية، ومن ثمَّ ينشرها على الشَّبكات الاجتماعية؛ لتسجيل حضوره في مكانٍ مُعيَّن، أو إلى جانب أشخاصٍ مُعيَّنين، أو للتعبير عن حالةٍ نفسيةٍ مُعيَّنة.

يتساءل بعضهم عن سبب انتشار ظاهرة (السِّلْفِي) بهذه الطريقة السريعة بين الناس جميعهم. لعلَّ ذلك يرجع إلى عفويتها، وعدم وجود الطابع الرسمي بها، والأهم أنَّ صاحبها هو مَنْ يلتقطها، وبالتالي يشعر بأنها من صنعه يديه.

هناك آراء معارضة لهذه الظاهرة الغريبة، والتي تؤكِّد أنها تشير إلى الإصابة باضطراب نفسيٍّ لدى «مُذْمِنِها»، وهو ما قد يرتبط بنوع من التَّرجسية المَرَضِيَّة، والأغرب هو ما أشارت له بعض الدراسات من أنَّ نسبة مُذْمِنِها تصل إلى 17 في المئة لدى الرجال، بينما لا تتعدى 10 في المئة لدى النساء.

لكن يبرز السؤال: متى تختفي ظاهرة (السِّلْفِي) من حياتنا؟ الإجابة ببساطة عندما نَمَلُّ من هواتفنا الذكيَّة التي اقتحمت حياتنا الاجتماعية والنفسية، وحوَّلنا إلى كائناتٍ فرديةٍ من الطراز الأوَّل، كلُّ ما نهتمُّ به هو الالتصاق بهذه الهواتف؛ كي نَرُدَّ على الآخرين، ونوثق حياتنا، ونقلها لهم دون أن نراعي مشاعر الخصوصية التي كُنَّا نتمتع بها من قبل. هذه الظاهرة ستختفي عندما يتخلَّى كلُّ منا عن تَرجِسيَّتِهِ، ويدوب في المجتمع بطريقةٍ حقيقيةٍ، وليس افتراضيةٍ كما يحدث الآن.

اعترافات في عام القراءة* عبدالله الشويخ

أعترف بأنني أرتبك، وأخرج من وضع علامة القراءة في بداية الكتاب لسبب لا أفهمه، هل من العيب أن يكون القارئ في الصفحات الأولى؟ مازلت أحبُّ الكتاب في حقيقة السفر حتى وصولي إلى عدد جيد من الصفحات، يجعلني أضع علامة القراءة بفخر في منتصف الكتاب؛ وكأنني أقول أنا هنا.. أنت لست محدث نعمة أدبية، ولست قارئاً طارئاً جذبته شجرة ميلادٍ مختلفة جاءت هذا العام وقد تزيّنت بالكتب!

أعترف بأنني لا أستطيع قراءة كتاب لا يزال ملصق السَّعَر مُثبتاً على غلافه الخلفي؛ ودائماً ما أقوم بعملیات - جراح - ورقية غاية في الدقة لإزالة ملصق السَّعَر، ولا أشعر بالراحة طالما بقي شيء من أثر الصَّنع، أعبتُ به باستمرارٍ إلى أن أنهي الكتاب.. لا أعرف لماذا أيضاً، ولكنني أعتقد بأن عقلي الباطن الذي يُخزنُ تلكم الكتب يرى أنه من المُعيب أن نُقدّر أثمانها بسعرٍ من أرقام عدّة.

أعترف بأنني لم أحب الكتب الإلكترونية قط، ومازلت أعشق العبارة المُملّة: «لملمس ورائحة الورق».

أعترف بأنني لا أزال أقفُ كطفلٍ أمسكته المعلمة وهو يأكل قبل موعد الفُسحة حين أطلبُ إلى إحدى المكتبات المشاركة في معارض الكتاب أن تمنحني قصّة للجيب سواء أكانت مرسومة كـ «ميكي»، أم مكتوبة كـ «المغامرون الخمسة»، أحسُّ بأن البائع يعرف عني كثيراً حينما أطلبها لأبنائي الصغار الذين لن تصل إليهم أبداً!

أعترف بأنني أشعرُ بالارتباك كلما أنهيتُ كتاباً؛ فمن جهة أريدُ الاحتفاظ به؛ لتكون عندي مكتبة جميلة تشبه تلك المكتبات العصرية على أغلفة (كاتالوجات) شركات الأثاث، ومن ناحية أخرى أريدُ أن يقرأها أصدقائي؛ كي نجدَ أمراً آخر للحديث فيه على مقهى كُنّا نحلمُ بأنه سيكون مقهى للمُثقفين ذا ناصية؛ فذهب المثقفون وبقيت الناصية!

أعترف بأنني كثيراً ما أخذتُ الكتب إلى أحلامي، فأضع نفسي مكان بطل الرواية، وأمارسُ

كُلُّ ما لا أَسْتَطِيعُ عَمَلَهُ في الواقعِ؛ حَتَّى أَنامَ بِأَحلامٍ ورديَّةٍ، وغلافٍ ممزَّقٍ، وصفحاتٍ صفراءَ، وعلامةٍ قِراءةٍ لا تَسْتحي منْ صفحاتِها الأولى!

كاتب وراء كاتب وراء كاتب * خالد السويدي

أعتقدُ أَنَّهُ مِنْ غيرِ المنطقيّ أبداً أن يتحوّل نصفُ أفرادِ المجتمعِ إلى كُتّابٍ ومؤلِّفينَ، وعندما لا يكونُ هناكُ منطوقٌ فبالأكيد أن هناكَ علّةٌ وخللاً، إذ إن ظاهرةَ عشراتِ المؤلِّفينَ الذينَ ظهروا لدينا فجأةً مِنْ حيثُ ندري ولا ندري جديرةٌ بالدراسةِ، وإن كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهَا لا تحتاجُ إلى دراسةٍ بقدرِ ما هي تحبُّطٌ وموضّةٌ و«برستيج» مِنْ بابِ نخوضِ مَعَ الخائضينَ، و«حشرُ مَعَ الناسِ عيداً»!

ظهرَ كُتّابٌ، وما هُم بِكُتّابٍ، يبحثونَ عَنِ الشُّهرةِ السَّريعةِ بأسهلِ الطُّرقِ، الكُتُبُ الَّتِي قرؤوها في حياتِهِمْ تُعدُّ على أصابعِ اليَدِ الواحدةِ، وربما لم يقرؤوا أيَّ كتابٍ، واكتفوا بتصفُّحِها بنظرةٍ سريعةٍ، فتوهّموا أَنَّهُمْ قراءٌ ومثقفونَ يمتلكونَ القُدرةَ على الكتابةِ والتأثيرِ.

ليسَ كُلُّ مَنْ أَصْدَرَ كِتَاباً يُمكنُ تصنيفُهُ بالأديبِ، ولا كُلُّ مَنْ شاركَ في ندوةٍ يمكنُ اعتبارهُ مثقفاً مِنَ المؤثِّرينَ، ولا يمكنُ لأَيّةِ شهيرٍ في مجالٍ آخرَ لا صلةَ لَهُ بالثقافةِ أن يتحوّلَ إلى كاتبٍ، هذه الألقابُ لا تُعطى ولا تُمنحُ بقدرِ ما تُكتسبُ مِنْ إبداعاتِ الشَّخصِ، وإسهاماتهِ الثقافيّةِ والأدبيّةِ وغيرها، على مرِّ السنينِ.

أن تتحوّلَ إلى كاتبٍ وأديبٍ ليسَ بسهولةٍ، كأن تملكَ مصباحَ علاءِ الدّين السَّحريّ لتطلُبَ إلى مارِدِ المصباحِ أن تتحوّلَ إلى أديبٍ يتحدّثُ عَنْهُ الملايينُ. يقولُ الأديبُ توفيقُ الحكيمِ: «الأديبُ الحقُّ هو الَّذي يجعلُكَ تُدركُ عمقاً جديداً كُلِّما أعدتَ قراءةَ الكتابِ».

الكتابةُ والكتبُ نافذةٌ على ثقافاتٍ مختلفةٍ، نتعلّمُ مِنْهَا الدُّروسَ والعِبَرَ، ونطلّعُ فيها على تجاربٍ غيرِنا، نأخذُ ما يفيدُ، ونتركُ ما لا ينفعُ، قد نجدُ فيها كثيراً مِنَ الأشياءِ الَّتِي لا توافقُ هوانا، نخدشُ حياءَ بعضِ مَنّا، نرفضُها رغمَ أَنَّها جزءٌ مِنَ الواقعِ والحقيقةِ، كذلكَ في مجتمعاتنا الخليجيّةِ هناكُ أمورٌ صعبةٌ، يتطرَّقُ لها بعضُنا في كتابتهِ بطرائقٍ مختلفةٍ، إنّما الكاتبُ الذَّكيُّ وحدهُ مَنْ يستطيعُ أن يوصلَ فكرتهُ للمتلقّي مهما كانتْ جُرأتُها.

لكلّ مجتمع خصوصيّته، ففي بعض المجتمعات ليس من العيب أن يمشي الشخص عاريًا، وفي مجتمعات أخرى من الصعب جدًا أن يتجول أحدهم بسرّوَالٍ قصير؛ لذا من الضروريّ جدًا أن نعيّ ماذا نكتب؟ ولمن نكتب؟ وما الهدف ممّا نكتب؟ يقول شاعر المهجر (ميخائيل نعيمة): كم من أناس صرفوا العمر في إتقان فنّ الكتابة؛ ليزيعوا جهلهم لا غير.

النصوص المعلوماتية

النصوص المعلوماتية

تُعَدُّ معرفة نوع النص المقروء من أهم الاستراتيجيات التي تساعد القارئ على فهم النصوص، والتنبّه إلى النقاط الجوهرية فيها، والتعمق في أفكارها ومضامينها؛ فقراءة قصيدة من الشّعر تختلف عن قراءة قصة، وهذه تختلف عن قراءة نص معلوماتي، فلكل نوع من النصوص الطريقة التي تناسبه، وتناسب الغايات التي من أجلها كُتِبَ، وبسببها يقرأها القُراء.

ويعد النص المعلوماتي من أكثر النصوص انتشاراً وتنوعاً في عصرنا الحاضر، ومعظم الناس يعتمدون عليه في حياتهم اليومية في أبسط الأمور وأكثرها تعقيداً؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، كلنا نحتاج أن نعرف حالة الطقس، أو مواعيد الصلاة، أو مواعيد الرحلات في المطارات للمسافرين، أو موقع مؤسسة ما نود أن نزورها، فمثل هذه الجداول والخرائط تسمى نصوصاً معلوماتية، فما النص المعلوماتي؟ وما الفرق بينه وبين سائر النصوص؟

النص المعلوماتي: هو أي نصّ هدفه أن يُقدِّم معلومات للقارئ بطريقة مباشرة وواضحة، تتصف بالدقة، وتعتمد على الأدلة العلمية والحقائق. ولأن هدف النص المعلوماتي هو تقديم المعلومات فإنك ستجده في مجالات العلوم والفنون كلّها، كالفيزياء، والكيمياء، والطب، والرياضة، والصحة، والبيئة، والجغرافيا، والتاريخ، واللغة، والرسم، وتطوير الذات، وغيرها.

وهذا لا يعني أنّ النص المعلوماتي هو النوع الوحيد الذي يقدم معلومات للقارئ، ولكنّ النص المعلوماتي ليس له أي هدف إلا تقديم المعلومات، بخلاف النصوص الأخرى. ولكي تتضح الفروق بين النص المعلوماتي وغيره من النصوص يحسن أن نتحدث عن التصنيف العام للنصوص، حيث تنقسم إلى نصوص خيالية (Fiction) ونصوص غير خيالية

(Non-Fiction)

1. النصّ الخيالي:

هذا المصطلح هو ترجمة لكلمة (Fiction)، وهي مشتقة من كلمة لاتينية تعني «يُشكَّل» أو «يُصنَّع»، ويشير إلى تأليف أدبي متخيّل ومبتدع، وهو مصطلح يعبر عن الفن القصصي بأشكاله المختلفة: الرواية، والرواية القصيرة، والقصة القصيرة، مع أنّ هناك من يرى أنّ

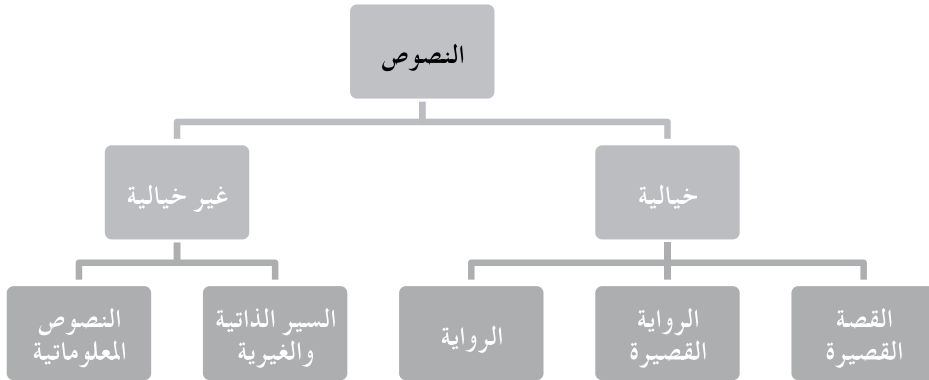
مصطلح (Fictional) يشمل كل ما هو أدبي، أو كل الأجناس الأدبية مثل الشعر والدراما وألوان السرد إلى جانب الرواية والقصة.

فهذا العمل هو من خيال الكاتب، حتى لو اعتمد على وقائع من الحياة، أو من التاريخ، وهدفه في الغالب الإمتاع والمشاركة.

2. النص غير الخيالي:

هو ترجمة لمصطلح (Non-Fiction) بالإنجليزية، بمعنى أنه خال من الخيال، ويشير إلى كل النصوص التي تعتمد على الحقائق والوقائع والأدلة. وليس للخيال دور فيها، وهدفها في الغالب تقديم معلومات للقارئ حول موضوع ما. وتحت النصوص غير الخيالية تندرج النصوص المعلوماتية بأشكالها كافة، كما تندرج أيضاً نصوص السير، الذاتية والغيرية، والكتابات الفلسفية والتاريخية والجغرافية، وغيرها كثير.

ويمكن توضيح هذا التقسيم في الشكل الآتي:



ولكي نوضح الفرق بين النص المعلوماتي والنصوص الأخرى التي تندرج تحت مسمى «نص غير خيالي» يمكن أن نعقد هذه المقارنة البسيطة بين النص المعلوماتي ونصوص السيرة الأدبية مثلاً، فعلى الرغم من أن كليهما يندرجان تحت قسم النصوص غير الخيالية إلا أن معظم نصوص السيرة الأدبية تبنى بناء يشبه بناء القصة والرواية، فتعتمد على الشخصيات، ووجود إطار زمني ومكاني، وأحداث، وتشويق وغيرها، وتكتب بأسلوب سردي -في الغالب- يشبه أسلوب كتابة القصص. أما النصوص المعلوماتية فتقتصر فقط على تقديم المعلومات؛ فلو أننا أردنا أن نكتب نصاً معلوماتياً عن الشيخ زايد بن سلطان -رحمه الله- فإننا سنقتصر على ذكر

الحقائق فقط، تاريخ ومكان ميلاده، فترة حكمه، أخلاقه، إنجازاته، سنة وفاته، وهكذا. ولكن إذا أردنا أن نكتب عنه سيرة أدبية فإننا سنعنى بتقديم صورة دقيقة عن شخصيته، واهتماماته، وأفكاره، وكيف كان يرى العالم، وبعض المواقف المؤثرة في حياته، وبعض الحكايات التي تعكس حكمته، وقربه من شعبه، وحرصه على توحيد الكلمة.. وهكذا.

إنّ النص المعلوماتي غير معني من قريب أو بعيد بالتأثير في القارئ تأثيراً عاطفياً، بل هو يصب كل تركيزه على المعلومة، والتحقق من صحتها، والحرص على أن تصل إلى القارئ من مصادر موثوقة، وأن تقدم له في شكل واضح وبسيط، يساعده على تمثيلها وتنظيمها وتذكرها.

وأكثر ما تجد النصوص المعلوماتية في المعاجم، والموسوعات، والأطالس، وكتب التعليم، والكتب المدرسية على اختلافها، والخرائط، والمقالات العلمية التي تنشر في المجلات، كما نرى في مجلة (ناشيونال جيوغرافيك) على سبيل المثال.

وأهم ما يميّز النصوص المعلوماتية اعتمادها على الحقائق والأرقام، ونتائج الدراسات العلمية، ولذلك يعتمد تقييم النص المعلوماتي على الصحة والدقة في نقل المعلومات، والتوثيق العلمي الذي يحيل إلى المصادر، وعلى الجودة والتحديث، فلا ينقل النص نتائج دراسات قديمة، ويترك الحديثة منها.

ولكتابة النصوص المعلوماتية أصول وطرائق معتمدة، فلا يجوز للكاتب أن يتصدى لكتابة نص معلوماتي من دون أن يلتزم بهذه الأصول التزاماً تاماً. وقد تطوّرت طرائق كتابة النصوص المعلوماتية في العصر الحديث، وصار المؤلفون يعتمدون على وسائل كثيرة تساعد القارئ على فهم المعلومات، وتنظيمها، وحفظها، وتذكرها، كالجداول، والقوائم، والأشكال والرسومات التوضيحية، والصور.

إنّ قراءة النصوص المعلوماتية تتطلب من القارئ الانتباه، والتدقيق، وإعادة تنظيم المعلومات بما يناسب أغراضه الخاصة، وهي من أكثر المهارات أهمية للطلاب، خاصة في المرحلة الجامعية.

التسوق الإلكتروني*

يجب أن تكون مستعداً للمستقبل في العالم الرقمي، وذلك بإعادة النظر إلى الاحتمالات الجديدة في عالم تتحطم فيه عوائق التجارة، وانتقال رؤوس الأموال بسبب التكنولوجيا الرقمية، إذ الوصول إلى الأسواق إلكترونياً يتزايد دون تكلفة أو حواجز.

فقد منح ظهور الشبكة المعلوماتية (الإنترنت) الفرصة للتجارة الإلكترونية، حيث أدرك الموردون والعملاء الفوائد التي تعود إلى التكلفة والوقت في التعامل مباشرة عن طريق (الإنترنت)، وذلك بتوفير بيانات حديثة عبر كل قناة للمبيعات.

كما أضحت للقدرة على نقل المعلومات وتبادلها قيمة أكبر من المنتج نفسه، وذلك مع وجود فروق جوهرية في مواصفات المنتجات أو الخدمات أو جودتها أو أسعارها. إن السهولة التي يتم بها تبادل المعلومات في هذا العالم الرقمي قد غيرت تماماً من قيمة المنتجات من البداية إلى النهاية؛ مما ساعد على ظهور سوق الوسطاء الذين ينقلون المعلومات أو الوكالات الخاصة في خدماتها.

إن إستراتيجية مؤسسات التسوق الإلكترونية تركّز دائماً على العميل، وتأتي بعد ذلك التكنولوجيا، وهيكّل العمل القائم على تحليل الرغبات والحاجات الحالية والمستقبلية، وكيف ستغير توقعات العملاء في المستقبل، إذ المؤسسة الناجحة في الأسواق الإلكترونية هي التي تنظر إلى مستقبلها من وجهة نظر عملائها؛ وذلك لأن الخدمات التي ترضي العملاء هي التي تفيد المؤسسة منها في النهاية، والمخطط الآتي يوضح خطوات هذه الإستراتيجية:

خطوات الإستراتيجية	التركيز على العملاء، وتصنيفهم في مجموعات.
	تحديد رغبات كل مجموعة، وما تحتاجه.
	تحديد أفضل عملية لتوصيل أفضل قيمة للعميل.
	مراجعة واقع المؤسسة الحالي (النقد الذاتي) لتحديد التغيرات الضرورية.

(*) سلسلة الإدارة المثلى / التحول إلى إلكترونية العمل. مكتبة لبنان ناشرون، ط: الأولى 2002

وإذا التزمت المؤسسات بالخطوات الإستراتيجية السابقة الذكر فإن الفوائد التي تحققها الأسواق الرقمية لا تقتصر على مؤسسات العمل، وإنما هي شراكة متبادلة مع العميل، والرسم البياني الآتي يوضح ذلك:



وتمثل إدارة قوة البيع التكاملية في السوق الرقمية التي غالباً ما تتعلق بالانتقال من الاستفسار المبدئي للعميل إلى تلقي الطلب، وتتضمن هذه العملية معرفة السعر، والكمية المطلوبة، وتأكيده وجود المطلوب، أو أجور نقلها، أو تخصيص مبالغ للعمولة، وهذا يتطلب تطبيقات إلكترونية تخلق تكاملاً بين الوظائف المنفصلة؛ لتكون عملية مترابطة تتصل بانسيابية مع نظم إدارة العلاقة بالعميل، وإدارة تخطيط موارد السوق الرقمية للحصول على أفضل أداء ممكن، ما يوفر للعميل الجهد والوقت، وأكبر قسط من ثمن السلعة، ويغرس الثقة بالسوق، ويدعو إلى الاطمئنان لنجاح العملية برمتها.

إن عملية البيع الإلكتروني عملية معقدة جداً، ويمكن تيسيرها بانتشار القنوات وبرامج التسوق أمام العميل، وتوفير الخدمة الذاتية له أينما كان، وبأي وسيلة، سواء أكانت حاسوباً أم هاتفاً محمولاً، وبتكليف المنتج مع حاجته، وتحديد كل خطوة مطلوبة في عملية البيع، والإجابة عن استفساراته، وسرعة الرد عليها، وتوضيح بُعد العملية الزماني والمكاني بدءاً وانتهاءً، وإعلامه بتأخر الطلب وأسبابه، والاعتذار عن ذلك، إن حصل، وتخيره بإتمام الصفقة أو إلغاؤها دون أي خسارة لقيمتها المدفوعة سلفاً.

والمخطط الآتي يرسم حلولاً لتجاوز العملية المعقدة لإدارة المبيعات:

حلول لتجاوز العملية المعقدة لإدارة المبيعات



إنّ النّجاح في السّوق الرّقمية يتطلّب من المؤسّسة أن تجيب عن الأسئلة الآتية:

« مَنْ هم عملائي المستهدفون؟ وما مدى معرفتي بهم؟ »

« كيف أحظى بولاء العميل، وأحتفظ به؟ »

« مَنْ هم المنافسون الحاليون والمحتملون؟ »

« كيف ستصل خدماتي ومنتجاتي إلى العملاء؟ »

« كيف ستستمرّ التكنولوجيا في تغيير السّوق؟ »

وللإجابة عن هذه الأسئلة يجب أن تتوفر في المؤسسة الميزات الآتية:

1. التركز على الميزة التنافسية التي تجعل المؤسسة مختلفة عن منافسيها الذين قد يتفوقون عليها في رخص القيمة، أو سرعة التوصيل، مع التساوي في الجودة.
2. التسويق الجيد للعلامة التجارية الخاصة بالمؤسسة.
3. تشكيل إدارة نشيطة في بناء العلاقات، باختيار موظفين لديهم مهارات اتصال عالية، إذ هم الرابط الأساسي بين مستخدمي النظام الداخلي والخارجي.
4. اختيار شريك خارجي جيد، يعزز نشاط المؤسسة، وتتوافق نظمه مع نظمها، بأقل ما يمكن من الأخطاء، ما يحقق تكامل الشركاء، ولا يمكن الجمهور الداخلي أو الخارجي التمييز بينهم.
5. تركيز العملاء للمؤسسة، بتقديمها ما يتوقعونه وفوق ما يتوقعونه، مما يحقق للمؤسسة (القيمة المضافة)؛ لتكون أفضل سوق يجذب أكبر جمهور من العملاء.

أنواع مختلفة من عروض القيمة المضافة على الشبكة المعلوماتية (الإنترنت)

نموذج العمل	مقترح القيمة للعميل
وسيط المعلومات	يقدم للعميل موقعاً تقف عنده مرة واحدة به كل المعلومات المطلوبة، ويوفر سهولة في الاستخدام والتأثير السريعة.. وتوفير التكاليف.
وسيط الصفقات	يقدم عملية موحدة لإيجاد المنتج والمقارنة والاختيار والشراء، أو خدمة على خط الشبكة المعلوماتية، كما يوفر السرعة والتكلفة معاً.
قائد الفئات	يحدد قائد السوق العرض الجديد للقيمة المضافة، وتجديد خبرة العميل باستمرار، وتوفير أفضل خبرة كلية للعميل.
مركز المجتمع	يصمم في الشبكة المعلوماتية موقعاً لاجتماع العملاء، فيتبادلون الأفكار والمعلومات، ويوفر طريقة سهلة، وعضوية جديدة في المجتمع المعلوماتي.

إنَّ الوفاءَ بمتطلباتِ العملاء، وتحقيقَ الوعودِ في أوقاتها، والسَّماحَ لهم بمعرفةِ سيرِ حركةِ التسليم، وعلمهم بكلِّ شيءٍ من بدايةِ عمليَّةِ التسوقِ إلى نهايتها أخذَ يحقِّقُ ازدهارًا للتسوقِ الإلكترونيِّ، ونموًّا في الأسواقِ الرقْميَّةِ، وتنوعًا في عروضها التجاريَّةِ. كما أضحى إنسانُ القرنِ الحادي والعشرين -تاجرًا، أو عميلًا، أو وسيطًا، أو حتَّى فضوليًّا- وهو في منزله، ويبيده هاتفه المحمولُ، يرشفُ فنجانَ قهوتهِ المفضلةِ، يُمارسُ نشاطًا تجاريًّا، وإلى زمنٍ قريبٍ كانَ يُمضي الأيامَ والشُّهورَ حتَّى يحقِّقَ بعضًا ممَّا يحقِّقه اليومَ في سويعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ. لقد أصبحَ العالمُ بينَ يديه بفضلِ فانوسِ علاءِ الدِّينِ السَّحريِّ، وأيِّ فانوسٍ سحريٍّ ينتظرُ الأجيالَ القادمة؟!

الأمل والطموح

لماذا أنت تُصلي، وتصوم، وتحج، أو تقوم بعبادتك؟ لأن هناك وعدًا من الله أن تدخل الجنة، أو لأن هناك وعدًا أخرى تأمل أن تحوزها من خلال دينك. هذا الوعد لم تره، ولم تلمسه، ولم تشمه، وكما جاء في الأحاديث الشريفة أن الجنة لا يمكن لك أو لأي أحد أن يتخيلها، عوضًا عن الإحساس بها في الدنيا. وتعزيز هذا النوع من الأمل هو دافع هائل في تحريك الإنسان إلى درجة التضحية بالنفس من أجلها، وهذه خاصية إنسانية ترتبط بالمُح مُباشرة.

ولتأكيد أن الأمل هو الدافع إلى العمل أُجريت تجربة على القردة، وكانت كالآتي: حينما يضغط القرد على مقبض عددًا من المرات يحصل على جائزة (الطعام)، وقد قاس العلماء نسبة (الدوبامين) في المُخ بالتعلم المدفوع الأجر، (ومادة الدوبامين مادة كيميائية تتفاعل في الدماغ لتؤثر على كثير من الأحاسيس والسلوكيات، بما في ذلك الانتباه، والتوجيه، وتحريك الجسم)، فلاحظوا أن النسبة ترتفع قبل أن يبدأ القرد بالضغط على المقبض، وليس عند استلام الجائزة. و(الدوبامين) ينطلق في المُخ بسبب توقُّعك الحصول على السعادة، وليس بعد حصولك عليها، وهذا فارق مهم، أي أن السعادة تحصل عليها حينما يكون هناك طموح للحصول على الجائزة، وليس حين الحصول عليها.

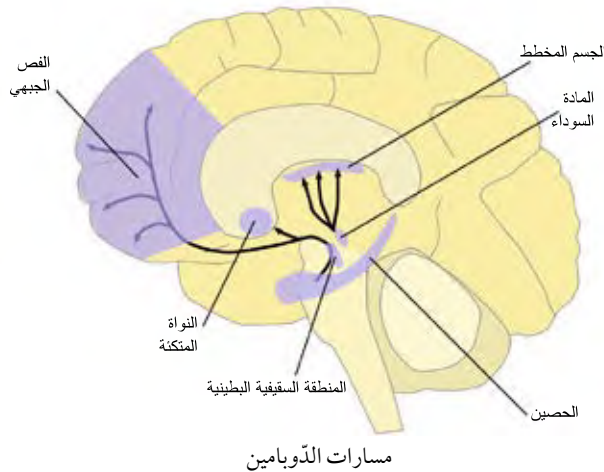
قرّر العلماء تغيير التجربة قليلًا، فبدلاً من أن يعطوا القرد الجائزة في كل مرة يضغط فيها على المقبض أعطوه الجائزة خمسين بالمئة من المرات التي يضغط بها على المقبض، وبشكل عشوائي، ولم يدّر القرد في أي المحاولات سيحصل على الجائزة. واكتشف العلماء أن ضَخ كمية (الدوبامين) في المُخ ترتفع بشكل أكبر بكثير من السابق، وهي أكبر مما لو حصل على الجائزة في كل مرة؛ في التجربة الأولى ضمن القرد الجائزة، وفي التجربة الثانية كانت نسبة الضمان 50٪.

والسبب في زيادة نسبة (الدوبامين) يعود إلى كون النتيجة غير مضمونة، فربما تحدث، وربما لن تحدث، وحسب ما يقول (د. روبرت سابولسكي) العالم في علم الأعصاب: «أنت أدخلت كلمة (ربما) في المعادلة، وكلمة (ربما) تُسبب الإدمان بشكل كبير».

هذا الشيء ينطبق على الإنسان تمامًا حسب ما ذكر (د. روبرت سابولسكي)، إذ يقول: إنه حينما تفصل بين الجائزة والعمل، وتجعل بينهما فارقًا زمنيًا فإن مستويات (الدوبامين) ترتفع عند الإنسان، وتخيل أنك تبدأ بالمدرسة من الصغر، ولديك طموح كبير أن تصبح شيئًا ما في المستقبل في مكان تحبه.

الإنسان يستطيع أن يبقى على مستويات (الدوبامين) في المخ عالية جدًا انتظارًا للجائزة في المستقبل البعيد جدًا، وهذا هو أحد الفروق بين الإنسان والحيوان، فالإنسان ينتظر طويلاً على أمل الحصول على الجائزة، بينما لا تتحمل الحيوانات مدةً بالطول نفسه. وهذا ما جعل الإنسان يراقب النجوم، ويحاول فهمها على مر التاريخ، إذ إن الإنسان قد طبع على حب الاكتشاف، فهو يتحرك على الأرض والبحر وفي السماء، يسافر، ويقطع المسافات الشاسعة، إما مشيًا على الأقدام، وإما باستخدام الحيوانات، أو السيارات، أو الطائرات، أو غيرها، يغوص في أعماق البحر؛ ليكشف أسرارها، ويحطم الجسيمات الصغيرة من أجل اكتشاف ما بداخلها، والنظر إلى السماء في عمق الكون ليسبر أغوارها، إنها محاولة الاكتشاف والأمل والطموح التي تشعره بالسعادة، وتجعله يعمل كي يحقق طموحاته العالية البعيدة المنال، فالأمل إذاً دافع إلى العمل.

وصدق من قال: «إذا كنت تريد أن تبني سفينة فلا تحشد الرجال لجمع الحطب، ولا لتقسيم العمل وإصدار الأوامر، بل علمهم الاشتياق لتساع البحر، وإلى لانهايته»، وهكذا يفضل أن نعامل الإنسان حينما نريد منه أن يقوم بمهمة، وعلمنا أن نحفز، وأن نشعل خياله، فكلما اتسعت عنده فسحة الأمل عمل أكثر، وأثمرت النتائج.



كيفية تقدير الذات *

عائشة نوفل

إنَّ تقديرَ الذاتِ يعني أنْ تنظرَ لذاتِكَ نظرةَ تقديرٍ، نظرةً ملؤها الثقةُ، وأنْ تُعطي مكانةً مُميّزةً للذاتِ الشَّخصيةَ بعيداً عن الغرورِ. ولكي يتمكّنَ المرءُ من تقديرِ ذاته عليه أنْ يعرفَ قدراته وإمكاناته، فقد تكونُ القدراتُ هائلةً إلاّ أنّها تحتاجُ للتنمية، وبالعَمَلِ الجادِّ والهمةَ العاليةَ تغدو تنميةُ القدراتِ الشَّخصيةَ أمراً مُمكنًا، فهناك في شَخصيةِ كُلِّ فردٍ نقاطُ قوّةٍ، ونقاطُ ضعفٍ، ولمعرفتها بدقّةٍ ينبغي على المرءِ أنْ يدوّنَ ذلكَ باستمرارٍ، ويسألَ مَنْ يثقُ بِهِمْ فيما يرونه فيه، ولا يراه هوَ في نفسه، فقد يُغفلُ بعضُ النِّقاطِ السَّلبيةِ التي تتخلَّلُ شَخصيتهُ، وتُعيِّقه عن النِّجاحِ، في حينَ يتمكّنُ الآخرون الذين يعرفونه جيّداً، أو يعيشون معه مُلاحظتها بسهولةٍ، وإذا ما تمَّ لفتُ انتباهِ المرءِ لهذه السَّلبياتِ ونقاطِ الضَّعفِ، فإنَّ أوَّلَ خطوةٍ في تغييرها هي إدراكُها، فمَنْ لا يُدركُ أنَّ التدخينَ ضارٌّ -مثلاً- لَنْ يتركه، ولن يُحاولَ الإقلاعَ عنه.

وَمِنْ بعدِ الإدراكِ تأتي الإرادةُ، فالإرادةُ سرُّ النِّجاحِ، وعلى المرءِ أنْ يَصمِّمَ أنْ يكونَ ناجِحاً ومُتميّزاً، مهما كلفه الأمرُ، فَيَسبِبُ الإرادةُ تشكّلَ العالمِ مِنْ حولنا، فإرادةُ (توماس أديسون) هي التي أضاءتْ لنا ما حولنا، والأمثلةُ لا حصرَ لها في قوّةِ الإرادةِ والتَّصميمِ التي أنتجها السَّلفُ الصَّالحُ والعُظماءُ وأصحابُ البصماتِ، ثُمَّ يأتي تغييرُ النِّقاطِ السَّلبيةِ تلوَ التَّصميمِ، ولا بُدَّ مِنْ إدخالِ عاداتٍ إيجابيةٍ تحلُّ محلَّها للمساعدةِ على التَّخلُّصِ منها، فمَنْ كانتْ نقاطُ ضعفِهِ هي الانفعالُ والعصبيةُ، فلا بُدَّ مِنْ تدريبِ نفسه على تركها، وإدخالِ عادةِ الهدوءِ والصَّمتِ وضبطِ الأعصابِ في أثناءِ الموقفِ الَّذي يستدعي استنزافَهُ، ويثيرُ حنقَهُ، وبهذه الطَّريقةِ يتمُّ التَّقليلُ من نقاطِ ضعفِ الشَّخصيةِ.

أما النِّقاطُ الإيجابيةُ في الشَّخصيةِ، كالقيادة -مثلاً- أو سرعةُ الحفظِ، أو الصِّفاتِ الأخلاقيةِ الحسنةِ، وغيرها، فلا بُدَّ مِنْ تعزيزها وتقويتها؛ لتغدو أفضلَ ممَّا هي عليه، وبهذا يعلو تقديرُ المرءِ لذاته، وتزدادُ نظرتهُ الإيجابيةُ لنفسه، فتقديرُ الذاتِ هوَ بدايةُ طريقِ التَّميّزِ والتَّمييزِ، فأصحابُ البصماتِ العظيمةِ قدَّروا ذواتَهُمْ في البداية، وآمنوا بقُدَّراتِهِمْ، ووثقوا مِنْ أحلامِهِمْ

وأهدافهم، وعززوها بالعمل الدؤوب والهمة العالية، وبذلك تركوا أثراً إيجابياً ملموساً على أرض الواقع، وخلدوا ذكرهم بتخليد إنجازاتهم، ولذا يجب على المرء أن يحدد غايته كي يصل إلى مراده.

إن المرء يستطيع تقدير ذاته بعدة طرائق أخرى، حيث ينهج نهجاً سليماً واضحاً أمامه، ويتخذ مثلاً أعلى لذاته في كل جانب من جوانب الحياة، والأفضل أن يكون مثلاً حياً، يستطيع أن يراه، أو يتعلم منه في كل جانب من جوانب الحياة، كالجانب الديني أو المالي أو الثقافي أو المهني أو الشخصي، وغيرها.

إن بناء الصورة الذاتية الإيجابية عن النفس، وتعزيز قدراتها، والإيمان بأهدافها يدفعها إلى تقدير ذاتها، والثقة بها، فصورة الفرد الداخلية تغلب على أي شيء آخر، وقد يستمد المرء قوته من قدوته الذاتية، حيث يركز على أفعال قدواته، ويقارن نفسه؛ ليغدو أفضل، كما يقارن سلوكه بسلوكهم، وأخيراً يركز على الصورة الذاتية المستقبلية لنفسه، فيسأل نفسه: ماذا، ومن أريد أن أكون؟ وعليه أن يجيب عن هذا التساؤل بوضوح تام، وبدقة، وأن يحدد المدة الزمنية اللازمة للوصول إلى هدفه.

ومن الجدير بالذكر أن كتابة نقاط قوة الشخص وتغييره الإيجابي، وتعليقها في مكان يراه يومياً أكثر من مرة، كأن تكون على حائط أو مرآة، وغير ذلك، يساعد على بناء صورة داخلية حسنة، وتحسين تلك السلبية التي تتخللها قلة الثقة بالنفس والقدرات الموجودة وبالإمكانات المتاحة، وبالتالي قلة التقدير الذاتي.

إن قيمة المرء الذاتية تعلق بالإنجازات، وإن قلت، فعلى المرء أن يعد إنجازاته باستمرار، وأن يتعلم كل يوم شيئاً جديداً، وألا يكثر من ترديد سلبياته وفشله في تجاربه السابقة، فذلك يجعله أكثر إحباطاً، وأقل تقديرًا لذاته، ويجلب شعور الفشل الذي عاشه في تلك التجارب إلى اللحظة الآتية بقوته نفسها، فلو أحصى المرء إنجازاته منذ إدراكه الحياة لوجد لها حصر لها.

كما يجب عليه أن يتقبل ذاته كما هو في الأشياء التي لا يمكنه تغييرها، كشكله ولونه واسمه وأهله، وغيرها من الأمور القدرية التي كتبها الله تعالى عليه، بل عليه أن يكون متقبلاً لها بشدة، ومتصالحاً معها، ومحبباً، وغير محاربٍ لقدرها.

لذا، فإنَّ الخطوات الأولى لتقدير الذات هي الرضا عن تلك المقدرات، وَحُبُّ الذات كما هي، والسَّعيُّ لتطويرها وتنميتها، حيثُ إنَّ كُرْهها لا يؤدي إلى تحسينها البتَّة، والسُّخْطُ على ما لا يُمكنُ تغييره لا يجلبُ خيرًا للذات أبداً.

تاريخ الأعداد

يُعدُّ القرنان الثالث والرابع للهجرة (التاسع والعاشر للميلاد) قرنين ذهبين للرياضيات لدى العرب المسلمين الذين سَعَوْا لحفظ هذا العلم وترقيته، في وقت كانت أوروبا فيه غارقة في حقبة من الانحطاط العلمي. وقد كان من فضل هؤلاء المسلمين أيضاً أنهم حفظوا تراث اليونان القديم في الرياضيات، فترجموه، وأضافوا إليه، ثم قاموا بنشره مرة أخرى في أصقاع العالم. كانت خطوتهم الكبيرة الأولى أنهم أشاعوا نظاماً جديداً للأعداد، وجدوا أنه يتسع لكل العمليات الحسابية، وفيه إمكانات لا تنتهي للتعبير عن كل النظم الرياضية المطلوبة.

وقبل ذلك كان الأوروبيون يستعملون الأعداد الرومانية للتعبير عن حاجاتهم المتصلة بالحساب، لكن تلك الرموز كانت قاصرة جداً، بل يكاد يستحيل إمكان استعمالها في عمليات الضرب أو القسمة أو الجمع بأعداد كبيرة، فضلاً عن أنها لا تشتمل على عنصر عددي يُعدُّ أهم اختراع رياضي على الإطلاق، ونعني به رمز (الصفر) الذي يُعدُّ عند كثير من مؤرخي الرياضيات الخطوة الكبرى التي كان للحضارة العربية الإسلامية فضل تطويرها ونشرها؛ فكانت السبيل إلى أن تكون المفتاح إلى حل كثير من المعضلات الرياضية، وإلى أن تكون مركز نظام الرموز العددية في الرياضيات منذ وضعها إلى اليوم.

لقد اقتبس العرب المسلمون رموز الأعداد في الأصل من حضارة الهند، ولعلها في تلك الحضارة ما كانت رموزاً للأعداد، بل هي نوع من الحروف على نحو ما يشير ابن النديم في (الفهرست)، فكانت خطوة الرياضيين المسلمين الكبرى أنهم استعملوها للتعبير عن الأعداد، مبتعدين عن الرموز القديمة التي هي حروف العربية نفسها التي كانت تعبّر عندهم عن قيم عددية، فضلاً عن قيمها الحرفية، وهي مرتبة على النحو الآتي:

الآحاد	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
	1	2	3	4	5	6	7	8	9
العشرات	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
	10	20	30	40	50	60	70	80	90

المئات	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
	100	200	300	400	500	600	700	800	900
الآلاف	غ								
	1000								

ومن طريف ما في هذه الرموز (أي الحروف العربية) أنَّ الشعراء استعملوها في كتابة أشعار تتضمن تاريخاً معيناً، فكانوا يوردون كلمة أو عبارة أو جملة، تعبّر عن تاريخ ما، ويؤرّخون له.

ويشيع بين الناس أنَّ الأعداد الغربية هي الأعداد العربية، وأنَّ الأعداد العربية هي أعداد هندية، والحقيقة أنَّ العرب اقتبسوا حروفاً هندية للتعبير عن الأعداد، وسهل لهم دمجها برموز الكتابة العربية أنَّها تشتمل على استدارات وانحناءات شبيهة بما في رموز الكتابة العربية، ثمَّ سوَّغ ذلك أيضاً أنَّها تُكتب من جهة اليمين على نحو ما اعتاد الكتاب العرب، وكُتِبَ (البتاني - من القرن الثاني) و(البيروني) تشهد على هذا الاستعمال، ثمَّ جرى أن اقتبس الغربيون هذه الأعداد من العرب، لكنهم جعلوها مطاوعة لطرائق كتابتهم من اليسار إلى اليمين، فظهرت عندنا الرموز الغربية للأعداد التي جرى عليها بعد حين تطوير وتنظيم جعلها على ما هي عليه الآن.

القطاعات السبعة الأكثر استفادة من الذكاء الاصطناعي في المستقبل (أدريان بريدجوتر)*

يتطور الذكاء الاصطناعي بوتيرة سريعة، واستخدامه في الصناعات المختلفة على وشك أن يُعيد صياغة الطريقة التي تتعامل بها الشركات مع موظفيها والأيدي العاملة لديها؛ ولذا علينا أن نتعرف جيداً الإمكانيات التي قد يُسفر عنها استخدام «ذكاء الآلة» في الأعمال الحديثة. كان هذا أحد الموضوعات المدرجة على جدول أعمال القمة العالمية للحكومات 2016 في دبي في إطار نقاشات القمة حول الذكاء المعلوماتي والمستقبلي، فمن الذي سيستفيد من هذه التكنولوجيات أولاً؟ وما القطاعات التي يُتوقع لها تحقيق أقصى استفادة من الذكاء الاصطناعي؟

ولابد أن نُشير إلى السمة الأكثر أهمية في الذكاء الاصطناعي، ألا وهي القضاء على الأعمال الروتينية الرتيبة، بمعنى أن الذكاء الاصطناعي قد يُساعد في تقليص وظائف المستوى الأساسي والأدوار التي يتمحور حولها أي عمل، فبدءاً من قطاع الإنشاءات إلى الترفيه وإنتاج الغذاء تتضمن العمليات جميعها عدداً محدداً من المساعدين والمتدربين والمعاونين، وهي وظائف تتطلب القليل من المهارة، وهنا سيظهر الأثر الأكبر لاستخدام الذكاء الاصطناعي.

1. المجال القانوني؛

يعمل في هذا المجال كثير من المبتدئين والمسؤولين عن المهام البسيطة، فمهنه المحاماة لا تضم المحامين والقضاة والمستشارين الحكوميين فحسب، ورغم أن الكثيرين من هؤلاء المبتدئين قد يحصلون على مُسميات وظيفية تبدو في ظاهرها مهمة مثل «مساعد المحامي»، إلا أن العمل الذي يقوم به هؤلاء الأفراد يتضمن قدراً هائلاً من الرتابة، فهم يقضون ساعات في دراسة مئات الخطابات ومواد الدعاوى القضائية، وفي عملية التوثيق، وسوف يؤدي الذكاء الاصطناعي هذه الوظيفة على الوجه الأكمل إذا استطعنا توجيه برامج «الكشف الإلكتروني عن البيانات» إلى البيانات التي تتطلب المعالجة السريعة.

وفي ظل ما تتضمنه المعلومات القانونية اليوم من الرسائل الإلكترونية ومقاطع (الفيديو)، بل والمعلومات الواردة من شبكات التواصل الاجتماعي، أصبحت هذه الوظيفة تفوق طاقة

(* مُتخصّص في شؤون تطوير البرمجيات وإدارة المشاريع والتكنولوجيا.

العقل البشري، ولذلك يأتي استخدام الذكاء الاصطناعي لأداء هذه المهام الروتينية بهدف التقليل من هذه المسقة، وزيادة سرعة النتائج وأتساقها، فمن منا قد لا يرغب في ذلك؟

2. الإعلان؛

تسعى شركات مثل (إنتل) و(سوفتوير إيه جي) الألمانية، و (آي بي إم) وغيرها منذ فترة إلى استخدام الذكاء الاصطناعي في مجالي التسويق والإعلان. وقد ظهرت هذه التكنولوجيا في صورة «واجهات دعائية» إلكترونية مدعومة بـ (كاميرا) لعرض الإعلانات، فعندما تلتقط (الكاميرا) صورة رجل أمامها فإنها تعرض إعلاناً عن إحدى السيارات، وعندما تلتقط صورة أنثى فسوف تعرض إعلاناً عن أحد العطور، على سبيل المثال.

وبعيداً عن فكرة التمييز القائمة على النوع الاجتماعي، وغير المقبولة هنا، فإن هذه التقنية تعدّ تقدماً كبيراً في مجال الحملات الإعلانية إذا ما تمّ تطويرها بالشكل المناسب، وبالطبع سوف تُثير هذه التقنية مسألة الحديث عن الخصوصية؛ لأن (الكاميرا) لن تقتصر على كشف النوع الاجتماعي للفرد فحسب، بل ستكشف عن السن والخلفية العرقية، وربما عن الحالة المزاجية أيضاً.

ولكن، هل نود الإفصاح عن تلك المعلومات؟ ربما تكون الإجابة «نعم»، ولكن علينا أن نعمل وفق مبادئ وتوجيهات نضعها الآن ونحن لا نزال في مراحل التطوير الأولى.

3. الأسواق المالية؛

لا شك أن الأسواق المالية هي القطاع المثالي لتطبيقات الذكاء الاصطناعي، فحجم التداول المالي يشهد ارتفاعاً متزايداً، وهو ما تصاحبه زيادة هائلة في المعلومات الفرعية ذات الصلة، ونحن ندرّك اليوم أن بيانات التداول لا تقتصر على السعر الحالي للسلة أو القوة الشرائية للعملة، إذ تدخل في ذلك أيضاً النقاشات الهاتفية والبريد الإلكتروني ومقاطع (الفيديو) ذات الصلة بأية عملية تداول محتملة، وهذه البيانات كلها يمكن تعقبها أيضاً.

ويمكننا استخدام تقنيات تتضمن تحليل النصوص التحذيرية ومعالجة اللغة الطبيعية لتحليل تلك البيانات وفهمها ضمن سياقها، ففهم معنى البيانات داخل السياق الذي وردت فيه هو المحور الذي يدور حوله الذكاء الاصطناعي، ومن هنا سوف نتجاوز مرحلة الحديث عن

صُنِعَ القراراتِ لِنَتَقِلَ إلى مرحلةٍ أخرى هي التفكيرُ القائمُ على الأدلةِ والقراراتِ المُستندةِ إلى الأحداثِ.

4. الرِّعَايَةُ الصَّحِيَّةُ:

الذكاء الاصطناعيُّ في الرِّعَايَةِ الصَّحِيَّةِ لا يَعْنِي تَصْمِيمَ (الروبوتات) لتقديمِ الرِّعَايَةِ إلى المرضى أو تطويرِ أجهزةٍ استشعارٍ تَتَبُّ الأَعْرَاضِ الأولى لحالاتِ الاكْتِئابِ، فَكُلُّ هَذِهِ الأُمُورِ لا تَزَالُ في المراحلِ التَّجْرِبِيَّةِ. وَبَدَلًا مِنْ ذَلِكَ يُسْتَخْدَمُ الذِّكَاؤُ الاصْطِنَاعِيُّ في تحليلِ تَسْلُسَلَاتِ (الجينوم) البَشَرِيِّ لِلتَّنَبُّؤِ بالطَّفَرَاتِ والوقايةِ مِنَ الأمراضِ. وَيَعَدُّ تَطْبِيقُ (AiCure) مَثَالًا حَيًّا عَلَى مَا نُطْلِقُ عَلَيْهِ أُسَالِيبَ (العلاجِ الخاضعِ للملاحظةِ المباشرةِ) عِبْرَ اسْتِخْدَامِ الهَوَاتِفِ الذَّكِيَّةِ، فالمرِيضُ يُصَوِّرُ نَفْسَهُ بِتَقْنِيَّةِ (الفديو) فِي أَثْنَاءِ تَنَاوُلِ الدَّوَاءِ، بَيْنَمَا يَسْتَخْدَمُ التَّطْبِيقُ تَقْنِيَّةَ التَّصْوِيرِ لِلتَّأَكُّدِ عَلَى امْتِصَاصِ الجِسْمِ للدَّوَاءِ، كَمَا يَتِمُّ إِنْشَاءُ مَحْتَوًى تَثْقِيفِيٍّ وَتَغْذِيَّةٍ رَاجِعَةٍ آتِيَّةٍ وَأَدَوَاتٍ تَحْفِيزِيَّةٍ أُخْرَى حَسَبَ حَاجَةِ كُلِّ مَرِيضٍ. وَصَحِيحٌ أَنَّ المَرِيضَ يَسْمَحُ لِجِهَازِ (كمبيوتر) مُزَوَّدٍ بِخَاصِيَّةِ الذِّكَاؤِ الاصْطِنَاعِيِّ أَنْ يُرَاقِبَهُ، لَكِنَّ هَذَا الأَمْرَ يَصُبُّ -أَسَاسًا- فِي مَصْلَحَةِ المَرِيضِ نَفْسِهِ.

5. السَّيَّارَاتُ ذَاتِيَّةُ الْقِيَادَةِ:

لا تَزَالُ تَكُنُ لُوجِيَا السَّيَّارَاتِ ذَاتِيَّةِ الْقِيَادَةِ فِي مَرَاكِهَا الأَوَّلَى، وَلَا شَكَّ أَنَّهَا تَتَطَلَّبُ آلَاتٍ لَدَيْهَا قُدْرٌ مَعْقُولٌ مِنَ الذِّكَاؤِ، بَدَلًا مِنْ أَجْهَازِ اسْتِشْعَارِ الحَرَكَةِ إِلَى (الكاميرات) المُزَوَّدَةِ بِخَاصِيَّةِ الإِدْرَاكِ المَكَانِيِّ؛ لِتَصْنِيفِ «عَقُولِ» السَّيَّارَاتِ ذَاتِيَّةِ الْقِيَادَةِ ضِمْنَ فِتْنَةِ التَّعَلُّمِ الآلِيِّ وَوَاجِهَةِ التَّوَاصُلِ البَشَرِيِّ الحَاسُوبِيِّ.

وَلِضْمَانِ الأَمَانِ فِي أَثْنَاءِ السَّيْرِ عَلَيْنَا الوُصُولُ إِلَى المَرَحَلَةِ الَّتِي لَا تَقْتَصِرُ فِيهَا أَجْهَازُهُ (الكمبيوتر) المُشْغَلَةُ لِلسَّيَّارَاتِ عَلَى إِدْرَاكِ العَوَامِلِ المَادِيَّةِ المُحَدَّدَةِ حَوْلَهَا، بَلْ وَالْعَوَامِلِ غَيْرِ المُحَدَّدَةِ الَّتِي يَصْعَبُ التَّنَبُّؤُ بِهَا، وَالنَّاتِجَةُ عَنِ الأَفْعَالِ العشَوَائِيَّةِ لِلسَّائِقِينَ البَشَرِيِّينَ الَّذِينَ سَيَشَارِكُونَهَا الطَّرِيقَ فِي البَدَايَةِ عَلَى الأَقْل.

6. «روبوتات النانو» والتَّكْنُولُوجِيَا الحَيَوِيَّةُ:

سُمِّيَتْ «روبوتات النانو» بِهَذَا الاسْمِ نَسْبَةً إِلَى حَجْمِهَا، (فالنَّانُو) يَعْنِي وَاحِدًا مِنَ المِليَارِ،

وهكذا (فالنانومتر) يُساوي واحدًا على مليارٍ مِنَ المِترِ.

و«روبوتات النانو» عبارةٌ عن «روبوتات» بالغة الصَّغرِ، ويمكنُ إدخالُها إلى مجرى الدَّمِ لإعادةِ برمجةِ (الجينات)، أو العملِ كخلايا بيضاءَ فائقةِ الذِّكاءِ بما يُعزِّزُ مِنَ الحِفاظِ على حالتنا الصَّحيَّةِ

وَتُطلَقُ على هذه التَّقنيَّةِ أسماءٌ مُختلفةٌ مثلَ (النانويد)، و(النانايت)، وأجهزةِ (النانو)، و(النانومايت)، وجميعُها لا تزالُ في مراحلها التَّجريبِيَّةِ، ويتوقَّعُ العلماءُ أنَّ «روبوتات النانو» قد تُصَبِّحُ واقعًا خلالَ الرَّبْعِ التَّالِي مِنَ القَرْنِ، وَرَبَّما يُصَبِّحُ استخدامها أمرًا مُعتادًا كتناولِ حَبَّةٍ مِنَ (الأسبيرين).

7. الحكوماتُ:

أخيرًا، وليسَ آخرًا، يُعدُّ قطاعُ الحكوماتِ مكانًا مثاليًّا لتطبيقاتِ الذِّكاءِ الاصطناعيِّ، وقد صرَّبتْ دولَةُ الإماراتِ العربيَّةِ المُتَّحدةِ مثالًا في تطويرِ العديدِ مِنَ برامجِ الحكومةِ الإلكترونيَّةِ التي تستفيدُ - أيما استفادةٍ - مِنْ ذِكاءِ الآلةِ في إدارةِ عَمَلِياتِها.

والفِكرةُ التي تقومُ عليها حكوماتُ الذِّكاءِ الاصطناعيِّ ترى أَنَّهُ بإمكانِ العُنصرِ البَشَريِّ أَنْ يضعَ مجموعةً مِنَ الحقوقِ والمبادئِ المُتَّفِقِ عليها بصورةٍ ديمقراطيَّةٍ، بحيثَ تبقى بعيدًا عَن تَدخُّلاتِ السِّياسِيِّينَ وَهيمنةِ القادةِ.

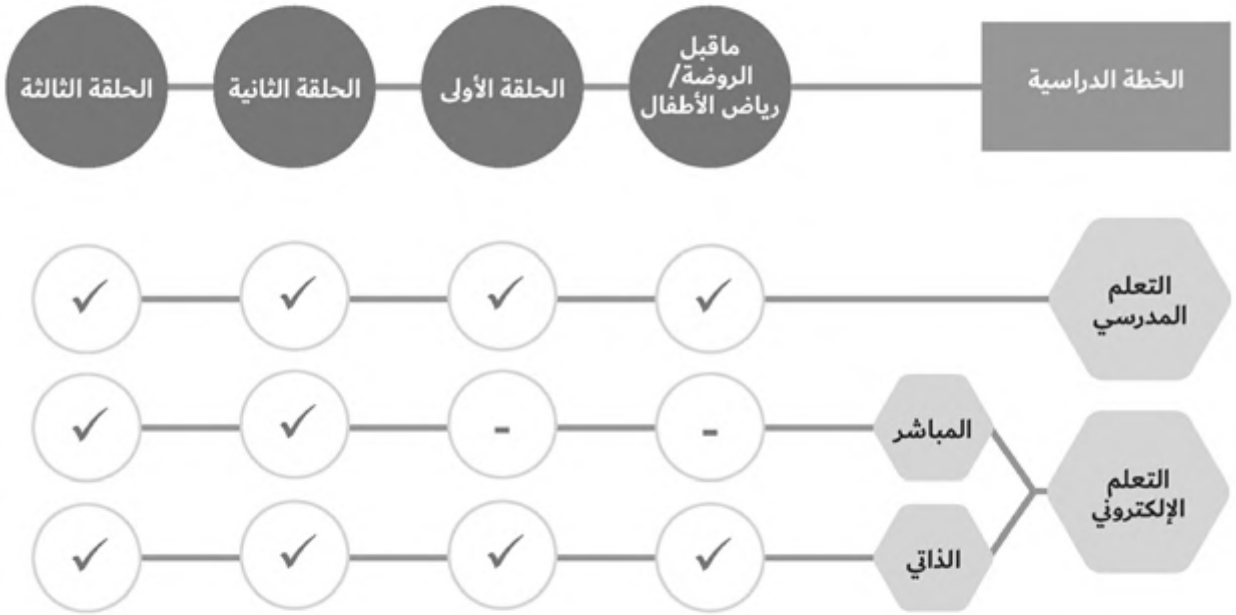
وَيَرى بَعْضُهُم أَننا سوفَ نُطبِّقُ مفاهيمَ مُحدَّدةٍ مِنَ الذِّكاءِ الاصطناعيِّ مِنْ أَجْلِ (أتمتة) بعضِ جوانبِ العملِ الحكوميِّ بدلًا مِنْ استبداله تَمَامًا.

العُنصرُ البَشَريُّ في الذِّكاءِ الاصطناعيِّ:

عندَ الحديثِ عَن تطويرِ الذِّكاءِ الاصطناعيِّ اليومَ لا ينبغي أَنْ نُركِّزَ المسؤولِيَّةَ الكُبرى التي نشاركُ فيها جميعًا على أجهزةِ (الكمبيوتر) نَفْسِها، فنحنُ نَدركُ أَنَّ التَّطوُّرَ التَّكنولوجيَّ سَريعٌ وواسِعُ النُّطاقِ، ولا نهايةَ لَهُ، ولذا ينبغي أَنْ نوجِّهَ تركيزَنا على العُنصرِ البَشَريِّ نَفْسِهِ حتَّى يتسَنَّى لَنا تطويرُ الذِّكاءِ الاصطناعيِّ بالصَّورةِ التي نَريدها دونَ أَنْ تَخْرُجَ الأمورُ عَن نِطاقِ سَيطرتنا.

التعليم الهجين في المدرسة الإماراتية

في إطار البعد الإستراتيجي لخطط التطوير في وزارة التربية والتعليم، وسعيها لتنويع قنوات التعليم وتجاوز كل التحديات التي قد تحول دونها، وضمان استمراره في جميع الظروف، فقد طبقت الوزارة خطة التعليم الهجين للطلبة جميعهم في المراحل الدراسية كافة.



قنوات الحصول على الكتاب المدرسي:



برامج محمد بن راشد
للتعلم الذكي
Mohammed Bin Rashid
Smart Learning Program

الوحدات الإلكترونية



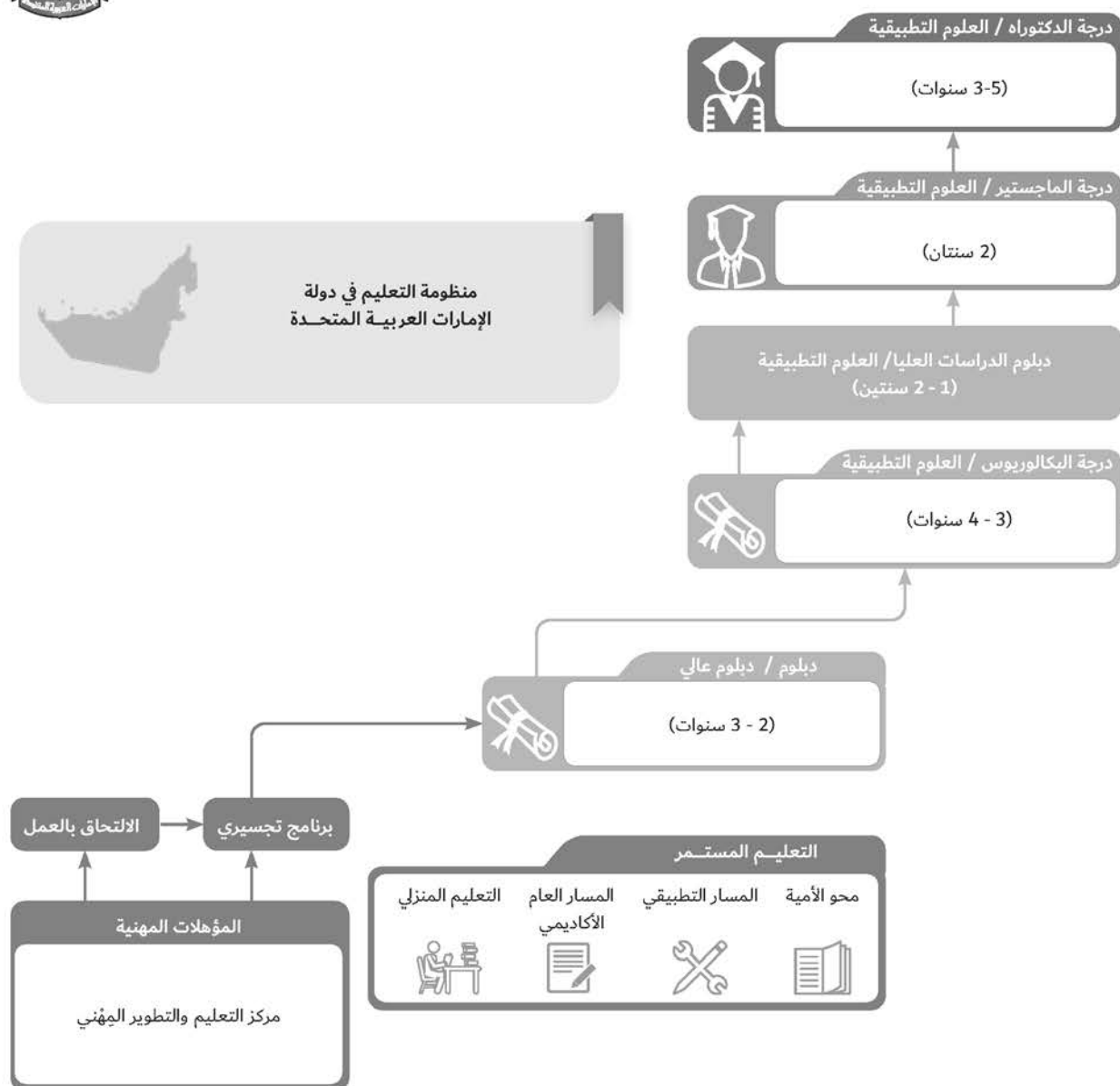




الإمارات العربية المتحدة
وزارة التربية والتعليم



منظومة التعليم في دولة
الإمارات العربية المتحدة



مركز اتصال وزارة التربية والتعليم
اقتراح - استفسار - شكوى



80051115



04-2176855



www.moe.gov.ae



ccc.moe@moe.gov.ae